وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحيى فارس- المدية-

كلية اللغات والآداب

قسم اللغة والأدب العربي

الإعلامية في التراث النحوي العربي
- الكتاب لسيبويه أنموذجا-

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث (ل-م-د) في اللغة والأدب العربي.

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبة:

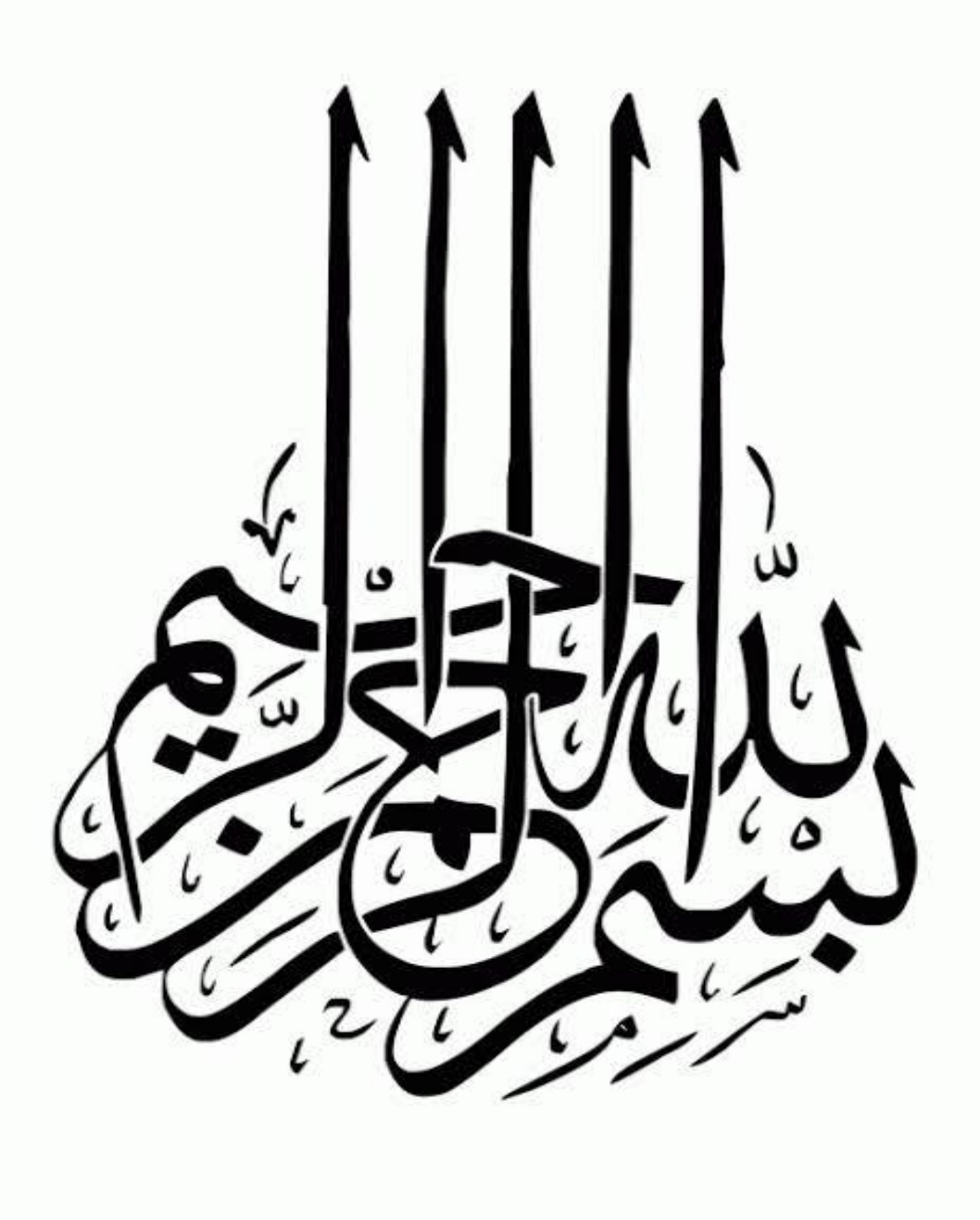
أسية عرجة

إشراف الدكتور:

د- محمد بن حجر

2021م/2022م

1442هـ/1443هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير:

اللهم لك الحمد حتى يبلغ الحمد منتهاه، فقد مَنَنْتَ علي بأن أمهلتني ووفقتني لإكمال هذا العمل.

يطيب لي وأنا أدون السطور الأخيرة من هذا العمل أن أتقدم بوافر شكري وعظيم امتناني للأستاذ المشرف محمد بن حجر الذي تولى متفضلا الإشراف على هذه الأطروحة بعد ما اقترح موضوعها فكان أن أخرجها إلى النور بعد تصحيحها وتقويمها، فجزاه الله عنا خير الجزاء، وكل ألفاظ الشكر لن تفيه حقه وحسبنا أن له من الله عز وجل الجزاء الأوفى كما أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الكبير لأعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا عناء قراءة هذا العمل وتقويمه وتقييمه، وأشكر رئاسة قسم اللغة والأدب العربي، كما لا ننسى تقديم كل الشكر والاحترام للأساتذة الذين تكونا على يديهم، وشكري الخاص لأسرتي الكبيرة والصغيرة بخاصة أمي العزيزة التي كانت تدفع بي للأمام كلما التوى قلمي وزوجي الغالي الذي أمسك بيدي يوم أفلتت كل شيء.

إهداء

إلى أمي الغالية تلك التي تملك جنة تحت القدم.

إلى أبي الغالي من علمني كيف أمسك القلم.

إلى زوجي العزيز الذي شاركني كل مراحل البحث

وسامح تقصيري دون تململ فهذا العمل من سماحته نجم.

إلى ولدي محمد ويوسف وهج العطاء سبب السير نحو القمم.

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء فردا فردا فهم من شاركوني صنع الحلم.

إلى كل محبي العربية أهدي هذا العمل المتواضع.

مقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

يعتبر ظهور اللسانيات النصية كمرحلة من مراحل الدرس اللغوي ضرورة حتمية يتطلبها نضوج الفكر اللغوي، فالاقتصار على التحليل الجملي، وضع اللسانيين في مأزق ذلك أنهم عجزوا عن تحليل تلك الظواهر التي تتجاوز الجمل، من هنا انطلقوا في تحليلهم للسان البشري إلى وحدة لغوية أكبر هي النص أو الخطاب وقد توصلوا من خلال معاينتهم للنص، إلى وجوب توفر سبعة معايير في النص حتى يحكم على نصيته.

منها ما يتعلق بالنص ذاته، ومنها ما يتعلق بمستعملي النص، ومنها ما يتعلق بالسياق.

وبما أن النص منطلقه من مخاطب لديه غاية يود إبلاغها إلى متلق هو منتهى الخطاب وغايته، ويهدف المخاطِب إلى جعل المخاطَب مقبلا متفاعلا مع عناصر الخطاب مما يجعله يحرز معلومات. لا بد أن يتوفر هذا الأخير على قدر لا بأس به من المعلومات وهو ما يسمى بمعيار الإعلامية.

وكلما كانت المعلومات التي يوفرها الخطاب مجهولة أو غير متوقعة في النص كلما ارتفعت الكفاءة الإعلامية.

والإعلامية معيار من المعايير المهمة التي يجب توفرها في أي خطاب، فالإنسان إنما يتكلم ليبلغ رسالة تحمل قدرا من المعلومات، فالغاية الأولى والأخيرة للتواصل هي الإعلام.

والدارسون العرب الأوائل كانوا على قدر كبير من الوعي بهذه الأخيرة ما حملهم على الاعتناء بها، وقد ظهرت في الكتاب لسيبويه العديد من الملاحظات والإيحاءات بل

والعبارات الدالة على هذا المعيار، بل قد تمكن الحاج صالح الأب الروحي للسانيات العربية الحديثة من التدليل على معرفة لل علماء العرب بالإعلامية ودرجاتها في التراث النحوي، كما استنبط معرفة سيبويه لها بمصطلح العلم أما من تلاه من النحاة فقد أسموها الفائدة.

من هنا برزت فكرة الموضوع لتعنون بـ:**الإعلامية في التراث النحوي العربي، وقد اتخذنا من الكتاب مدونة لها.**

والجدير بالذكر أن هذه الدراسة لم تأت لتسقط فكرة الإعلامية باعتبارها منتوجا أجنبيا على التراث النحوي، ولا لتصنع تقابلا بينهما، بل قامت من أجل استنباط طريقة النحاة العرب وعلى رأسهم سيبويه في تعاملهم مع علم المخاطب، وعليه فالإشكالية التي سعت الدراسة للإجابة عنها هي: **هل عرف النحاة العرب وعلى رأسهم سيبويه الإعلامية؟ وإن كان كذلك فكيف تعاملوا معها؟ وهل الإعلامية في الدرس اللغوي الأجنبي الحديث هي ذاتها الإعلامية في التراث النحوي؟**

للإجابة عن هذه التساؤلات وانشغالات أخرى فرعية كشفت عنها الدراسة جعلنا للبحث فصلين، أولهما نظري، والثاني تطبيقي. صدرناهما بمدخل تاريخي تحدثنا فيه عن التراث النحوي والقيمة النحوية لكتاب سيبويه.

أما **الفصل الأول** فعنون بمدخل نظري لتحديد المصطلحات ومفاهيمها والعلاقة بينها، تحدثنا فيه عن المفاهيم التي تمت بصلة للموضوع على رأسها وأهمها الإعلامية.

في حين خصصنا **الفصل الثاني** للكشف عن ماهية الإعلامية في التراث النحوي بتسليط الضوء على الكتاب. أين أبرزنا وجود الإعلامية في الكتاب ثم عقدنا مقارنة بين

نظرة سيبويه لها ومن تلاه من النحاة، لنعرج على درجات الإعلامية عند سيبويه، ثم عناصر الإعلامية عنده، فآليات رفع الإعلامية ثم آليات خفضها.

لنصل إلى آخر محطة في دراستنا الموسومة بنحو نظرية تداولية في التراث العربي توصلنا فيه إلى أن النحاة العرب تميزت نظرتهم بتوظيف التداول.

لنذيل الدراسة بخاتمة ضمناها أهم ما أسفر عنه البحث.

وتكمن **أهمية** هذه الدراسة في كونها من الدراسات التي تندرج ضمن الدراسات التراثية التي من شأنها أن تساهم في إثراء التراث وكشف جانب من جوانب عظمته إن صح هذا التعبير. كما أن استثمار هذا المفهوم في قراءة التراث النحوي يعد وجها من وجوه تثمين ولو لجانب من جوانب الجهود العظيمة والجبارة التي بذلها وخلفها هؤلاء العلماء.

و**تهدف** هذه الدراسة أساسا إلى الكشف عن ثراء التراث النحوي على وجه الخصوص كنا أنها من صميم الدراسات التي تسعى إلى لفت الانتباه إلى التراث النحوي والدعوة إلى دراسته بمستجدات علمية حديثة.

وقد اعتمدنا على بعض الدراسات السابقة التي استأنسنا بها في طريق تكاد تكون موحشة ذلك أن الدراسات التي تناولت الإعلامية وحاولت استقصاءها لدى النحاة العرب_ فيما اطلعنا عليه_ تكاد تكون منعدمة اللهم إلا تلك التي تناولت علم المخاطب كقرينة من القرائن المساعدة على فهم الخطاب، وقد اعتمدنا أساسا على كتاب دي بوجراند "النص والخطاب والإجراء" بترجمة "تمام حسان" والذي تحدث فيه الرجل عن الإعلامية باعتبارها معيارا من المعايير النصية كما تحدث عن درجات الإعلامية وآليات رفعها وخفضها، كذلك

من الكتب التي استأنسنا بها "الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال" للحاج صالح_ رحمه الله_ فالكتاب في بعض من فصوله تحدث عن الإعلام من زاوية نظر تداولية وأبان عن تعامل النحويين على رأسهم سيبويه مع الإعلامية وبين اختلاف وجهة نظر النحويين لها بعده.

كما اعتمدنا على بعض المقالات التي جعلت من الإعلامية عنوانا لها.

كما أن أي بحث إنما تستوقفه وتواجهه صعوبات كان في طريقنا نصيب وافر منها، على رأسها ضخامة المدونة وصعوبة لغة سيبويه على مستوانا المتواضع، كما لا يخفى أن الموضوع جديد لم يطرق سابقا الأمر الذي جعل النظرة إليه قاصرة.

لكن وبفضل من الله تمكنا من التوغل ولو بمقدار قليل في التراث والتنعم بأفيائه لنخرج هذا البحث للنور.

وقد استعملنا المنهج الوصفي التفسيري في دراستنا أين عمدنا إلى وصف ظاهرة الإعلامية عموما وتفسير بعض ما يترافق معها من ظواهر، كما اعتمدنا على المنهج الإحصائي في الشق التطبيقي.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقدم وافر الشكر والامتنان للأستاذ المشرف الدكتور محمد بن حجر على كل ما بذله من عطاء وما قدمه من نصائح وتصويبات كيف لا وهو صاحب فكرة الموضوع فالشكر له موصول وجزاه الله خيرا ونفع به، كما لا يفوتنا أن نشكر السادة الأساتذة المناقشين على تجشمهم عناء قراءة هذا العمل وتصويبه، وآخر قولنا أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد

التراث النحوي وكتاب سيبويه

انبثقت الدراسات النحوية من رحم القرآن الكريم، خدمة له بعدما تفشى اللحن نتيجة لدخول الأعاجم في الدين الإسلامي، وقد استطاع علماء العربية آنذاك بناء صرح الدراسات العربية بجهود منظمة نابعة من أعماقهم والحرص والاجتهاد يصاحب أعمالهم. فكان أن أسسوا بذلك علوما شتى على رأسها علم النحو الذي يعتبر بحق علما ذا أسس علمية قويمة وهذا ما أوضحته الدراسات الحديثة، وأبانته المناهج اللغوية الحديثة باختلافها.

إنّ مجرد الحديث عن النحو العربي والتغني به وبأعلامه غير كاف؛ ذلك أنّ الإجماع على علمية النحو العربي وصلاحيته حكم لا غبار عليه، وما يتطلب القيام به حاليا ليس مجرد التباهي به وإنّما خدمته، وتتم خدمته بالبحث فيه والخوض في غماره من أجل اكتناه أسراره، والكشف عمّا فيه من نظريات لغوية تضاهي بل وتفوق أحيانا النظريات الحديثة.

إنّ الحديث عن التراث النحوي العربي يقتضي بالضرورة الحديث عن الكتاب باعتباره الجامع للنحو العربي، وكل ما جاء بعده كان مستمدا منه.

وفي هذا المدخل سنحدد مفهوم التراث النحوي، وسنتحدث عن نشأة النحو العربي، ثم ننتقل للحديث عن الكتاب وقيمته العلمية.

المبحث الأول التراث النحوي:

1- تعريف التراث:

يتكون المصطلح من لفظتين سنحدد معنى كل لفظة على حدة، لنجمع المعنى المشترك للمصطلح.

1-1: التراث لغة:

جاء في لسان العرب في مادة:و-ر-ث،الوارث صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم، والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، أي يبقى بعد فناء الكل، ويفنى من سواه، فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لاشريك له...ابن الأعرابي: الوِرْثُ والوَرْثُ والإرْثُ والوِراثُ والإرَاثُ والتُّراثُ واحد.

الجوهري: الميرَاثُ أصلُهُ مِوْرَاثٌ، انقَلَبَتِ الواوُ ياءً لِكَسْرَةِ ما قبلَها، والتُّرَاثُ أَصْلُ التَّاءِ فِيه واوٌ. ابن سيده: وَالوِرْثُ والتُّرَاثُ وَالميراثُ: ما وُرِثَ؛ وَقِيلَ: الوِرْثُ والمِيراثُ في المالِ، وَالإرْثُ في الحَسَبِ...[1].

وقد جاء في الذكر الحكيم: ﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾[2].

يقول صاحب البحر المحيط في تفسير الآية: "كانوا لا يورثون النساء ولا صغار الأولاد فيأكلون نصيبهم، ويقولون لا يأكل الميراث إلا من يقاتل ويحمي الحوزة، والتراث تاؤه بدل من

[1]: لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل بن منظور، تحق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ص4808-4809.

[2]: سورة الفجر، الآية: 19

واو...وقيل: كانوا يأكلون ما جمعه الميّت من المظلمة، وهم عالمون بذلك يجمعون بين الحلال والحرام، ويسرفون في إنفاق ما ورثوه، لأنهم ما تعبوا في تحصيله كما شهدنا الوراث البطالين"[1].

إذن يقصد بالتراث التركة سواء أكانت في الأشياء المادية كالمال والمسكن... أو حتى المعنوية كالحسب والأخلاق...

التراث اصطلاحا:

من خلال المعنى اللغوي يمكننا أن نستشف مفهوما واضحا للتراث اصطلاحا؛ فنستنتج أنه يقصد به ما توارثته الخلف عن السلف في أي مجال كان من العلوم سواء أكانت شرعية أو لغوية أو حتى علمية، ولعل القارئ يستنتج من هذا التعريف أننا قد حصرنا معنى التراث في الجانب المعنوي؛ وسبب ذلك أنه يتناسب وطبيعة مصطلح التراث النحوي، على أن التراث قد يكون ماديا، ولم لا يمكن أن نعتبر مثلا تلك الكتب النحوية القديمة تراثا ماديا على الرغم من أنها تضم بين دفتيها أفكارا وآراء.

[1]: تفسير البجر المحيط أبو الحيان الأندلسي، تحق: عادل أحمد عيد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ، 1993م، ج 8، ص466.

ويعرفه الدكتور محمد عابد الجابري: "على أنه من إنتاج فترة زمنية تقع في الماضي وتفصلنا عن الحاضر مسافة زمنية ما تشكلت خلالها هوة حضارية فصلتها ومازالت تفصلها عن الحضارة المعاصرة، الحضارة الغربية الحديثة"[1].

النحو لغة:

نَحَوْتُ: "نَحْوَ الشيء مِنْ بابِ قَتَلَ قصَدْتُ(فالنّحْوُ) القَصْدُ وَمِنْهُ (النَّحْوَ) لأنَّ المُتَكَلِّم يَنْحُو بِهِ مِنْهَاجَ كَلَامِ العَرَبِ إِفْرادًا وَتَرْكِيباً و(النِّحْيُ) سِقَاءُ السَّمْنِ والجَمْعُ (أَنْحَاءٌ) ...و(نِحَاءُ) ...(وانْتَحى) فِي سَيْرِهِ اِعْتَمَدَ عَلى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ...ثُمَّ صَارَ(الْإِنْتِحَاءُ) الإِعْتِمَادُ وَالْمَيْلُ فِي كُلِّ وَجْهٍ...و(النَّاحيَةُ) الجَانِبُ فَاعِلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ لِأَنَّكَ(نَحَوْتَهَا) أيْ قَصَدْتَهَا"[2].

وجاء في لسان العرب: النون والحاء والواو كلمة تدل على قصد. ونحوت نحوه. ولذلك سمي نحو الكلام، لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به. ويقال إنّ بني نحوٍ: قوم من العرب. وأما أهل المنحاة فقد قيل: القوم البعداء غير الأقارب.

ومن الباب: انتحى فلان لفلان: قصده وعرض له[3].

---

[1]: التراث والحداثة دراسات...ومناقشات، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991م، ص30.

[2]: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، تحق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، ط2، للفيومي،ص596.

[3]: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن زكريا، تحق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م، 403/5.

وقد ذكر غيرهما معاني أخرى جمعها الإمام الداودي في بيتين هما[1]:

للنَّحْـــوِ سَـــبع معـــانٍ قَـــدْ أَتَـــتْ لُغـــة	جَمَعْتُهَـا ضِـمْنَ بيـت مفـرد مـثلاً
قَصْـــدٌ، وَمَثَـــلٌ، وَمِقْـــدَارٌ، وَنَاحِيَـــة	نَوْع، وَبَعْض، وَحَرْفٌ،فاحْفَظ المَثَلَا

إذن لمادة ن–ح–ودلالات عدّة، لعلّ المعنى القريب من المعنى الاصطلاحي القصد.

النحو اصطلاحا:

لقد ظهر هذا المصطلح بمفهومه هذا بداية عند الأخفش تلميذ سيبويه في معانيه،إذ نجده يقول :" وهذا لحن لم نسمع به من أد من العرب ولا أهل النحو" ، كما ظهر ذات المصطلح عند الفراء باعتباره معاصرا له، في قوله:" مجاز في قياس النحو"، غير أن هذا المصطلح بدلالته على العلم لم يرد عند سيبويه"[2]؛ لكن جاءت في الكتاب كلمة نحو كثيرا بالمعنى اللغوي، خاصة بمعنى مثل، من ذلك قول سيبويه: " ومررت برجل كريم أخوه وما أشبه هذا، نحو المسلمِ والصالح والشيخ والشّابّ"[3].

كما جاء فيه ذكر اسم النحويين، يقول: " وَإِنَّمَا ذكرنا هذا لأَنَّ ناسًا من النحويِّين يفرقون بين التنوين وغير التنوين..."[4]

---

[1]: حاشية الخضري على شرح بن عقيل على ألفية بن مالك، ضبط: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2003م، 1/ 15.

[2]: ينظر: منطق العرب في علوم اللسان، د–عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص26.

[3]: الكتاب، 2/ 22.

[4]: نفسه، 21/2.

وما يعزز كذلك ورود هذه اللفظة في الكتاب، ما جاء على لسان سيبويه: "إنّكم لتنظرون في نحُوٍ كثيرة"[1]، من خلال هذا القول يتضح لنا أنّ سيبويه "يخاطب النحويين ويظهر تعجبه للكثرة المهولة من العبارات التي ينظرون فيها. ويتضح من هذا أنّ أهل هذا العلم لقبّوا بالنحويين من زمان بعيد نسبة إلى موضوع بحوثهم الذي شغلوا به وهو النحوُ العربية. فحوّل الناس بعد سيبويه، ونخص بالذكر الأخفش، هذه النسبة إلى لفظة النحو فصار« النحويون»=« أهل النحو »...وربما أخذ ذلك من أحد معاصريه فصار النحو الذي هو مجرد «الضرب من الكلام » مصطلحا يتضمن معنى العلم والمهنة. وانتشر بعد ذلك ولم يشمل كل الباحثين إلا بعد زمان... "[2].

والجدير بالذكر أن النحو كان يسمى قديما بعلم العربية، كما جاء هذا على لسان ابن خلدون، وقبله في "مؤلفات أبي عبيد القاسم بن سلام وابن سلام الجمحي وغيرهما مع استعمالهما لكلمة نحو بمعنى العلم"[3].

أمّا عن سبب تسميته بالنحو فقد تواردت في هذا الشأن العديد من الروايات لعلنا هاهنا نتبنى الرأي الذي رجّحه الحاج صالح، إذ يقول: «يحكى عن أصل الاستعمال لكلمة«نحو» الحكايات الكثيرة فمنها ما جاء عند النحاة القدامى في كتب الطبقات أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أن ناول أبا الأسود الصحيفة التي كتب فيها بعض الأصول قال له:"

[1]: الكتاب، 381/2.

[2]: منطق العرب في علوم اللسان، ص27.

[3]: نفسه، ص28.

«انحُ هذا النحو» فسمي هذا العلم بالنحو، وقال السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه عند كلامه عن الكلام المستقيم القبيح: "الكلام ينقسم قسمين: كلام ملحون، وكلام غير ملحون؛ فالملحون هو الذي لحن به عن القصد، وكذلك معنى اللحن إنما هو العدول عن قصد الكلام إلى غيره، وما لم يكن ملحونا فهو على القصد، وعلى النحو، ومن ذلك سمي النحو نحوا"[1]. فهذا تفسير آخر وقد قال أحد الشراح للجمل وهو ابن العريف: قال المبرد: «سمي النحو نحوا لأنه من نحا، ينحو». فهو ناحية من العلم. وقيل سمي نحوا لأنهم كانوا يقرؤون في الكتب القديمة: «هذا نحو منه آخر فسمي بذلك نحوا؛ فهذا القسم الأخير من الكلام هو قريب من الحقيقة»[2].

إذن من خلال هذا النص نرى بأن الحاج صالح قد نقل أشهر أقوال أهل الاختصاص في هذا الشأن ثمّ رجّح القول الصائب، والمتمثل في قولهم ذاك نحو من كتاب.

ويعرف النحو–علم العربية قديما–بأنه: «انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره؛ كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم...»[3].

[1]: شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، تحق: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، 92./2

[2]: منطق العرب في علوم اللسان.

[3]: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، 1/34.

إذن هذا تعريف إجرائي يقصد به تتبع مجاري كلام العرب من أجل القول بالعربية والتمكن منها.

ويعرف النحو كذلك بأنه:علم بأصول يعرف بها أحوال الكلم إعرابا وبناء، والمقصود بهذا التعريف: أنه علم بقواعد كلية منطبقة على جزئياتها بسببه تعرف كلمات العربية، وما يطرأ عليها في التركيب، كالتقديم والتأخير من حيث الإعراب والبناء[1].

ويعرف بطريقة إجرائية في عرف الحاج صالح بأنه: الدراسة العلمية للبنى اللغوية، فالنحو العربي ليس مجرد عرض لقواعد العربية كما هو معروف بل هو درس تحليلي علمي وموضوعي لمجاري كلام العرب، كما جاء على ألسنة أصحابه وكما سمعه وجمعه العلماء، ومحاولة لضبطها بضوابط دقيقة[2].

[1]: ينظر: شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي، تحق: رمضان أحمد دميري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1414هـ، 1993م، ص53-54.

[2]: ينظر: البنى النحوية العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2016، ص3.

براءة النحو العربي من التأثير الأجنبي في نشأته:

إن النحو العربي في بداياته وفي نشأته كان علما موضوعيا يقوم على أسس وضوابط علمية جعلت منه نظرية علمية محكمة، ومختلف المناهج التي اعتمدها النحاة العرب في تأصيلهم للدرس العربي، أفرزتها اللسانيات الحديثة وقد سبقت بتلك الأساليب قبل قرون، وهذا وإن نمّ عن شيء فإننا ينم عن الوعي العربي آنذاك.

وقد اتهم النحو العربي في نشأته بتأثره بالمنطق الأرسطي وقد سال حبر كثير في هذا الصدد غير أن المتهمين للنحو العربي قد عجزوا عن الإتيان بدليل يبرهن على صدق دعواهم، وانقسم العلماء بين مصدق وبين مفند وبين متوسط، حتى فصل الحاج صالح في هذا الشأن[1] وقدّم أدلة علمية تقوم على بينات وشواهد وتحليلات عميقة فنّدت هذه الفكرة وبرأت النحو العربي من التهمة التي صاحبت النحو العربي زمنا طويلا، يقول تعليقا على هذه الفكرة: «وخلاصة القول إن جمهور الباحثين والمؤرخين قد قنعوا بوجود تأثير يوناني في نشأة النحو العربي. ولم يأت أي واحد منهم بدليل قاطع اللهم إلا ما أخرجه مركس من مقارنته للاصطلاحات العربية اليونانية...»[2]

ثم يقوم الحاج صالح بتتبع دلائل ماركس محاولا تفنيدها بحجج وأدلة ملموسة،وغايته في ذلك الوصول إلى الحقيقة، وقد ذكر في أثناء حديثه عن انطلاق فكرة إلباس النحو

[1]: كل الأدلة التي نقلناها مأخوذة من: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، 2012م، 1/47-55.

[2]: ينظر: نفسه، 1/47.

العربي تهمة التأثر بالمنطق الأرسطي، أن أقدم من خاض في هذا الموضوع من المستشرقين: أنياس جويدي، وأدالبير مركس، فأما الأول فقد قال دون أن يقدممبررا مقنعا في حين راح الثاني يبحث ويستفيض حتى اطمأن الجميع لما قال به، بل وصار مرجعا يستدل به في هذا الشأن، ثم يعود الحاج صالح إلى تقديم حجج مركس محاولا تفنيدها ودحضها متوخيا في ذلك الصحة والحقيقة.

ومن بين المسلمات التي اعتمدها ذاك الأخير، وبنى على أساسها معتقده:

1-ضرورة مرور زمان طويل تتكون فيه مقاييس النحو.

2-ضرورة اعتماد النحو على المنطق والمفاهيم الأساسية.

3- ضرورة اعتماد العرب النحاة على مفاهيم غريبة عنهم.

ويرى الحاج صالح أن هذه القضايا الثلاث باطلة من حيث الضرورة تستدعي نظرا من حيث الإمكان، وذلك بسبب أنّ:

القضية الأولى باطلة وبطلانها قائم على ادّعاء ضرورة طول المدّة، فالعلوم الإسلامية البحتة نشأت بسرعة، وهذا بإجماع العلماء، ففي أقل من قرن خرج إلى الوجود نحو تام التكوين، نسخ في كتاب سيبويه، وهذا ليس خرقا للعادة المألوفة وإنما ظاهرة نشأة النحو العربي جزء لا يتجزأ من نشأة العاهلية الإسلامية، ولا يفسر نشوء هذا إلا بتفسير ذاك فهما أمران متلازمان.

أما القضية التي تقول بضرورة بناء النحو على المنطق فليس من اللازم أبدا تأسيس النحو على المنطق؛ ذلك أنّ هناك فوارق بين اللغة والفكر، فالنظام المنطقي غير النظام اللغوي الذي خلق لإفادة المستمع فهو إلى قوانين فن المواصلات أقرب، وهذا ما فهمه النحاة العرب مما جعلهم يبنون النحو وفقا لمبدأ الاقتصاد اللغوي.

أما القضية الثالثة فلا تثبت صحتها إلا بأحد الشروط، كأن يثبت التاريخ ذلك، ولا سبيل إلى ذلك فلم يذكر أحد من النحاة العرب الأوائل أنهم أخذوا عن اليونان. أو وجود إشارة ولو خاطفة لأحد المصادر الأجنبية، وهذا أيضا لا يمكن العثور عليه، أو مشابهة الأصول النحوية العربية لأصول علمية أو فلسفة أجنبية، وهذا ما نفاه الحاج صالح إذ قال: "...إلا أنّنا يمكننا أن نقول من الآن أنه لا بدّ من مشابهة عميقة عريقة بين المنهاجين حتى تثبت القرابة إذ قد تكون المشابهة السطحية أو التي تظهر كأنها أصيلة من محض الاتفاق فكثيرا ما تتوارد الأفكار إذا كانت المعاني مما تشترك فيها جميع العقول"[1].

ومن القضايا التي يرى مركس اشتراكها بين النحو العربي ومنطق أرسطو، تقسيم الكلام ،لا بل يذهب إلى أكثر من ذلك ويرى أن أقسام الكلام عند أرسطو سبعة إلا أن العرب قد غفلوا عنه، وقد كان ردّ الحاج صالح على هذا الزعم كالآتي: " لا بدّ ههنا أن نبين حقيقة قد فاتت ماركس وأكثر من عني بهذا الموضوع وهي هذه، لا يوجد في كتب أرسطو أي تقسيم ثلاثي للكلام مطلقا، فأما كتاب العبارة (باري أرمنياس) فقد حدّد فيه أرسطو ما

[1]: السابق، 52/1.

يسميه بالأقاويل، فاقتصر منها على أجزاء الحكم Jugementوهما: Onomaو Rhêma ويقابلهما في ترجمة حنين بن اسحق الاسم والكلمة[1].

وهذا دليل على عدم وجود تقسيم ثلاثي، كما أن أرسطو لا ينظر إلى الكلام من وجهة نظر نحوية، وهذا بإجماع.

الغاية التي أسس من أجلها النحو العربي هي الغرض الذي خلق من أجله اللسان وهي الإفادة، وهما غير مطابقين للاسم والكلمة كما يفهمهما أرسطو، بل قد يوافق هذان المفهومان المسند والمسند إليه باعتبار شرطي التصديق والتكذيب، والواقع أن هذا الاعتبار باطل عند سيبويه، من هنا كانت مادة الدراسة النحوية العربية الحديث لا الحكم.

إذن حسبنا من هذه الأدلة العلمية أن نكفي ونكتفي بأن النحو العربي في بداياته نشأ بمعزل عن المنطق الأرسطي إذ لا يوجد ما يثبت تأثره به.

كان ولا يزال النحو العربي صامدا يواجه الانتقادات والاتهامات الباطلة ويبرهن في كل مرة على تميزه وعلميته وأحقيته، فرغم تعرضه للانتقاد على مختلف الأصعدة سخّر الله لهذا العلم من يخدمه.

تيسير النحو(النحو العلمي والنحو التعليمي):

وفي تاريخه الطويل دعا أبناء العربية إلى تيسير هذا الأخير وتسهيله، ومبرراتهم في ذلك أنه يشكل على الباحثين والمتعلمين فهمه ذلك أنه قديم لا يواكب الزمن، وخاض

[1]:نفسه، 1/ 53.

الباحثون في هذا الصدد كثيرا وانقسموا إزاء هذا الطرح إلى داع إلى إزالة أساسيات هذا الأخير تسهيلا له وإحياء، وبين رافض تماما لهذه الفكرة وبين متوسط فيها.

وقد بدأت دعاوي التيسير بادئ الأمر مع ابن مضاء القرطبي (ظاهري المذهب)، والذي أحدث ثورة على النحو العربي ودعا إلى إلغاء أهم أسسه وعلى رأسها القياس ونظرية العامل، إذ قال: " قصدي من هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه[1]"

وقد صرّح قبل ذلك بأن الذي حمله على تأليف الكتاب إنّما هو النصيحة، سيرا على قوله صلى الله عليه وسلم: "الدّينُ النصيحَةُ"[2].

وقد عمد هذا الأخير إلى هدم أسس النحو العربي من نظرية العامل إلى القياس إلى التمارين غير العملية.

وقد تعالت أصوات المنادين المحدثين بإلغاء أصول النحو أساسا بعد تحقيق شوقي ضيف لهذا الكتاب–الرد على النحاة–، إذ نجد هذا الأخير مرحبا بأفكار سابقه حاذيا حذوه، ومن بين الأقوال التي تثبت هذا: « والإنسان لا يلم بهذه الآراء لابن مضاء. وبطيل النظر في كتب النحو المطولة، وغير المطولة، حتى يحس الحاجة إلى تصنيف النحو تصنيفا

[1]: كتاب الرد على النحاة، لابن مضاء القرطبي، تحق: د–شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ص24.

[2]: نفسه، ص26.

جديدا. ولسنا ننفرد بهذا الإحساس، فقد أحسه من قبلنا ابن مضاء حين دعا إلى إلغاء نظرية العامل، وما يطوى فيها من علل وأقيسة، وأحسه من قبله الجاحظ...»[1].

وقد تبنى أفكار هذا الأخير غير واحد من الدارسين المحدثين وراحوا كل يقترح ويخطط ويؤلف حسب هواه، وليس القصد هاهنا إيراد تلك الأقوال والآراء ولا التعليق عليها وإنما المراد الوصول إلى حقيقة تيسير النحو العربي ومآلاتها، وقد استطاع الحاج صالح الفصل في هذا الطرح، حيث ميّز بين نحوين، أحدهما علمي، والآخر تعليمي، والنحو التعليمي هو الذي يصلح فيه التيسير والتخفيف على المتعلمين، لا النحو العلمي لأن إزالة أساس من أسس النحو كنظرية العامل مثلا هو تقويض لصرح علم عظيم بذل من أجله جهابذة العلماء الكثير.

يقول- الحاج صالح-ردا على دعاة التيسير:"...أما في زماننا هذا الذي نعيش فيه فقد ظهرت نزعة سلبية جدا تتميّز بالإنكار التام للنهج الذي سار عليه النحاة كلّهم على ما يزعمون، ولم ينج من ذلك حتى العباقرة منهم...2

إنه لتبرير قويم وصحيح، فما نفر الباحثون العرب من هذا التراث النفيس، وأقبلوا على المناهج اللغوية الحديثة والنظريات الغربية؛ إلا لأنهم عجزوا فعلا عن فهمه، وليس العيب

[1]: نفسه، ص46.

[2]: البنى النحوية العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2016م، ص282.

في عدم الفهم، ذلك أن تراثا بضخامة ما خلفه الأسلاف، يحتاج فعلا إلى وقت طويل وصبر وذكاء كبيرين، لكن العيب والخطأ في اتهام هذا التراث والتقليل من شأنه.

وردّ الحاج صالح على دعاة التيسير لم يكن ردا قوليا، بل كان ردا إجرائيا، وذاك المطلوب، فلطالما شهدنا سجالات عقيمة لا فائدة مرجوة منها، والحاج صالح أعطى حججا دامغة وردا قويا لا يستطاع بعده القول، وذلك من خلال تفريقه بين النحو العلمي والنحو التعليمي كما سبق وذكرنا، إذا رأى أنه فعلا المتعلمون يحتاجون إلى تسهيل وتيسير، بل تقريب للمادة العلمية، لكن ليس من خلال الحذف والاستغناء عن جلّ أبواب النحو، كنظرية العامل مثلا، فالنحو العربي مبني أساسا على هذه النظرية، ذلك أن تقليص النحو العربي واختزاله هو نكران لجهود المتقدمين، الذين بذلوا ما باستطاعتهم من أجل الحفاظ على لغة القرآن الكريم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى هو تخلف فعوض تطويره والارتقاء به نحن نخلق فيه فوضى في هذا الشأن.

يرى الحاج صالح بأن الكثير ممّن لهم علاقة وطيدة باللغة والنحو والتدريس يرون أن النحو وسيلة لاكتساب الملكة اللغوية، وقد دفعهم ذلك للاعتقاد بأن هذا النحو كما وصلنا غير صالح لتحقيق هذا المرام، واعتبر ذلك خلطا بين ميدانين، الأول يتعلق بالجانب النظري" النحو العلمي"، والثاني يتعلق بالجانب التطبيقي" النحو التعليمي"[1].

[1]: ينظر: النحو العلمي والنحو التعليمي ضرورة التمييز بينهما، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عبد الرحمن الحاج صالح، ع127، ص145.

وقد اعترف الحاج صالح أنّ الكتب النحوية القديمة ككتاب سيبويه، لا تصلح حقيقة لاكتساب الملكة اللغوية؛ لأن مضمونها علمي بحت، والهدف منها كما سطره الأولون هو توجيه مجموعة من الضوابط النحوية لغير المتقنين للعربية من أبناء العرب والمسلمين؛ لكي يرجعوا إليها ليس من أجل اكتساب اللغة بل لجعلها ضوابط يعتد بها كمرجع، ولولاها لضاعت أصول العربية ولما تمكنا من معرفة العربية معرفة صحيحة، واعتبر أن النحو التعليمي وإن كان مرجعه النحو العلمي؛ فإنه ميدان آخر، وصرح بأن الخلط بين الميدانين، حصل منذ القدم، حتى عند بعض النحاة، وقد ذكر الحاج صالح طرقا إجرائية تعليمية ذكرها المتقدمون، أمثال الجاحظ، وأشاد بها؛ والتي تقوم على التشبع بالسمع والمناقلات بكلام العرب شعرا ونثرا، مما يجعل المتعلم يتشرب بالنصوص العربية، وهذه الطريقة تجعله يكتسب المهارة"[1].

فالنحو العلمي (النظري) يشمل الدراسة العلمية لكل ما يحيط بالإنسان والإنسان نفسه بما في ذلك اللغة كظاهرة ونظام أدلة ولا ينكر ذلك إلا معاند، وأما الثاني –أي النحو التعليمي فيدخل فيه تعليم اللغة واكتساب المهارة في استعمالها[2].

إذن فالنحو العلمي النظري ينظر في الإنسان وكل ما يتعلق به أو يحيط به، وأهم ما يحيط بالإنسان اللغة باختلافها كلغة الإشارة أو الصم البكم وغيرها، في حين يسعى الثاني إلى تعليم اللغات.

---

[1]: ينظر: السابق، ص147-148.

[2]: البنى النحوية العربية، الحاج صالح، ص273.

تعريف التراث النحوي:

بعدما عرفنا النحو وعرجنا على مجمل القضايا المتصلة به آن لنا أن نعرف التراث النحوي، فنقول: يقصد به كل ما خلفه علماء النحو الأوائل من آراء وأقوال وأفكار ونظريات، والتي دونت في الكتب وتناقلها العلماء.

وقد عرّف الحاج صالح التراث اللغوي عموما قائلا:"والذي نقصده من التراث اللّغوي العلمي هو ما تركه العلماء العرب القدامى من أعمال جليلة انطلقت كما هو معروف من دراسة القرآن للحفاظ على لغته وذلك بطريقة علمية وهو الاستقراء للنص القرآني واختراع نظام من الإعجام والنقط لتصحيح القراءة وظهر هذان العملان معا[1].

وقد امتاز النحو العربي منذ القديم بخصائص خولته ليكون علما شاملا لا تضاهيه كل الأنحاء، وهذا ما قال به الحاج صالح بعد ما أبحر في التراث النحوي ليتبين ويبين ذلك، فالنحو العربي امتاز بالجمع بين نظرتين تتمثل الأولى في النظر في الظواهر اللغوية كما سمعت ونطقت من الجانب الاستعمالي والاجتماعي ومن حيث هي أصوات ذات مخارج وتنوعات لغوية.

في حين تمثلت النظرة الثانية في النظر في الوحدات اللغوية من الناحية التوليدية أي الضوابط اللغوية[2].

[1]: السماع اللغوي العربي عند العرب، الحاج عبد الرحمن صالح، موفم للنشر،الجزائر، 2012م، ص7.

[2]: ينظر: البنى النحوية العربية، ص4.

وقد عجز لغويو هذا العصر عن إعطاء كلا الجانبين حقه من الاعتبار والدراسة العلمية، بداية من القرن العشرين بداية مع سوسير، والسبب راجع إلى تغليبه اتجاها على آخر إما باحتقار جانب الضوابط واعتباره غير علمي؛ ذلك أن النحو عندهم لا يكون تقريريا معياريا بالمعنى التعسفي، كنبذهم للجانب البنوي مع سوسير(وهذا خاص بالتطوريين التاريخيين)، وهناك موقف يعتقد النحو متعلق فقط بتعليم وإكساب المتكلم مهارة استعمال اللغة، وتجاهل دوره في الجانب النظري وهذا ما حصل فعلا مع الكثير من المثقفين العرب[1].

إن الحديث عن نشأة النحو العربي يعد حديثا عن بداية الدرس العربي والتأصيل له، والحديث في موضوعات كهذه طرق لموضوع شائك تتعارض فيه الآراء وتتضارب، وسنحاول قدر المستطاع اعتماد الطرح المناسب، فالباحث عن نشأة النحو العربي يساوره الشك، وتحيد به المناهج، ذلك أن القدماء لم يميطوا اللثام برمته في هذا الشأن، والمحدثين عجزوا عن تناول الموضوع تناولا علميا يزيل ما يشوب الموضوع من اختلافات وتناقضات[2].

لكنّ الأقوال الأقرب للحقيقة والتي تبناها أوثق اللغويين وأثبتوا صحتها أنّ السبب الرئيسي لنشأة النحو العربي كانت نتيجة للفتح الإسلامي وإقبال العجم على العربية بعد دخولهم الإسلام ممّا نتج عنه جيل جديد أطلق عليه لقب جيل المولدين(بداية القرن الثالث)، وقد ظهرت في هذه الآونة أخطاء جمّة في نطق القرآن الكريم ممّا تولد عنه تغيّر في معاني القرآن الكريم دون قصد، ولأن الله توعد بحفظ القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

[1]: ينظر: نفسه، ص5.

[2]: ينظر: اللغة والنحو، دراسة تاريخية مقارنة، حسن عون، ص198.

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، كتب الله لهذه اللغة باعتبارها وعاء القرآن الكريم الحفظ والصون فكان أن سخّر لها من يسعى لخدمتها، أين ألهم نفرا من علماء العربية إلى أسلوب علمي بحت لم يسبقهم إليه سابق يقوم على استقراء القرآن الكريم والنظر في كلماته من ناحية الإعراب ثم قاموا باستحداث نظام من العلامات الخطية التي كانت بداية عبارة عن علامات ونظام من النقط[2].

إذن فالغرض الرئيسي لنشأة النحو العربي كان غرضا دينيا، ولمّا كان الغرض دينيا برع العلماء العرب ووُفقوا أيّما توفيق في دراستهم.

فالذي يتفق عليه أهل العربية حول نشأة النحو العربي، أن الدافع الرئيسي لذلك إنما كان انتشار اللحن، لكنه ليس الدافع الوحيد فإلى جانبه دعت عدّة أمور إلى بناء صرح الدرس العربي ككل منها: الخوف على القرآن الكريم من الفساد، الحفاظ على العربية الفصيحة، والتسهيل على الوافدين الجدد إلى الدين الإسلامي كواجب علمي[3].

أما عن أسباب انتشار اللحن فمردها دخول الأعاجم في الدين الجديد، لذا كان من واجب العلماء العرب أن يشمروا على سواعدهم من أجل الحد من هذه الظاهرة التي قد تفتك بالعربية وبالقرآن الكريم.

---

[1] : سورة الحجر، الآية: 19

[2]: ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، الحاج صالح، ص27.

[3]: ينظر: نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة، د–طلال علامة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م، ص46.

والذي نذهب إليه ونرجحه في هذا الصدد ما ذهب إليه الدكتور محمد بن حجر ،إذ يرى أن سبب نشأة النحو العربي وكل علوم العربية كالفقه هو الحاجة الماسة التي دفعت على اجتهاد العلماء في الفقه وتعليم العربية لغير أهلها، مما دفع بهم إلى التفكير في طريقة تضبط النص القرآني وتحافظ عليه كما أنزل وتلقاه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وتضبط كذلك قواعد اللغة من أجل أن يسهل فهمها وتعلمها[1].

كما يعتبر التابعي أبو الأسود الدؤلي أول من خطا أول خطوة علمية منهجية في صناعة النحو العربي من خلال نقطه للمصحف حيث بيّن حركات إعراب القرآن الكريم، وقد قام ذلك بطلب من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[2]

وقد نشأ النحو العربي نشوء كائن حي، صغير ثم ما لبث أن صار يافعا حتى وصل مرحلة النضوج، وعلى ضوء هذا مر تشكل النحو العربي بأربعة أطوار، هي[3]:

1-مرحلة الوضع والتكوين برزت فيها إسهامات أبي الأسود الدؤلي.

2-مرحلة النشوء والنمو.

3-مرحلة النضج والكمال.

4-مرحلة التصنيف والبسط فيه.

[1]: ينظر: العلة والتعليل بين النحاة والفقهاء، محمد بن حجر، مركز الكتاب الأكاديمي، ص26.

[2]: ينظر :السابق.

[3]: نشأة النحو العربي وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص36.

لا يسعنا في هذه المحطة الحديث عن الواضع الأول للنحو لأن الآراء في هذا الخصوص متضاربة، كما أنه لا يمكننا الانتصار لشخص دون الآخر لكن ما نقر به ههنا أن نشأة أي علم من العلوم لن يكون بالسهولة التي يستشعرها القارئ أو الباحث خاصة إذا كان علما بحجم النحو العربي، إنما هذا العلم بنته أيادي علماء كثر انتقل فيها المشعل من جيل إلى جيل ليس همهم الشهرة أو المال وإنما همهم الوحيد خدمة القرآن الكريم.

المبحث الثاني: **القيمة العلمية لكتاب سيبويه:**

لا يمكن الحديث عن النحو العربي دون الحديث عن كتاب سيبويه باعتباره جامعا للنحو العربي،فهو أول مولود علمي لغوي جمع بين دفتيه قضايا اللغة العربية متناولا إياها من مختلف الجوانب، بهذا لا يمكن تصنيفه ضمن الكتب النحوية فحسب بل هو كتاب لغوي جامع فإلى جانب تناوله لمسائل النحو والصرف فقد ضمّ ين دفتيه العديد من المسائل اللغوية، كما تناول اللهجات والشعر والنقد...

وقد استطاع سيبويه أن يعالج القضايا اللغوية معالجة علمية متخذا آراء المتقدين مجتهدا في إبراز الوجه الأنسب في المسألة المعالجة، فيذكر المسألة ثم يعالجها ويبين كيفية التعامل معها ، مكثرا من الأدلة والشواهد.

وقبل الحديث عن الكتاب حقّ علينا أن نتحدث عن صاحب الكتاب.

سيبويه:

1-مولده ونشأته:

هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي الولاء، يُكنى أبا بشر، الملقب بسيبويه،إمام النحاة، يعد أول من بسط علم النحو. أخذ النحو والأدب عن الخليل، ويونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر.

ورد بغداد، وناظر بها الكسائي، وتعصب عليه أصحابه، وجعلوا للعرب جعلا حتى وافقوه على الخلافة. من مؤلفاته: كتاب سيبويه في النحو، وقد لقب بسيبويه ومعناه رائحة التفاح[1].

ولد سيبويه بالبيضاء، وهي أكبر مدينة في كورة اصطخر فارس، ولأن الهجرة كانت فاشية متواصلة في ذلك الزمان، هاجر سيبويه رفقة أهله إلى البصرة فنشأ بها، وقد شرع سيبويه يطلب العلم منذ نعومة أظافره، فكانت أولى العلوم التي تلقاها الحديث والفقه، وكان يستملي الحديث على حماد بن سلمة، وقد كان شديد الأخذ، وسبب انكبابه على النحو هو لحنه في حديثه صلى الله عليه وسلم:" ليس من أصحابي إلاّ من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء" فبدل قوله (ليس أبا الدرداء) قال: (ليس أبو الدرداء) وظنه اسم ليس.

من هنا قرر سيبويه طلب النحو فلازم الخليل، وقيل لازم مجلس الأخفش مع يعقوب الحضرمي والخليل وسائر النحويين.

وفي رواية أخرى أنه بينما حماد بن سلمة يملي عليهم، كتب سيبويه جبل الصفاء بدل جبل الصفا، فقال له حماد:" يا فارسي لا تقل الصفاء، لأن الصفا مقصور، فكان أن انفعل سيبويه، وكسر القلم وقرر إحكام العربية أولا[2].

[1]: ينظر: معجم المؤلفين، عمر كحالة، دار النشر لبنان، ودار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج8، ص10.

[2]: ينظر:كتاب سيبويه، عمر بن عثمان بن قنبر، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخافجي، القاهرة، ط3، 1408هـ، 1988م، 1/6-7-8.

2ـ شيوخه وتلامذته[1]:

من أشهر شيوخه كما سبق أن ذكرنا الخليل بحكم ملازمته له، إلا أن سيبويه لم يتوان في قصد أكبر الأئمة والشيوخ، ليستكمل ملكته ويبرع، فكان أن مرّ على العديد من الشيوخ نذكر منهم دون حصر:

حماد بن سلمة بن دينار البصري، الأخفش الأكبر، يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري القارئ، عيسى بن عمر الثقفي البصري.

ولما برع سيبويه وذاع صيته صار قبلة لطلاب العلم، فكان أن تكوّن على يديه العديد من العلماء، أشهرهم:أبو الحسن الأخفش، قطرب.

3ـ وفاته:

لم يشأ سيبويه المكوث في بغداد، فارتأى مفارقتها إلى الأهواز، فسأل عمن يرغب في النحو من الملوك، فقيل له طلحة بن طاهر، فخرج إليه وقيل إنّه عرج على البصرة قص على تلميذه الأخفش ما حدث بينه وبين الكسائي، ثم سار إلى الأهواز وهناك مات ويرجح أن تاريخ الوفاة كان سنة 180هـ[2].

أما عما وقع بينه وبين الكسائي، فهو مناظرة وسمت بالمسألة الزنبورية ويقول الرواة في شأنها أن سيبويه أبى إلا أن يجتمع بالكسائي عند البرامكة، أو في دار الرشيد، فلقيه قبله أصحاب الكسائي، ومنهم الأحمر وهشام والفراء، وناظروه وواجهوه، ثم واجه الكسائي في

[1]: ينظر: نفسه، ص8-16.

[2]: ينظر: السابق ، ص18.

المسألة الزنبورية، كما يقال أن سيبويه خطئ في هذه المناظرة ظلما؛ ذلك أن الخطأ لم يكن علميا، بل افتعالا من أصحاب الكسائي، إلا أنّ يحيى البرمكي قد كافأ سيبويه حفاظا لمقامه، فأجازه بعشرة آلاف درهم[1].

كتاب سيبويه:

بعدما مررنا مرور الكرام على حياة عظيم من عظماء النحو، آن لنا أن نقف على قيمة كتابه، ونتبين منهجه فيه متوخين الاختصار قدر الإمكان.

1-قيمة الكتاب العلمية:

يعتبر كتاب سيبويه مرجعا لكل الباحثين في مجال الدراسات العربية، ذلك أن صاحبه قد استوفى فيه تقريبا جل قضايا العربية، فالباحث يستشف منه كل ما يريد، ومع هذا فإن الكتاب يحتاج في فهمه إلى تدقيق وقراءة بإمعان، لأنه مركز ويستأنس فيه بالشروح.

ولقد لاقى الكتاب لنفاسته وعظم مكانته تقديرا واهتماما كبيرين من طرف المتقدمين وحتى المتأخرين بصرف النظر عن المحدثين المعاصرين، فقد روى الجاحظ أنه أراد الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات ففكر في شيء يهديه له فلم يجد أحسن من الكتاب، فلما أهداه إياه قال له ابن الزيات: والله ما أهديت لي شيئا أحبّ إلي منه[2].

[1]: ينظر: نفسه ، ص17-18.

[2]: ينظر: نزهة الألباء في طبقة الأدباء، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418، 1998، ص62.

وهذا وإن دلّ على شيء فإنما يدل على مدى احتفاء العلماء وأهل العربية بالكتاب، وتقديره لما يحتويه هذا الأخير من درر.

الأقوال والشهادات التي تدل على مكانته في نفوسهم كثيرة نذكر منها ما قاله الجاحظ نفسه:لم يكتب الناس في النحو كتابا مثله وجميع ما كتب الناس عليه عيال[1].

ولقد ألف الناس قبل سيبويه لكن لم يصلنا إلا الكتاب الذي جمع شتات الكتب وأقوال العلماء وآراءهم قبله وهذا الذي زاد من قيمته.

والقدماء كانوا يسمون الكتاب بالبحر تشبيها له بالبحر لكثرة جواهره وصعوبة ركوبه، وقد كان المبرد إذا أراد إنسان أن يقرأه عليه يقول له: هل ركبت البحر؟ تعظيما له واستعظاما لما فيه، وكان أبو عثمان المازني معجبا بالكتاب حتى كان من إعجابه به وإكباره له يقول: من أراد أن يعمل كتابا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي[2].

وقد ذاع صيت الكتاب وصار يتداول ويقرأ في المجالس العلمية ببغداد بفضل المبرد الذي قرأه على الجرمي والمازني، وقد اجتمع الناس حوله وأعجبوا أيما إعجاب بالكتاب، وانتقل الكتاب إلى مصر بواسطة الدارسين الذين جاؤوا منها إلى البصرة وبغداد أو الذين وصلوا مصر عند هجرتهم من العراق[3].

---

[1]: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 3/ 463.

[2]: الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، ص77.

[3]:ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1385هـ، 1965م، ص62.

والمعلوم أن الكتاب عرف باسم الكتاب، ويرجح أن سبب عدم تسميته من قبل سيبويه رغم أن الناس في زمانه كانوا يجعلون أسماء لكتبهم، أن سيبويه قد وافته المنية قبل أن يستوفي كتابه؛ أي قبل أن يكمله، كما أنه لم يجعل له مقدمة ولا خاتمة، وعلى الرغم من عدم تخصيص عنوان له إلا أنه ولشهرته وفضله كان علما عند النحويين، فلما يقال قرئ الكتاب يعلم مباشرة أنه كتاب سيبويه[1].

وقد زعم العديد من الدارسين أن الكتاب خلو من المقدمة والخاتمة أمثال: حاجي خليفة، علي النجدي الناصيف، وعبد السلام محمد هارون[2]، إذ قال هذا الأخير:" فليست للكتاب مقدمة وليست له خاتمة، مع جلالة قدره، وإحكام بنائه"[3]

وقد صرحت خديجة الحديثي في كتابها المدارس النحوية، أنّ الكتاب وعلى الرغم من خلوه من مقدمة وخاتمة إلا أنه لا يخلو من منهج منظم في التأليف، إذ قالت: " ولم يكن الترتيب والتنظيم المنهجي واضحا في هذا فقط، وإنّما اتضح أيضا بما جعله بداية افتتح به الكتاب من أبواب، لا بدّ من جعلها سابقة لغيرها، لأنها مقدمات لما سيجيء بعدها ممّا يرتكز عليها، ويقوم بها"[4].

---

[1]: ينظر: كتاب سيبويه، 24/1.

[2]: ينظر: مقدمة كتاب سيبويه، محمد بن حجر، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد السابع عشر، السنة التاسعة، 1434هـ، 2013م، ص175.

[3]: كتاب سيويه، 23/1.

[4]: المدارس النحوية، خديجة الحديثي، دار الأمل، الأردن، ط3، 1422هـ، 2001م، ص83.

وخير ما نفصل به في قضية خلو كتاب سيبويه من مقدمة وخاتمة ما استخلصه الدكتور محمد بن حجر بعد بحثه واستقصائه لهذا الموضوع، إذ يقول:"والخلاصة أن أبواب كتاب سيبويه السبعة الأولى هي عند المحققين من الدارسين قديما وحديثا تمثل مقدمة الكتاب بلا مثنوية، وأن سيبويه قصد إلى أن تكون مدخلا للكتاب، لأنه وضع فيها المبادئ الأولى والمفاهيم الإجرائية القاعدية لتحليل اللغة بنويا وخطابيا، وكان علينا نحن أن ننتبه إلى ذلك لنفهم جيدا أن سيبوبه وضع نظرية النحو العربي بسدادها ولحمتها على طرف الثمام"[1].

خلاصة الدكتور نتاج بحث طويل وتدبر عميق في الكتاب واستدلال بأقوال بعض العلماء، فقد صرح بأن فكرة خلو الكتاب من مقدمة كانت دائما تتعارض مع ما كان يجده في أبواب الكتاب الأولى من مفاهيم أساسية ومصطلحات علمية بقيت تتردد في بقية الأبواب بصورة هادفة[2].

ومن شغف العلماء بكتاب سيبويه وإعجابهم الكبير به سموه قرآن النحو، لأنه جمع جوامع العربية ولخص ما قال به سابقوه، ومن الطرائف في هذا الصدد أن أحد النحاة كان يختم الكتاب كل خمسة عشر يوما، ويرجّح أن تاريخ تأليف الكتاب كان بعد وفاة الخليل، أي بعد 160هـ، إلا أن الدكتورة خديجة الحديثي ترجح أن يكون قد ألف جزءا منه في حياته والجزء الآخر بعد وفاته[3].

[1]: مقدمة كتاب سيبويه، محمد بن حجر، ص193

[2]: ينظر: نفسه، ص17.

[3]: ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص82.

وممن شهد ميلاد الكتاب أبو الحسن الأخفش، حيث قال كما في رواية ابن قتيبة عن الرياشي: كان سيبويه إذا وضع شيئا من كتابه عرضه علي وهو يرى أني أعلم منه؛ وكان أعلم مني، وأنا اليوم أعلم منه[1].

أسلوب الكتاب ومنهجه:

أما عن أسلوب الكتاب فيرى أهل الاختصاص أن الأسلوب كان يشوبه بعض الغموض؛ ذلك أنه يحتاج في فهم عباراته إلى توضيح؛ لأن الكتاب ألف في زمان كان أصحابه متعودون على تلك اللغة وهذا ما ذهب إليه ابن كيسان لما قال: "نظرنا في كتاب سيبويه فوجدناه في الموضع الذي يستحقه، ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح، لأن كتابه ألف في زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ، فاختصر على مذاهبهم"[2].

إلا أنه قد جاء من المحدثين من ينفي هذا الحكم عن الكتاب وهي الدكتورة خديجة الحديثي، أين ترى هذه الأخيرة أن سيبويه قد تناول مضامين كتابه بأسلوب واضح سلس مما أضفى عليه سهولة ويسرا، وترجح سبب وقوع الغموض في بعض عبارات الكتاب إلى عدم وضوح الفكرة أو بسبب النساخ وما نجم عن نسخهم من أخطاء وترى أن معظم الكتاب واضح وسهل، وترد في الوقت نفسه على أولئك الذين ادّعوا أن سيبويه قد تعمد ذاك الإبهام والغموض أمثال علي بن سليمان والبغدادي[3].

---

[1]: ينظر: كتاب سيبويه، 25/1.

[2]: كتاب سيبويه، 1/ 31

[3]: ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص89

وقد شُرح الكتاب شروحات كثيرة وهذا دليل أولا على استغلاق فهمه من قبل المبتدئين أو المحدثين، كما يدل من ناحية أخرى على القيمة الكبيرة لهذا الأخير.

وعلى الرغم من أن الكتاب لا يتضمن مقدمة وضح فيها صاحبه المنهج الذي سار عليه، ما لا يشتمل على خاتمة أرسى فيها سيبويه نتائج دراساته، إلا أن الكتاب يمضي وفق منهج بيّن دقيق، فذو البصيرة يكتشف بالتمعن والتأمل أن سيبويه قد رتب مضامين كتابه ترتيبا منطقيا فقدم ما يجب التقديم وأخر ما يجب التأخير، كما يتضح له أنه عد علوم العربية ثلاثا وهي النحو والصرف وعلم الصوت، وفق هذا المنوال جاء الكتاب مرتبا، فجعل الجزء الأول من طبعة بولاق وأول الجزء الثاني يتضمن موضوعات النحو مستقلة، في حين ضمن ما تبقى موضوعات مما يدرس دراسة نحوية صرفية، ليختم الكتاب بأبواب خاصة بمسائل وقضايا صوتية، بل وحتى في ترتيبه للقضايا والمسائل نفسها رتبها ترتيبا منطقيا أين تبنى مسألة على مسألة وأسبق المسائل التي تبنى عليها لاحقاتها[1].

ويبقى كتاب سيبويه مرجعا لكل الباحثين في جل قضايا العربية لأن الرجل اعتمد منهجا سليما ساوق فيه بين الوصف والتفسير مقلبا عناصر اللغة مبرزا كل الأوجه منتقيا إياها من الواقع الاستعمالي، وبهذا جمع النحو فسمي قرآنا وسبق عصره فصار قبلة للباحثين حتى المحدثين منهم اليوم.

[1]: ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص82-83.

الفصل الأول:

مدخل نظري لتحديد المصطلحات

والمفاهيم وبيان العلاقة بينها

تمهيد:

ينبغي على الباحث قبل أن يلج أيّ مجال علمي أن يمتلك مفاتيحه ويتمكن منه ويستوعب مضامينه، ويقف على ما طرأ عليه من تطورات، ولا يتأتى له ذلك إلا من خلال التمكن من مصطلحاته ذلك أننا نعيش في عصر السرعة فما نلبث إلا قليلا حتى يهاجر المصطلح من علم لعلم آخر، من هذا المنطلق أصبح لزاما الإحاطة بالمصطلحات ذلك أن المصطلحات مفاتيح العلوم، ولا سبيل إلى علم من العلوم إلا من خلال الإحاطة بمفاهيمه، ونتيجة للتفتح الذي تتعايش في ظله جل العلوم كثيرا ما نجد المصطلح الواحد تتجاذبه عدّة مجالات علمية، فيختلف معناه من حقل معرفي لآخر، من هذا المنطلق كان حريّا بنا أن نخصص هذا الوصيد لاستجلاء المصطلحات التي تمت لموضوعنا بصلة ، ويمكن حصر هذه المصطلحات كالآتي:

النص، لسانيات النص، الجملة، الخطاب، علم المخاطب، الإعلامية، التداولية...

1- اللسانيات النصية:

هذا المصطلح يتكون من مفردتين: لسانيات والنص؛ وفيما يأتي بيان لكل مصطلح على حدة:

1-1- اللسانيات لغة:

يتكون هذا المصطلح من (لسان) واللاحقة(يات) التي تدل على العلم، للدلالة على علم اللسان، واللسان في اصطلاح أصحاب المعاجم هو جارحة الكلام، وقد يكنى به عن الكلمة، واللسان اللغة...ويأتي بمعنى الرسالة...[1].

جاء في مقاييس اللغة: "اللام والسين والنون أصل صحيح واحد، يدل على طول لطيف غير بائن، في عضو أو غيره. من ذلك اللسان، معروف، وهو مذكر والجمع ألسن، وإذا كثر فهي الألسنة. ويقال لسنته: إذا أخذته بلسانك...

وقد يعبر بالرسالة عن اللسان فيؤنث حينئذ...

واللَّسَنُ: جودة اللسان والفصاحة. واللَّسَنُ: اللغة، يقال لكل قوم لِسْن أي لغة...

ويقولوم: المَلْسون: الكذّاب. وهذا مشتق من اللسان، لأنه إذا عُرف بذلك لُسن، أي تكلمت فيه الألسنة..."[2]

واللسان من القوم: المتكلم عنهم، و-من النار: شعلتها، وهي ما يتشكل منها على هيئة اللسان، و-من الميزان: عَذَبته...[3].

واللسان: المِقول، ويؤنث،ج: ألسنة، وألسن، ولسن، واللغة، والرسالة، والمتكلم عن القوم...وألسنه قوله: أبلغه...والإلْسان: الإبلاغ للرسالة...وفلان ينطق بلسان الله،

1:ينظر: لسان العرب، (ل-س-ن)، ص4030.

[2]: معجم مقاييس اللغة، " 5/ 246-247.

[3]: معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1380هـ، 1960م، ج5، مادة(ل س ن)، ص186.

أي: بحجته وكلامه. وهو لسان القوم: المتكلم عنهم، ولسان النار: شعلتها...[1]

إذن اللسان هو آلة القول وجارحته، ويعني كذلك الإبلاغ والرسالة والكلام واللغة.

1-2- اللسانيات اصطلاحا:

لقد رُوّج لهذا المصطلح بالعديد من المصطلحات نتيجة للترجمات المتعددة ذلك أنّ هذا المصطلح بمفهومه المتبلور هذا وافد إلينا، ومن بين هذه المصطلحات: علم اللغة، الألسنية، علم اللسان، اللسانيات....

ويقصد به: العلم الذي يختص بمجال اللغة، أو أنّه الدراسة العلمية للغة...[2]

وتعرف اللسانيات LINGUISTIQUEفي معجم المصطلحات الألسنية بأنّها "العلم الذي يبحث في اللغة من جميع جوانبها الصوتية والنحوية والدلالية والمعجمية"[3].

إذن اللسانيات ما هي إلا ذلك العلم الذي يُعنى بدراسة اللغة من كل جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية...

و"يرى دي سوسير أن اللسانيات فرع من السيمياء أي علم العلامات العام، الذي يدرس الأنظمة المختلفة للأعراف...ويحدد موضوع اللسانيات في آخر كتابه

1: القاموس المحيط، الفيروز الآبادي، تحق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ، 2005م، ص1230-1231.

2: اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ترج: مصطفى التوني، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1987، ج1، ص49.

3: معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي-إنجليزي-عربي، د-مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص168.

قائلا: إنّ موضوع اللسانيات الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها"[1]

وكأن سوسير من خلال قوله الأخير قد نسي أن صرح الدراسات العربية إنما قام لأجل القرآن الكريم، وقد كان الدرس العربي النموذج الأمثل الذي أحاط باللغة من كل جوانبها وهذا بشهادة ثلة من العلماء الغرب على غرار المستشرقين[2].

وبالبحث في تراثنا العربي نجد أن لهذا المصطلح تداولا بين العرب، ذلك أن أول من استعمله الفارابي، يقول الحاج صالح في هذا الموضوع: ((أما التسمية الحديثة Science of Languageفهي ترجمة للعبارة العربية "علم اللسان" التي استعملها الفارابي ونقلت عن طريق الترجمة اللاتينيةScientiaLingue))[3].

وبالتالي فاللسانيات ليست بالعلم الجديد على العرب بل كانوا على دراية بهذا المفهوم غير أنهم لم يوحدوا مصطلحا واحدا ليدل على نفس المفهوم؛ تطبيقا لقولهم "لا مشاحة في الاصطلاح".

---

[1]: ينظر:اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005م، ص 121، 122.

2: نذكر منهم: ساكتيوس، وديمارساي، وقد ذكر الحاج صالح أنهما تأثرا بالنحو العربي بل واقتبسوا منه أمورا طبقوها على نحوهما، ومن المستشرقسن نذكر: ديساسي، ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، 2012، 2/ 276-277.

3: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، 2/273-274.

1-3- النص لغة:

بالبحث في معاجمنا العربية القديمة يمكننا أن نستجلي عدة مفاهيم يدور في فلكها مصطلح النص أهمها الرفع، ومنتهى الشيء، والحركة والاهتزاز، والسير الشديد...[1]

وبالنظر في مقاييس اللغة نجد:" النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء. منه قولهم نص الحديث إلى فلان: رفعه إليه، والنص في السير أرفعه. يُقال: نصصت ناقتي. وسير نص ونصيص. ومنصة العروس منه أيضا. وبات فلان منتصا على بعيره أي منتصبا، ونص كل شيء منتهاه...[2]

جاء في معجم العين: " نصصت الحديث إلى فلان نصا أي رفعته... والمنصة: التي تقعد عليها العروس.

ونصصت ناقتي: رفعتها في السير... ونصصت الشيء: حركته...ونصصت الرجل: استقصيت مسألته عن الشيء، يقال: نصّ ما عنده أي استقصاه...ونص كل شيء: منتهاه...وقوله تعالى:﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[3]، أي لا حين مطلب ولا حين مغاث، وهو مصدر ناص ينوص، وهو الملجأ"[4].

---

[1]: لسان العرب، ابن منظور، ص4441.

[2]: مقاييس اللغة، 356/5.

[3] : سورة ص، الآية:03

[4]: معجم العين، عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مادة: ن ص ص، ص86، 87، 88

1-4-النص اصطلاحا:

بادئ ذي بدء حري بنا أن نشير إلى أن هذا المصطلح قد لاقى عدة تعريفات تختلف وتتعدد بتعدد زوايا واتجاهات المعرفين له، فاللغوي البنوي يعرفه على شاكلة، والوظيفي يعرفه على شاكلة أخرى، والناقد يعرفه بطريقة وهكذا، وفي هذا المقام سنحاول أن نستظهر أهم التعريفات وأشهرها.

يعرف النص بأنّه: "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض. هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح " نص"[1]

ويمكن اعتبار كل متتالية من الجمل نصا شريطة أن يكون بين هذه الجمل علاقات، أو بين عناصر هذه الجمل[2].

وإذا ألقينا نظرة على وجود هذا المصطلح بمفهومه الحديث في تراثنا العربي فإنه يمكننا أن نقول وبكل موضوعية أن أسلافنا العرب وبتعدد مشاربهم وتخصصاتهم، كانوا على دراية بحدود هذا المصطلح، وإن لم يكن كلفظ صريح فقد كان كممارسة، وقد أبدى الدكتور عبد المالك مرتاض عجز التراث العربي الضخم-مركزا على التراث النقدي-عن استيفاء هذا

1: نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص12.

2: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص13.

المصطلح، إذ نجده يقول:...وقد حاولنا أن نعثر على ذكر اللفظ في التراث العربي النقدي فأعجزنا البحث ولم يفض بنا إلى شيء...[1].

والرد على هذا الزعم لا تبرره دعاوي أو ادعاءات ولا شك أننا نكتفي هنا بالقول أن تراثنا بكل ضخامته وتنوعه يحتوي على مفهوم ناضج للنص.

فالواقع أن علماءنا القدماء قد عرفوا مصطلح النص، وعرّفوه كما في كليات أبي البقاء الذي نجده يقول: " والنص قد يطلق على كلام مفهوم المعنى سواء كان ظاهرا أو نصا أو مفسرا اعتبارا منه للغالب، لأن عامة ما ورد من صاحب الشريعة نصوص[2]".

ويعرّف في نجم المهتدي ورجم المعتدي على النحو الآتي:" ...ويطلق ويراد به: ما دل على معنى كيف كان وهو غالب استعمال الفقهاء"[3].

وأما الأصوليون فقد تناولوا هذا المصطلح كثيرا وفصلوا القول فيه كقول ابن بدران في المدخل إلى مذهب الإمام ابن حنبل:" وقال الأصوليون: هو ما دلّ على معنى كيفما كان وهذا هو الغالب في كلام الفقهاء في الاستدلال"[4].

---

[1]: مدخل إلى علم النص، ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، ص18، نقلا عن:في مفهوم النص، نور الدين الفلاح، من الملتقى القومي المنظم بصفاقس، أفريل 1988م، قراءة النص بين النظرية والتطبيق، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1990م، ص38.

[2]: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ، 1998م، ص908.

[3]: نجم المهتدي ورجم المعتدي، فخر الدين محمد بن عثمان بن عمر بن المعلم القرشي المصري الشافعي، تحق: بلال محمد حاتم السقا، دار التقوى، دمشق، الشام، ط1، 1441هـ، 2019م،87/1.

[4]: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن بدران الدمشقي، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1401هـ، 1981م، ص187.

ومن الأدلة التي تؤكد معرفة الدارسين العرب باختلاف مشاربهم للنص ما قال به التهانوي أثناء تعريفه للنص، أين عرض صاحبنا لجل المعاني التي تحتملها هذه الكلمة، فيقول:...هو عند الأصوليين على معان. الأول كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة سواء كان ظاهرا أو نصا أو مفسرا حقيقة أو مجازا عاما أو خاصا...فقوله في الكتاب والسنة بيان لقوله ملفوظ ، وليس المقصود حصر ذلك الملفوظ فيهما بدليل أنّ عبارة النص وأخواتها لا يختص بالكتاب والسنة...والثاني ما ذكر الشافعي فإنه سمّى الظاهر نصا فهو منطلق على اللغة...والثالث وهو الأشهر هو ما لا يتطرق إليه احتمال أصلا لا على قرب ولا على بعد كالخمسة مثلا فإنّه نص في معناه لا يحتمل شيئا آخر...ويجوز أن يكون اللفظ الواحد نصا..."[1]

نكتفي بذكر هذه الأنواع الثلاثة وإن كان التهانوي يستفيض في الشرح وتفهم من كلامه أنه يخاطب أبناء عصره وهو يعلم أنهم على دراية بالمعاني المحتملة للنص،وخير دليل على معرفة أسلافنا بمفهوم النص سواء كانوا نحويين أو لغويين أو بلاغيين لأننا على دراية تامة بأن العربية متداخلة العلوم كما أن هذه الأخيرة يحدث بينها احتكاك وتأثر.

فقول التهانوي: " يمكن اعتبار كل ملفوظ نصا، مفهوم المعنى" يوافقه تعريف اللساني الغربي "هيلمسلاف"؛ لأنه عنده: ملفوظ لغوي محكي أو مكتوب طويلا كان أو قصيرا قديما أو حديثا فكلمة" قف" عنده نص.

1:موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحق: د-علي دحروج، النقل إلى العربية: د-عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د-جورج زيناتي، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، ط1، 1996م، ج1، ص1995-1996.

جاء في معجم لروس: "L- Hjelmslev prend le mot texte au sens le plus large et dèsigne par là un énoncé quel qu' il soit , parlé ou écrit , long ou bref, ancien ou nouveau. «Stop » est un texte aussi bien que le Roman de la Rose…[1]"

لذا يجب ألاّ نكون مجحفين في حق تراثنا بل يجب أن نفتخر به ونجعله المصدر الذي تنبثق منه بحوثنا ودراساتنا، ننطلق منه ولأجله إحياء لهذا الكنز.

1-5- لسانيات النص:

أما عن مفهوم لسانيات النص فقد تعددت وتباينت تعريفات لسانيات النص من طرف أهل الاختصاص ويمكن إرجاع ذلك إلى كون العلم لا يزال فتيا، ذلك أنه ظهر مع بداية الستينات، ورغم كونه علما جديدا إلا أنه ما انفك يحتل مكانة في ساحة الدراسات اللسانية،لأنه وببساطة استطاع حل العديد من المشاكل وسد جل الثغرات التي نجمت عن الدراسة اللغوية للجملة، فلسانيات النص نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة تمتد قدرتها الشخصية إلى مستوى ما وراء الجملة بالإضافة إلى فحصها لعلاقات المكونات التركيبية

[1]: Dictionnaire de Linguistique Larousse, Jean Dubois, Mathée Giacomo , Louis Guespin, Christiene Marcellesi , Jean- Pierre Mével, Librairie larousse, Paris, première édition , 1973, p486.

داخل الجملة وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تاريخي، يبدأ من علاقات ما بين الجمل، ثم الفقرة، ثم النص، أو الخطاب تمامه.[1]

كما تعرّف أنَّها ذلك الاتجاه اللغوي الذي يُعنى بدراسة نسيج النص انتظاما واتساقا وانسجاما، ويهتم بكيفية بناء النص وتركيبه[2].

اللسانيات النصية تهتم بدراسة النصوص من الناحيتين الشكلية والمضمونية، للكشف عن مظاهر انتظامها بدءا بالجانب الصوتي وصولا إلى الجانب التداولي.

تهتم اللسانيات النصية بمعالجة الظواهر اللغوية في إطار النص بوصفه وحدة كبرى، فتتم فيه دراسة مظاهر التماسك والاتساق...[3]

إذن موضوع اللسانيات النصية هو النص في حدّ ذاته حيث تجعل منه الوحدة الكبرى التي تعالج ضمن جملة من المظاهر كالاتساق والانسجام.

وهكذا بالفعل فرضت لسانيات النص نفسها وتجاوزت حدود الجمل، وأثبتت أن التواصل يستدعي امتزاج العديد من المكونات والمركبات، ولفهم التواصل اللغوي وجب الغوص في غمار النص دون عزله عما يحاذيه ويواكبه.

---

[1]: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس اللغوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص55، 56.

[2]: محاضرات في لسانيات النص، جميل حمداوي، ص18.

[3]: ينظر: علم اللغة بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر، ط1، 2000، 36/1.

2- نشأة اللسانيات النصية عند الغرب:

لا شك أنّ أي علم من العلوم لا ينشأ مباشرة دون أن يُبنى على أنقاض علم آخر، وهذا ما ينطبق على اللسانيات النصية، فقد ظهر هذا الأخير كضرورة حتمية لتطور الفكر اللغوي،محاولا تعبئة تلك الفراغات التي نتجت عن لسانيات الجملة، وتبدأ بوادر اللسانيات النصية مع فرديناند دي سوسير الذي أشار في حديث له عن الخطاب إلى أنّ الإنسان لا يعبر بكلمات منفردة أو منفصلة؛ ذلك أنّه لا يمكن أن يكون لها معنى وهي منعزلة عن بعضها البعض[1].

وبهذا نلحظ أنّ دي سوسير قد انطلق من الجملة إلى النص، ذلك أنّه لا يمكن أن نعبّر بمجرد كلمات منعزلة عن بعضها البعض، ومن هنا بدت جلية ملامح اللسانيات النصية أو إشارات لها إن صحّ هذا التعبير. إلا أنه قد وقف عند لسانيات الجملة فحسب في تأصيله للسانيات.

وليس سوسير فقط من دعا إلى هذا الأمر إنما تبعه العديد من الدارسين، أمثال يلمسليف الذي يلتقي إلى حد بعيد مع ميخاييل بختين الذي قال: " اللسانيات لم تحاول أبدا سبر أغوار المجموعات اللغوية الكبرى الملفوظات (Enoncés)الطويلة التي نستعملها في

[1]: ينظر:مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ص60. وينظر كذلك: دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، ص186 وما بعدها.

حياتنا العادية، مثل الحوارات والخطابات وغيرها. يجب تعريف هذه الملفوظات ودراستها هي أيضا دراسة لسانية باعتبارها ظواهر لغوية[1].

والجدير بالذكر أن اللسانيات النصية ليست بالعلم القديم إذ ظهرت أول محاولة في التحليل النصي تطبيقيا طبعا مع فلاديمير بروب في كتابه " الحكايات الروسية العجيبة" سنة 1928م، أين قدّم أول دراسة لسانية تحليلية لمقاطع الحكاية؛ ليكون بذلك أول من استخدم تقنية التقطيع النصي[2].

وقد بقيت هذه الملاحظات مجرد أقوال لم تجد لها حضورا في الجانب التطبيقي، حتى انطلقت مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين دعوات إلى انفتاح الدرس اللساني على دراسة النصوص يقودها الباحث الأمريكي هاريس1958موقد أطلق على هذا النوع من الدراسة تحليل الخطاب[3].

ليتابع بعد ذلك هاريس عدد من الباحثين وتبنوا فكرته أمثال بايك1954م، وديل هيمز 1960م لتستقر بذلك مع فان ديك ودي بوجراند اللذين وضعا الأسس العامة للسانيات النص الحديث من ثمانينيات القرن العشرين[4].

---

[1]Bakhtine (Mikhail). Esthetique du Roman. Traduction Française. Paris:Gallimard.1978. p.9 نفسه، ص61، نقلا عن: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحين ص60.

[2]: ينظر: محاضرات في لسانيات النص، د-جميل حمداني، ص21.

[3]: ينظر: الدرس اللغوي العربي بين اللسانيات الجملة ولسانيات النص" مقاربة نصية" د-حنان محمد فنيخرة، كلية التربية، جامعة مصراتة، مجلة البحوث الأكاديمية، العدد 13، يناير 2019م، ص275. نقلا عن : مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، ص 63.

[4]: ينظر: نفسه.

وقد بلغت أوجها – نقصد اللسانيات النصية–مع اللغوي الأمريكي روبرت دي بوجراند خاصة بعد تأليفه لكتاب مدخل إلى لسانيات النص سنة 1981م وقبله كتاب النص والخطاب والإجراء[1].

وهكذا تصاعدت أصوات الداعين إلى هذا النمط الجديد من الدراسة، وتكاثفت المجهودات لتبني صرح هذا العلم.

ولعلّنا في هذه المحطة تراودنا عدّة أسئلة حول إمكانية وجود لسانيات نصية في التراث العربي.

2- اللسانيات النصية عند العرب:

بإلقاء نظرة متمعنة فاحصة نستجلي بوضوح أنّ اللغويين العرب مارسوا اللسانيات النصية، ففي دراستهم لنحو الجملة تجاوزوا عتبتها مما جعل دارسة النص متخللة ضمن دراستهم للجملة، بل وفي تأصيلهم للدرس اللغوي انطلقوا من النص في سياقيه الداخلي والخارجي، ولا أدلّ على ذلك من كتاب سيبويه–باعتباره أول مولود لغوي–الحافل بالنصوص والتطبيقات التي تصادق على قولنا هذا، حيث يقول الباحث بشير إبرير مصداقا لما نقوله في إطار حديثه عن كتاب سيبويه: إن كتاب سيبويه ليس كتابا في النحو والصرف والإعراب بالمعنى التقليدي؛ وإنّما هو كتاب في تحليل الخطاب ولسانيات النص درس فيه اللغة كوضع

[1]: ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، ص 63.

أو نظام بنوي ودرس فيه ظواهر الاستعمال ممّا تؤكده الدراسات اللسانية المعاصرة في إطار الطابع التداولي العملي"[1].

وشهادة الباحث لم تأت من فراغ وإنّما تمخضت عن دراسة عميقة للكتاب، ولا يخفى على من يلقي نظرة متفحصة للكتاب بأنه كتاب جامع انطلق من الصوت إلى الخطاب معالجا كل مستويات اللغة.

وقد ذهب الدكتور محمد بن حجر إلى أبعد من ذلك بعدما بحث وغاص في التراث النحوي حول علاقة نحو الجمل بنحو النص وخرج بنتيجة مفادها: أنّ في تراثنا النحوي ثراء ما بعده ثراء، وفيه من كنوز المعرفة ما لم ير مثله في تراث الآخرين، مما يجعلنا نجزم بوجود علم قائم بذاته يمكن أن نسميه نحو النص، نظّر له النحاة بحديثهم عن إعراب الجمل وأشباه الجمل وطبّقه المعربون في تحليلهم لنص القرآن ونصوص الحديث والشعر والمتون العلمية"[2] .

وقد جاءت هذه النتيجة بعدما خاض الدكتور بن حجر في قضية موقف الدارسين العرب المحدثين من فكرة وجود نحو نص في التراث العربي، فبعدما عرض وجهات نظرهم في هذا الشأن والتي تنفي احتواء التراث النحوي على نحو نص، أبطل ما قالوا به من خلال

[1]: بشير إبرير، آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه، مجلة كلية اللغات والآداب، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العددان 11، 12، جانفي وجوان، 2012، ص29.

[2]: نحو الجمل– لا نحو الجملة– وصلته بنحو النص، محمد بن حجر، أعمال ملتقى التراث اللساني العربي ولسانيات النص، مخبر علم تعليم العربية المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 18/17، 2018م، ص48.

عرضه لمسألة إعراب الجمل والتي تبين من خلالها مدى اهتمام النحاة العرب بمعياري السبك والحبك من خلال إعرابهم للجمل اعتمادا على اتصالها بما قبلها.

ولقد أفرزت اللسانيات النصية جملة من المعايير التي من شأنها أن تجعل من النص نصا، وهي الاتساق والانسجام، القصدية والمقبولية ، الإعلامية والمقامية، والتناص.

يقول الدكتور محمد بن في شأن تلك المعايير عند العرب: " وهذه المعايير النصية السبعة قد سبق للنحاة والبلاغيين العرب أن نبهوا على جلها إن لم نقل على كلها في تعاريفهم للكلام ودراستهم له، ولا أزعم أنهم ذكروها بالتفاصيل التي صارت بها معروفة لدى اللسانيين النصيين الغربيين، ولكني أقول: إنها لم تكن مجهولة عندهم، وقد عالجوا بعضها بإيجاز وبعضها الآخر بإسهاب..."[1]

وقد عرف عن اللغة العربية أنها لغة ربط ووصل واتصال، فاقت فيه كل اللغات الأخرى، وهذا ما قال به إبراهيم أنيس:" لا نغالي حين نقرر أنّ اللغة العربية لغة الوصل، ففيها من أدوات الربط ما لا تكاد تراه في غيرها"[2].

وحتى النحاة الأوائل لما شرعوا في التأصيل للغة، نظروا فيها نظرة شاملة دون العزل بين أصغر وحداتها، لكنهم قد احتاجوا للانفراد بمستوى من المستويات حتى يقفوا على الدقائق، فنظروا في المفردة الواحدة من كل جوانبها حتى استطاعوا الوقوف على القاعدة

[1]:المرجعية المعرفية لنحو النص في التراث العربي، محمد بن حجر، من أعمال الندوة الوطنية الموسومة بـ: الدراسات اللسانية النصية ومجالاتها التطبيقية في تعليم النحو العربي وتعلمه، مخبر علم تعليم العربية، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، دار تيدكلت للنشر والتوزيع، ديسمبر 2018، ص140.

[2]: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط5، 1975م، ص327.

واستجلائها، وفعلوا ذات الشيء بالصوت والتركيب والدلالة ولم يغفلوا حتى عن التداول، فكان بذلك أن حللوا تحليلا علميا دقيقا، وهذه النظرة تجلت بوضوح في الكتاب باعتباره المولود اللغوي الأول الجامع المانع للدرس اللغوي العربي، فالمتأمل فيه يجد أن النحاة بما فيهم سيبويه قد مارسوا اللسانيات النصية ممارسة تطبيقية وحللوا العربية تحليلا نصيا بل وقد عالجوا كل باب وكل مسألة بأدواتها المناسبة وهذا ينم عن وعي لغوي كبير، فمن المسائل التي عولجت ضمن الكتاب والتي تندرج ضمن اللسانيات النصية معيار الاتساق أو الترابط النحوي، إذ عني به سيبويه أيما عناية نجده يقول ناقلا جواب الخليل عن سؤاله بخصوص الربط في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَاهُمْ يَقْنَطُونَ**﴾[1]،فإذا الفجائية؛ إذ أجاب ذاك الأخير بأنّ هذا الكلام معلق بالكلام الذي قبله كما كانت الفاء معلقة بالكلام الذي قبلها، وقد كان يطلق على الترابط النحوي التعليق"[2].

ومن بين النحويين الذين نجد عندهم اهتماما بالقضايا النصية على غرار سيبويه، والخليل، نذكر الاستراباذي، وابن جني على سبيل المثال.

يقول الاستراباذي في صدد حديثه عن الصلة والموصول:...لا بدّ في الصلة من ضمير عائد، وذلك لما قلنا: أن ما تضمنته الصلة من الحكم متعلق بالموصول، لأنه إما محكوم عليه هو أو سببه، أو محكوم به هو أو سببه، فلا بدّ من ذكر نائب الموصول في الصلة ليتعلق الحكم بالموصول بسبب تعلقه بنائبه، وذلك النائب هو الضمير العائد إليه،

[1] سورة الروم، الآية:36

[2]: ينظر: الكتاب، 63/3.

ولو لم يذكر الموصول في الصلة، لبقي الحكم أجنبيا عنه، لأنّ الجمل مستقلة بأنفسها لولا الرابط الذي فيها...[1].

إذا اعتبر الرضي هاهنا أن العائد المتمثل أساسا في الضمير رابطا يربط بين الجملتين، يقصد الصلة والموصول وبدونه تبدو الجملتان مستقلتان، وهذا من صميم اللسانيات النصية، أو هو بالتحديد ما يدرس ضمن الترابط النصي السياق.

والنصوص التي تبين حرص النحاة العرب على دراسة مظاهر الاتساق-كأبسط مثال- عديدة يكاد لا يتسع لها كتاب.

ويقول أيضا متحدثا عن الحال:...إنما ربطوا الجملة الحالية بالواو، دون الجملة التي هي خبر المبتدأ فإنه اكتفى فيها بالضمير، لأن الحال يجيء فضلة بعد تمام الكلام.

فاحتيج في الأكثر إلى فضل ربط، فصدرت الجملة التي أصلها الاستقلال بما هو موضوع للربط. أعني الواو التي أصلها الجمع، لتؤذن من أول الأمر بأن الجملة لم تبق على الاستقلال...[2].

لقد قدّم الرضي تحليلا منطقيا لسبب ربط الجملة الحالية بالواو، والجملة التي هي مبتدأ وخبر بالضمير لأن بالخبر يتم الكلام، في حين الحال فضلة فاحتيج فقط للربط فاستخدمت الواو التي أصلها الجمع.

[1]: شرح الرضي على الكافية، تعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاز يونس، بنغازي، ط2، 1996م، ج3، ص11.

[2]: نفسه، ص41.

ومن بين النصوص التي تبين مدى احترافية ابن جني في تعامله مع قضايا لسانيات النص، ما قاله في باب زيادة الحروف وحذفها، فينقل قولا لأبي علي عن أبي بكر مفاده: حذف الحروف ليس بالقياس. قال: وذلك أن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرا لها هي أيضا،واختصار المختصر إجحاف به...[1].

ويستطرد ابن جني في شرح قول صاحبه مبرزا أنما الحروف تغني عن الأفعال أو عن الجمل فقولنا مثلا إلا، ما هو في الأصل إلا اختصارا لأستثني، ويا ما هي إلا اختصارا لأدعو أو أنادي وهكذا، فهذه الحروف لا يجوز حذفها كونها من صميم انسجام النص، هذا من جهة ومن جهة أخرى تجاوز ابن جني فكرتي الاتساق والانسجام من خلال هذا النص.

والاهتمام بالنص لم يكن حكرا على الدراسات النحوية فحسب بل نجد أنّ العلماء العرب باختلاف مشاربهم وتخصصاتهم انطلقوا من النص للتأصيل لجل العلوم العربية من نحو وبلاغة ونقد وتفسير...والمؤلفات التي تدل على ذلك تكاد لا تعد ولا تحصى نذكر على سبيل المثال من علم البلاغة دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة الذين يعتبران فعلا أرضية صلبة لانطلاق الدراسة النصية وهذا بشهادة غالبية الدارسين، دون مغالاة وتتلخص نظرة عبد القاهر الجرجاني للنص ضمن حديثه عن قضية التعليق، وهو ما يقابل التماسك النصي أو الاتساق، بل ونجد عند الجرجاني تحليلا دقيقا يتسم بالعلمية والموضوعية، ذلك أن له باع كبير في هذا المجال، يقول في معرض حديثه عن التعليق : "واعلم أنك إذا رجعت إلى

[1]: الخصائص، عثمان بن جني، 2/20.

نفسك علمت علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا تريب، حتى يُعلَّق بعضها بعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس"[1].

بل ونجد مصطلحي الاتساق وحتى السبك حاضرين في استعمال الجرجاني، وهذا ما قال به الباحث الربيع بوجلال، إذ نجده يقول: " تردد لفظ (الاتساق) مرتين، مرة في قوله: لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب"، وأخرى في قوله: " بل وجدوا اتساقا بهر العقول".

ويتكرّر لفظ (السبك) بالتعريف في ثنايا الكتاب أكثر من مرّة، في قوله:" وهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة{...} وعلى السبك الجيّد، وقوله أيضا: والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي، والعربي، والقروي، والبدوي. وإنّما الشأن في إقامة الوزن، {...} وجودة السبك"[2]

إنّ حضور مصطلحي الاتساق والسبك في كتاب دلائل الإعجاز، ووجودهما إضافة إلى معايير أخرى وممارسات أخرى تسمية ومفهوما دليل صريح وواضح على أنّ هناك لسانيات نصية عربية، مترامية الأطراف، ومتناثرة في ثنايا الكتب العربية.

ويقسم ابن قيم الجوزية الروابط إلى أربعة أقسام وفق معايير خاصة، فيقول: " الروابط بين جملتين هي الأدوات التي تجعل بينهما تلازما لم يفهم قبل دخولها؛ وهي أربعة أقسام...[3]

---

[1]: كتاب دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص55.

2: معايير النصية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجسيتر في علوم اللسان العربي، الربيع بوجلال، 1431هـ، 2010م، الجزائر، ص28.

3: بدائع الفوائد، أبو بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عب الله بوزيد، دار عالم الفوائد، م1، ص76.

أما القسم الأول، فهي الحروف التي توجب تلازما بين الجملتين كحروف الشرط، وهي التي تعقد اتفاقا بين الجملتين في الثبوت أو النفي.

أما القسم الثاني فيتمثل في الحذف لما التي تربط بين جملتين، وهناك من عدها حرفا إذا دخلت على الفعل الماضي، واسم إذا دخلت على المستقبل ورآها سيبويه حرفا رابطا.

القسم الثالث، يشمل حرف لو التي تفيد امتناع الشيء لامتناع غير.

أما القسم الرابع، يعنى بالأداة لولا التي تفيد امتناع الشيء لوجود غيره[1].

إذن حسبنا من هذه النصوص إبانة وتوضيحا على مرونة العلوم العربية، بشتى فروعها وتخصصاتها، التي تبرز أن اللسانيات النصية لم تكن جديدة على العرب بل هم أصلا انطلقوا من النص في تأصيلهم للدرس العربي، والزعم القائل بأن العرب انطلقوا من الجملة وتوقفوا عندها لا أساس له من الصحة.

3- بين لسانيات النص ولسانيات الجملة:

إنّ الحديث عن الفرق بين اللسانيات النصية ولسانيات الجملة؛ إنما هو الفرق بين النص والجملة، وإذا كان النص في أبسط معانيه تتابعا أو متتالية من الجمل، فالعلاقة بينهما واضحة إذ النص أشمل من الجملة، والجملة محتواة في النص، والفرق بينهما –نقصد العلمين–أن الأول يدرس الظواهر اللغوية ضمن النص؛ والثاني يدرسها ضمن الجملة، وللجملة تعريفات عديدة تختلف من عالم لآخر، كما يختلف تعريفها بين القدامى والمحدثين العرب منهم والغرب، فهناك من جعل المعنى أساسا في الجملة أمثال إبراهيم أنيس الذي

1: ينظر: نفسه، ص77.

نجده يقول: الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر[1].

في حين يعرفها تمام حسان باعتماد منظور آخر هو الإسناد يقول: الذي يتكون من عملية الإسناد فيسمى الجملة، وهي ذات علاقات إسنادية مثل علاقة المبتدأ بالخبر، والفعل بفاعله، والفعل نائب فاعله، والوصف المعتمد بفاعله ونائب فاعله[2] .

كما لنا أن نورد لها بعض التعريفات ها هنا، أمّا عن سيبويه فإنه لا يستعمل مصطلح الجملة صراحة وإنّما استخدم مصطلح الكلام الذي اتّسع مدلوله ليشمل دلالات أخرى منها الجملة[3]، ورغم عدم التصريح بالمصطلح فسيبويه قد تحدّث عن العناصر التركيبية للجمل، وأشار إلى مفهومها ضمن أبواب كثيرة تحت مصطلح الكلام، كباب المسند والمسند إليه، وباب الاستقامة من الكلام والإحالة، وباب الفاعل...

وهذا ما استنبطه ابن جني من كلام سيبويه، لمّا قال: " قال سيبويه: واعلم أن قلت في كلام العرب إنّما وقعت على أن يحكى بها، وإنّما يحكى بعد القول ما كان كلاما لا قولا،...ثمّ قال في التمثيل نحو: قلت: زيد منطلق، ألا ترى أنّه يحسن أن تقول: زيد منطلق، فتمثيله بهذا يعلم منه أن الكلام عنده ما كان من الألفاظ قائما برأسه مستقلا بمعناه، وأن

---

[1]: من أسرار العربية، إبراهيم أنيس، القاهرة، 1978، ص277.

[2]: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1973، ص190.

3: ينظر مثلا: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، د-عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2012م، ص13.

القول عنده بخلاف ذلك، إذ لو كانت حال القول عنده حال الكلام لما قدم الفصل بينهما، ولما أراك فيه أنّ الكلام هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها[1].

إذن الجملة في التراث العربي هي اللفظ المستقل بنفسه المفيد لمعناه.

أما عن مفهوم الجملة عند الغرب فقد لاقى هذا التركيب الأساسي–على حد تعبير دي بو جراند–غموضا واختلافا شديدا في التعريف من طرف العلماء اللغويين، إذ أنّ تعريفه يخضع لمعايير مختلفة، فالجملة مثلا "عبارة عن فكرة تامة"، أو هي" تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة"...[2]

إذن ما الجملة إلا تركيب إسنادي ذو معنى مستقل.

أمّا عن الفوارق بين النص والجملة فقد ذكر ديبوجراند أهمّ الفوارق بينهما ، وهي كالآتي[3]:

1–حتى يكون النص نصا يجب أن تتوفر فيه معايير سبعة، هي: الاتساق والانسجام، القصدية والمقبولية، الإعلامية والمقامية، والتناص، في حين أن الحملة نظام قواعدي خالص يتحدد على مستوى النحو فقط.

2–النص نظام فعّال والجمل عناصر من نظام افتراضي.

3–الأعراف الاجتماعية تنطبق على النصوص أكثر مما تنطبق على الجمل، فالوهي الاجتماعي ينطبق على الوقائع لا على أنظمة القواعد النحوية.

---

[1]: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني ص18–19.

[2]: ينظر: النص والخطاب والإجراء، ص 88.

[3]: ينظر: نفسه، ص90 وما بعدها.

4-لا بدّ للنص أن يرتبط بموقف تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات أو ما يسمى بسياق الموقف، أما الجمل فلا يمكن أبدا أن ترد من دون تكلف.

5-العوامل النفسية أوثق صلة بالنصوص منها بالجمل، فالجمل من حيث الصياغة الذهنية شكل استكشافي.

6-النصوص تشير إلى نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل.

ويعتمد استخدام الجمل من طرف المتعلمين على معرفة القواعد من حيث هي نظام افتراضي، أمّا من أجل استخدام النصوص فإنّ الناس بحاجة إلى معرفة عملية بالأحداث الجارية بخصوصها.

وعلى الرغم من وجود فوارق بين النص والجملة إلّا أنّه لا يمكن إنكار فضل الجملة أو لسانيات الجملة في تطور اللسانيات بصفة عامة واللسانيات النصية بصفة خاصة، ولعلنا هاهنا نعرض دواعي انتقال اللسانيات من الجملة إلى النص.

1دواعي الانتقال من لسانيات النص إلى لسانيات الجملة:

من بين أهم أسباب الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص نذكر:

لعل أوّل سبب يتبادر إلى الأذهان كما هو متعارف عليه عجز لسانيات الجملة عن تقديم تفسير وتحليل لمتتالية من الجمل.

لقد عكفت علوم كثيرة على دراسة وتناول النص والخطاب منذ أمد طويل: كعلم الاجتماع والأنثربولوجيا، والدراسات الأدبية، لكن المشتغلون بهذه التخصصات أحسوا بضرورة الخدمة المعالجة المنضبطة التي تؤديها اللسانيات الحديثة على أحسن وجه، فكان الاتجاه إلى لسانيات النص[1].

يتمسك نحاة الجملة بمبدأين هما:

– الإصرار على استقلال النحو عن رعاية المواقف العملية.

– إخضاع كل الجمل المركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب البسيطة قد كوّنا عقبة كأداء أمام نظريات الصياغة اللغوية[2].

تعد النظريات اللسانية الجمل دائرة البحث، وأنّها أقصى درجات التركيب، في حين تغفل الطرائق الإجرائية عن بيان الحدود الفاصلة بين الجمل المكونة للنص، وبالتالي تغيب فيها المباحث المتمثلة في تحليل النص[3].

---

[1]: ينظر: دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات، مصطفى قطب، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة والدراسات السامية والشرقية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1996م، ص46.

[2]: ينظر: النص والخطاب والإجراء، ص129.

[3]: ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، جامعة منوبة، ط1، 2001م، ج1، ص240، 241.

عجز لسانيات الجملة عن الإحاطة بسياقات الجملة الاجتماعية والثقافية والتداولية والاستعمالية، في حين يتطلب الأمر البحث عن عناصر غير لغوية تتصل بمنطقية الجمل، وصلتها بالموقف التواصلي، أو عملية التواصل العامة[1].

ورغم وجود هذه الفوارق بين النص والجملة، إلّا أنه لا يمكننا الفصل بينهما ولا يمكننا إنكار العلاقة المتينة الكائنة بينهما، فالنص في تكوينه ما هو إلا نسيج، والنسيج لا بدّ أن تتشكل منه جمل.

5- بين النص والخطاب:

دائما حينما نتعرض لمصطلح النص يحيلنا هذا الأخير إلى مصلح آخر يتماشى معه وقد يرادفه في المعنى، وهو الخطاب،وعليه نتساءل في هذا الصدد: ما هو الخطاب؟ وما الحدود الفاصلة بينه وبين النص؟

وحتى نكون واضحين في عرضنا فإن الغرض من عرض الحدود الفاصلة بين النص والخطاب إنّما هو إزالة اللبس بين هذين المفهومين من الجانب النظري والكشف على مرونة النحو العربي في التعامل مع القضايا اللغوية في الجانب التطبيقي.

لقد سبق وأن قدمنا تعريفا للنص، ولنا في هذه المحطة وقفة مع مصطلح الخطاب، فما هو الخطاب؟ وما هي أهم خصائصه؟

لم يحظ الخطاب بتعريف ثابت رغم شيوعه وتداوله الواسع بين اللغويين الغرب منهم، ذلك أن علماءنا العرب قد حُسم عندهم واتضح منذ القدم، وما زاد عدم وجود تعريف مشترك

[1]: ينظر: علم لغة النص النص، المفاهيم والإجراءات، سعيد بحيري، ص238.

له ونهائي؛ أنه غالبا ما يقترن ذكره بمصطلح آخر هو النص، ومع هذا يمكن أن نستجلي مفاهيم هذا الأخير الأكثر استعمالا وبالتالي رسم الفوارق بينه وبين النص.

الخطاب في اللغة هو مراجعة الكلام[1]، وهو عند التهانوي؛ توجيه للكلام نحو الغير من أجل الإفهام، ثمّ نقل الكلام الموجه نحو الغير للإفهام[2]"

لعلنا نتبيّن من خلال هذا التعريف أنّ التهانوي يجعل من الخطاب كلاما، وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح،-رحمه الله-، -وإن كانت نظرة الأول لغوية محضة ونظرة الثاني إجرائية-،إذ أفرد له مبحثا بعنوان: "الخطاب مدلولاته العامة والخاصة"، حدّد فيه مفهومه وبيّن الفرق بينه وبين الكلام ويرى أن لفظة الكلام في التراث العربي أوسع من لفظة الخطاب، نجده يقول في مضمون كلامه عن الخطاب: ... الخطاب لا يكون إلا في مخاطبة...فلا يتصور خطاب إلا في حالة خطابية مع مخاطب معين.

ثمّ للخطاب مدلول آخر اختص به دون الكلام...وهو معنى المحاجة والجدل ومحاولة إقناع الغير...[3].

لقد قدّم لنا الحاج صالح الفرق الجوهري بين الخطاب والكلام، لكن ما الفرق بينه وبين النص؟

وقبل أن نبين الفرق بين النص والخطاب كان واجبا علينا أن نعرّج على فكرة ما إن تناول العرب -النحاة بخاصة -لمصطلح الخطاب أم لا؟

---

[1]: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، 4/222.

[2]: كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، 1/ 0749.

[3]: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، عبد الرحمن الحاج صالح، ص16.

بالنظر في التراث النحوي الضخم تركيزا على سيبويه، نجد أن هذا الأخير قد استعمل مفهوم الخطاب في تحليلاته، بل وكان على وعي كبير بماهيته، لكن تحت مسمى آخر، هو: الكلام، وهذا ما أقر به الحاج صالح، قائلا: " وأمّا لفظة الكلام عنده فمعناها الخطاب في كثير مما يقوله..."[1].

عودة إلى تبيين الفرق بين النص والخطاب، يمكن أن نعرف الخطاب بأنه: "يشير إلى كل كلام تجاوز الجملة الواحدة، والتي تغدو أثناء تحليله الوحدة الصغرى التي يتكون منها، سواء كان مكتوبا أو منطوقا...[2].

وهكذا يتداخل النص مع الخطاب؛ وإن كان النص أشمل وأوسع وأعم من الخطاب، بيد أنّ هناك من يجعل منهما مترادفين نذكر مثلا فان ديك الذي نجده يقول:...وهناك أسباب أدت بنا إلى أن نسلم بأنّ العبارات المنطوقة يجب أن تعاد صياغتها تبعا لوحدة أوسع ما تكون وأعني بذلك المتن أو النص، وهذا الاصطلاح الأخير إنّما استعمل هنا ليفيد الصياغة النظرية المجرّدة المتضمنة لما يسمى عادة بالخطاب[3].

وهكذا نخلص إلى أن النص ورغم شموليته للخطاب إلا أنه وفي بعض السياقات تمّ استخدام المصطلحين لمعنى واحد ولا مشاحة في الاصطلاح.

---

[1]: نفسه، ص24.

[2]: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2009م، ص13.

[3]: النص والسياق، فان ديك، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م، ص19.

إن كان فاين ديك يرى بأن النص مرادف للخطاب، فإن هناك من يدحض هذه الفكرة أمثال ميشال آدم، إذ يحدد الفرق بين هذين الأخيرين في المعادلة الرياضية التالية:

"الخطاب= النص+ ظروف الإنتاج"

النص= الخطاب–ظروف الإنتاج"

وبتعبير آخر فالخطاب بكل تأكيد ملفوظ يتميّز بخاصيات نصية، لكنه يمكن أن يتميّز أساسا بوصفه فعلا خطابيا أنجز في وضعية خطابية معينة(مشاركون، مؤسسات، موضع، زمان...) أما النص فهو بالمقابل موضوع مجرّد ناتج عن نزع السياق عن الموضوع المحسوس...[1].

وحتى لا نطيل الكلام في قضية حسم أمرها فإن الفرق بين النص والخطاب يكمن في كون النص نظاما لغويا مجردا من الأطراف التواصلية، والخطاب له علاقة وثيقة بالاستعمال.

نصل الآن إلى بيت القصيد وإلى المصطلح الرئيسي في الدراسة، ألا وهو مصطلح الإعلامية، فما المقصود به؟

[1]: النظريات اللسانية الكبرى، ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي، ترج: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص315.

الإعلامية:

1- الإعلامية لغة:

الإعلام مصدر الفعل "أعلم" فعل مزيد بحرف من الفعل الثلاثي، علم، ولمادة ع-ل-م دلالات عديدة، منها المعرفة والإخبار...جاء في لسان العرب في مادة: ""ع-ل-م" من صفات الله عزّ وجلّ العليم والعالم والعلام، قال الله عزّ وجل: ﴿وهو الخلاق العليم﴾، وقال: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾، وقال ﴿علام الغيوب﴾، فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونهن وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالما، ولا يزال عالما بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، سبحانه وتعالى، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها...وعلمت الشيء أعلمه علما: عرفته..."[1].

كما جاء في مقاييس اللغة: "والإعلام لغة هو الإخبار..."[2]، كما قال الراغب: الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع..."[3].

وجاء على لسان صاحب المصباح المنير: العلم: اليقين يقال(عَلِمَ) (يَعْلَمُ) إذا تيقن وجاء بمعنى المعرفة أيضا كما جاءت بمعناه، ضمّن كل واحد معنى الآخر لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقا بالجهل لأن العلم وإن حدث عن كسب فذلك الكسب مسبوق بالجهل..."[4]

---

[1]: لسان العرب، ص3083.

[2]: موسوعة كشاف اصطلاح الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، ص234.

[3]: معجم متن اللغة، محمد رضا، ج4، ص194.

[4]: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي،ص427.

ويفرق الأصفهاني بين التعليم والإعلام فيقول:" وأعلمته وعلمته في الأصل واحد، إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكثير وتكرير حتى يحصل منه أكثر في نفس المتعلم...وأعلمت كذا: جعلت له علما[1].

ولمادة علم بصفة عامة دلالات أخرى كوضع العلامة على الشيء، علّمت الشيء إذا وسمته، لكم ما يهمنا معناها الجوهري الإخبار والإعلام بما هو جديد وهذا قريب إلى حد ما من معناها الاصطلاحي.

لفظ الإعلام في القرآن الكريم:

لقد وردت مادة: "ع–ل–م" في القرآن الكريم في عدّة مواطن، وبمختلف مشتقاتها، منها قوله تعالى: ﴿قَدْعَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾[2]، كذلك في الآية 187، 235، كما وردت بذات اللفظ في سورة الأعراف، الآية160 ، سورة الأعراف، والآيتين 23، و66 ، و41/ النور.

كما وردة على صورة" أعلَمُ، بمعنى أعرف وأدرك في عدّة مواضع منها: قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]،/ البقرة، كما وردت في: البقرة/259، 116/المائدة، 50/الأنعام، 188/62/الأعراف، 31/هود، 96/86/يوسف.

كما وردت على صورة: علّم، في قوله تعالى:﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[4]، 31/البقرة، واللفظ في 2/الرحمن، 5/4/العلق.

---

[1]: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفاني، تحق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز،مكتبة نزار مصطفى الباز، 2/ 446.

[2]سورة البقرة، الآية:60

[3]: سورة البقرة، الآية: 30

[4]: سورة البقرة، الآية: 31

الأعلام، جمع علم: ما يهتدى به، كالراية والجبل.

من الآيات التي وردت فيها قوله تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[1]،

كما وردت على صورة، أعلم: أكثر علما، والتي وردت في قوله: ﴿قل أأنتم أعلم أم الله﴾[2][3].

2- الإعلامية اصطلاحا:

تعتبر الإعلامية مصطلحا مشتركا بين العديد من العلوم، ولكل اتجاه طبعا تعريف خاص به، أما عن مفهوم الإعلامية في الدرس اللغوي، فإنه إحدى المعايير السبعة التي اشترط توفرها في النص حتى يعتبر فعلا نصا، ويقصد بها المعلومات التي نحصل عليها من نص ما[4].

من البديهي إذن أن يحمل أيّ نص كان جملة من المعلومات سواء كانت معلومة أو مجهولة لدى المستمع، فالباث أو المخاطِب ما أقبل على قول شيء أو كتابة وتأليف نص إلا من أجل إفادة المتلقي بأمور جديدة في الغالب.

إذن تتعلق الإعلامية أساسا بالمتلقي والمخبر في نفس الوقت، إذ ينصب اهتمامها بالدرجة الأولى على النص إنتاجا(المخاطِب) وتلقيا أو استقبالا(المُخاطَب)، وبالتالي فكل نص لا بدّ أن يتوفر على معلومات متوقعة من طرف المتلقي، أو غير متوقعة.

---

[1]: سورة الشورى، الآية: 32

[2]: سورة البقرة، الآية: 140

[3]: ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، 1409هـ، 19989م، ج1، ص778-783.

[4]: ينظر: أسس لسانيات النص، مارغوتهاينمان، وفولفغنجهاينمان، ترج: موفق محمد جواد المصلح، ص152.

ويرسم دي بوجراند للمصطلح صورة جلية واضحة، ويسترسل في استنباط أقسامه، فيقول معرفا إيّاها: " هي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزمUncertainty في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي Textiel في مقابلة البدائل الممكنة، فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم التوقع"[1].

وعلى هذا ينصب اهتمام الإعلامية على التوقع الذي تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع، أو المعلوم في مقابل المجهول2

والجدير بالذكر أن هذا المصطلح قد لاقى عدّة ترجمات، نوردها في الجدول الآتي3:

[1]: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص105.

[2]: ينظر: مدخل إلى علم لغة النص زنسييسلاف وأورزنياك، تر: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1424هـ، 2003م، ص32-33.

[3]: ينظر: المعايير النصية لدروبرت دي بوجراند في ديوان" همسات الصبا"، للشاعر الليبي رجب الماجري، دراسة نقدية تحليلية، ميلود مصطفى عاشور، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه فلسفة في الدراسات العربية، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، يونيو، 2015م، ص.232.

ت	الباحث	الترجمة إلى العربية.
01 –	سعد مصلوح1991م	الإعلام.
02 –	أبو غزالة وخليل (1992م)، شبل وفرج(2009م)، وإبراهيم (2010م)	الإعلامية.
03 –	عفيفي2001 م، وخطابي 2001م	الإخبارية والإعلامية.
04 –	بحيري (2003م)، عليان(2010م)	الإخبار.
05 –	أبو حمدان (1991م)، ويونس(2004م)، ونايف(2007م)، والجراح والهزايمة(2011م)	الإبلاغية.
06 –	صمـــــــــود(2008م)	الإفادة.

وللإعلامية ثلاثة مفاهيم تدل عليها، هي[1]:

1-الإعلامية بمعناها العام، والتي تدلّ على أن لكل نص فائدة تتمثل في الخبر الذي يقدمه، وكل النصوص تشترك في هذا.

[1]: ينظر: نظرية علم النص، ص66، 68

2-الإعلامية بمعنى الجدّة وعدم التوقع، وتدل على ما يجده المتلقي من جدّة وإبداع ومخالفة للواقع في النص، على مستوى صياغة النص أو في مضمونه، ونجد هذا النوع في النصوص الأدبية.

3-الإعلامية بمعنى الدعاية، إيجابا أو سلبا لشخص ما أو لفكرة ما، أو لمذهب ما. وقد وصفت الإعلامية بالمفهوم الأول والثالث بأنها إعلامية منخفضة لأن أثرها في النص يقتصر على الإخبار والدعاية فقط، في حين وصفت الإعلامية بالمفهوم الثاني بأنّها إعلامية مرتفعة لأنّها تتعامل مع الجانب الإبداعي أو الأدبي في النص[1].

وقد جعلت الدكتورة زهراء البرقعاوي للإعلامية معنيين[2]:

أما الأول فيتمثل في الإعلام، أو الإخبار، ذلك أنّ كل نص يؤدي إلى الإخبار عن معلومة ما، فيفهم المرسل المتلقي أنه يمنحه معلومات.

في حين يتمثل المعنى الثاني في دلالته على ناحية الجدّة أو التنوع التي توصف به المعلومات.

وإن كان المعنى الثاني يقصد به الجدة فإنه محتوى في المعنى الأول، إذ لا يمكن أن نتوقع وجود خطاب دون معلومات أو معرفة يكسبها الملقي للمتلقي سواء كانت معلومة لديه أو مجهولة؛ وعليه فتوفر المعنى الثاني يستوجب وجودا للمعنى الأول.

---

[1]: ينظر: المرجع السابق، ص70.

[2]: ينظر: الإعلامية في الخطاب القرآني، دراسة في ضوء نظرية التواصل، زهراء البرقعاوي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 1439هـ، 2018م، ص25-26

لعلنا نستنتج من هذا الكلام أنّ للإعلامية درجات تتحدّد وفقا للمعلومات التي يحتويها النص، فما هي؟

3- درجات الإعلامية:

3-1- إعلامية من الدرجة الأولى(إعلامية منخفضة):

حينما يكون المتلقي متوقعا للمعلومة التي يتضمنها النص أو الخطاب تفقد المعلومة جدّتها، فالمتلقي على علم بها، فالخطاب هنا لا يقدم إضافة للمتلقي، وفي هذه الحالة تتطابق الوقائع وهذا النوع من الإعلامية نجده ماثلا في كل النصوص تقريبا.

وكما قلنا يتجلى هذا النوع من الإعلامية في النصوص ذات المحتوى المحتمل في الهيئة والصياغة المحتملة[1].

أي أن مثل هذا النوع من الإعلامية يظهر في النصوص التي هيئتها محتملة بمعنى متوقعة عند المتلقي.

ومثال ذلك نص (تمهل) المكتوب على إشارة المرور فهو قابل للتنبؤ تماما... ويتصف موقف الوقوع بالوضوح التام في العادة بل إن الإشارة نفسها هي أيضا ذات شكل ولون فريدين يتميزان من مسافة بعيدة وهنا تستثار درجة التنبؤ القصوى من أجل إبقاء اهتمام السائقين مهيئا لأحوال السير الحالية[2].

[1]: ينظر: النص والخطاب والإجراء، ص10.

[2]: مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة، وعلي خليل محمد ص187.

وفي العربية تعتبر الكلمات الوظيفية كحروف الجر والعطف مثلا ذات إعلامية منخفضة، ذلك أنها مألوفة يكاد لا يلمحها أحد كما، أنها تتموقع في مواقع واضحة معلومة لدى الجميع[1].

3-2-إعلامية من الدرجة الثانية(إعلامية متوسطة):

تتجلى في النصوص ذات المحتوى المحتمل في الهيئة غير المحتملة، أو المحتوى غير المحتمل في الهيئة المحتملة[2].

إذن هذه الدرجة بينية تتوسط بين الدرجة العليا والدرجة السفلى، فلا هي حملت معلومات جديدة لا تتوافق وتوقعات المتلقي، ولا هي طابقت معلوماته كليا.

3-3-إعلامية من الدرجة الثالثة(إعلامية مرتفعة):

وتتجلى هذه الأخيرة حينما تكون الوقائع النصية غير متوقعة من طرف المتلقي، ويكون فيها المحتوى غير المحتمل في الهيئة غير المحتملة وتتمثل في النصوص الصعبة المثيرة للجدل الحاد[3].

ترتفع إذن درجة الإعلامية لتصل الأفق كلّما كانت المعلومات التي يلقيها المخاطِب مجهولة عند المتلقي، هنا تصير المعلومة ذات قيمة كبيرة يوليها المتلقي اهتماما كبيرا.

وتكون في الوقائع التي تبدو لأول وهلة خارجة بعض الشيء عن قائمة الخيارات

[1]: ينظر: نفسه، ص188.

[2]: ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وعلي خليل محمد، ص251.

[3]: النص والخطاب والإجراء، ص251.

المحتملة. وهذه الوقائع قليلة الحدوث نسبيا وتتطلّب قدرا كبيرا من الاهتمام[1].

لنا أن نخلص إلى أن الإعلامية تهتم بالجانبين الشكلي والدلالي وما يترتب عن كليهما، فالملقي قد يفاجئ المتلقي إما بتقديم أو تأخير مثلا، وقد يباغته بمعلومات كان يجهلها.

وقد كان علماؤنا العرب على معرفة بدرجات الإعلامية، أو الفائدة، وهذا ما قال به الحاج صالح، يقول في هذا المقام: إنّ الفائدة عند النحاة العرب قابلة للتكميم: فهي إيجابية أو مساوية للصفر وبينهما درجات: المخبر ليس له علم تماما عن الحادث وقد يكون فيه شك فإعلامه عن ذلك إيجابي أو له علم بذلك فإعلامه لغو كما قال النحاة...))[2].

إذن علم النحاة العرب بدرجات الإعلامية، وتحديدهم لها وفقا لمعرفة أو جهل المتلقي لفحوى الخطاب دليل واضح على أن العرب كانوا على وعي وعلم بالإعلامية بهذا المفهوم المتبلور في زمننا الحالي.

---

[1]: السابق.

2: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص72.

4-طرق رفع الإعلامية:

يقصد بها الآليات التي يلجأ إليها الملقي حتى يكون ما بنصه غير متوقع لدى المتلقي، وبالتالي رفع درجة إعلامية النصوص. "وترتبط مراتب الكفاءة الإعلامية للنصوص بمعرفتنا عن العالم فإذا كان النص يؤكد العلاقات التي سبق العلم بأنها محددة فإننا عندئذ أمام كفاءة إعلامية منخفضة وهكذا ترتفع درجات الكفاءة الإعلامية للنص كلما نقص الطابع النموذجي، إذ يحدث أنّ النص المستوعب في شكله أو مضمونه يقدم ما يتفاعل داخلنا مع ما نختزنه من معلومات أو معرفة ثابتة، وقد يؤثر فيها أو يتأثر بها، إن كون العنصر غير متوقع ينتج عنه(مفارقة)، ولكنها مفارقة قابلة للحل عن طريق الحوار بين معرفتيه عن العالم وعالم النص"[1]

إذن ترتفع درجة الكفاءة الإعلامية وتبلغ الذروة كلما كان النص حاملا معلومات غير متوقعة من طرف المتلقي، أي أن يخرج النص عن الطابع المألوف له.

وقد حدّد دي بروجراند ودريسلر ثلاث آليات، هي:

الانقطاعاتDiscontinuity، حيث تكون المواد مفقودة من بنية نصية؛ أي نقص المعلومات، والفجواتGaps، والتناقضات Discrepancies، حيث تكون أنماط المعلومات المختزنة عند المتلقي[2].

---

[1]: ينظر: نظرية علم النص، ص68.

[2]: Introduction To TextLinguistics,Beaugrande, Dressler, p159، نقلا عن: معيار الإعلامية لدى روبرت دي بوجراند وتجلياته في آيات القرآن الكريم، دراسة دلالية، حنان مصطفى، محمد إخوان بن عبد الله، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول، السنة العاشرة، يونيو 2018، ص8.

غير أنّ الباحثين–بوجراند ودريسلر–لم يشرحا هذه الآليات بالتفصيل، وقد حاول الباحث عبد الرحمن محمد شرحها بعدما أضاف لها بعض الآليات البلاغية التي تتناسب مع مفهوم الجدة والتنوع، وهي[1]:

التقديم والتأخير، الفجوات النصية(الحذف)، الاستعارة، والكناية، وأسلوب الحكيم، والمشترك اللفظي، والعنونة، والتوظيف الأسطوري، والفضاء الأسطوري، والفضاء النصي، والتصحيف المقصود.

ويمكن أن نضيف لها التورية، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح[2].

وقد ذكر الباحث د–ربيع بوجلال جملة من هذه الآليات بعدما استمدها من البلاغيين هي كالآتي[3]:

4–1–الإدماج:

الإدماج في اللغة إدخال الشيء في الشيء، يقال: أدمج الشيء في الثوب إذا لفّه فيه[4].

---

[1]: ينظر: معيار الإعلامية لدى روبرت دي بوجراند وتجلياته في آيات القرآن الكريم، دراسة دلالية، حنان مصطفى، محمد إخوان بن عبد الله، ص8.

[2]: نفسه.

[3]: ينظر:معيار الإعلامية في التراث النقدي والبلاغي، دالربيع بوجلال، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد 18، جوان 2017، ص57، وما بعدها. أخذت الآليات كما هي، وعرفتها من الكتب الأصلية.

[4]: معجم التعريفات، قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، علي بنمحمد السيّد الشريف الجرجاني، تحق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص16.

أما في اصطلاح أهل الدراسات البلاغية فقد تُنُوول هذا الأخير تحت أسماء عديدة، بحيث عالجه أبو هلال العسكري وهو من أوائل البلاغيين تحت مسمى المضاعفة، ويعني أن يحمل الكلام معنيين معنى مصرّحا به ومعنى مشارا إليه، في حين عدّه ابن رشيق القيرواني من الاستطراد، وتناوله ابن منقذ في باب التعليق والإدماج، وهو عنده تعليق مدح بمدح وهجو بهجو ومعنى بمعنى، وقد فرّق أبو الإصبع المصري بين الإدماج والتعليق واعتبر أن التعليق يصرّح فيه بالمعنيين المقصودين على شدّة اتحادهما، في حين يصرح في الإدماج بمعنى غير مقصود قد أدمج فيه المعنى المقصود[1].

ومن الأمثلة المسوقة في هذا النوع، قوله تعالى:﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2].

فقد أدمج في هذه الآية المبالغة في المدح ضمن المطابقة، إذ أفرد نفسه–سبحانه– بالحمد حيث لا يحمد سواه.

وقد قسم الإدماج إلى قسمين:

1– الأول يتضمن تصريحا بمعنى من فن كفاية عن معنى من فن آخر، كدمج الشاعر[3]لشكوى الزمان في التهنئة في قوله:

أَبَــى دَهْرُنَــا إِسْــعَافَنَا فِــي نُفُوسِــنَا فَأَسعفنَــا فِـيمَن نُحِـبُ وَنُكْـرم

1: ينظر:معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1403هـ، 1983م، 84/1.

2: سورة القصص، الآية: 70

3: وهو الشاعر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر،وقد كتبه لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر المعتضد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين بن أبي بكر بن خلكان، تحق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 120/3.

فَقُلْـتُ لَـهُ نعمـاكَ فِـيهم أَتمهـــا وَدَع أَمْرَنَـا إِنَّ المهـم المقـدم

2- أما الثاني فأن يقصد المتكلم إلى نوع من البديع فيجيء في ضمنه بنوع آخر مثل قول بعض الأندلسيين:

أَأَرْضَى أَنْ تُصَاحِبَني بَغِيضًا مُجَامَلَـــــة وَتَحْملنـــي ثقـيلا

وحقك لارضيت بذا لأنـــي جعلـت وحقـك القسـم الجلـيلا

فأدمج فيه الغزل في العتاب من الفنون، والمبالغة في القسم من البديع[1].

إذن من شأن الإدماج أن يرفع من درجة الإعلامية، ذلك أنّ المتلقي يحتاج إلى ذكاء وفطنة كبيرين من أجل تحديد المعنى غير المصرح به.

4-2-الإرداف:

لغة: الردف، بالكسر: الراكب خلف الراكب...وردفه، كسمعه ونصره: تبعه، كأردفه. وأردفته معه: أركبته-والنجوم: توالت[2].

لقد تعددت أسماء هذا الأخير من طرف البلاغيين، إلا أنهم اجتمعوا على معنى موحد له، مثلا ابن قدامة جعله فرعا من ائتلاف اللفظ مع المعنى، في حين بحثه بعض المتقدمين كابن قتيبة وابن المعتز ضمن باب الكناية والتعريض، وسمّاه ابن رشيق التتبيع، وسمّاه ابن سنان الإرداف والتتبيع[3].

وقد عرّفه قدامة بن جعفر: أن يريد المتكلم معنى من المعاني، فلا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع.

---

[1]: ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، 83/1 وما بعدها.

[2]: القاموس المحيط، ص712.

[3]: ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص77.

كقول ابن أبي ربيعة:

بَعِيـدَةُ مَهْـوَى القُـرْط إمـا لنَوْفَـلٍ أبوهـا وإمـا عبـدُ شـمسٍ وهاشِـمُ[1]

فبدلا من أن يقول طويلة الجيد قال بعيدة مهوى القرط[2].

إذن الإعلامية تكون في هذه الحالة في أوجها، لأن المتلقي لا يعتمد على ظاهر الكلام، بل يحتاج إلى استبصار وتعمق في الفهم حتى يصل إلى المعنى المقصود، وهذا لا يتأتى لأي كان بل لا يصله إلا ذو دهاء وفطنة.

4-3-الإشارة:

لغة: هي التلويح والإيماء، جاء في اللسان: أشار إليه باليد أي أومأ، وأشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيده، ويقال: شوّرت إليه بيدي وأشرت إليه: أي لوحت إليه[3].

فمادة شور تدور عموما في فلك الإيماء والتلويح ووضع العلامة للشيء، وهذا قريب إلى حد بعيد من المعنى الاصطلاحي كما سيتضح.

أما اصطلاحا فيقصد بها أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بإيماء أو لمحة تدل عليه... ومن أمثلة الإشارة في الكتاب العزيز، قوله تعالى:﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾[4].

فإنه سبحانه أشار بهاتين اللفظتين إلى انقطاع مادة الماء من مطر السماء ونبع الأرض، وذهاب الماء الذي كان حاصلا على وجه الأرض قبل الإخبار إذ لو لم يكن ذلك

---

[1]: ديوان عمر بن أبي ربيعة تق: فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1416هـ، 1996م، ص314

[2]: ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص24.

[3]: اللسان، مادة: (ش، و، ر).

[4]: سورة هود، الآية: 44

لما غاض الماء[1].

فالقارئ للوهلة الأولى خاصة خالي الذهن لن يتوقع هذا المعنى الدقيق الذي لا يحصله المخاطَب إلا بعد تأمل عميق، وبالتالي فالإعلامية في هذه الحالة تكون مرتفعة.

4-4-التشبيه:

يقصد به مشاركة أمر لأمر آخر في المعنى، وقد اتفق العقلاء على مكانته الكبيرة في البلاغة، فهو يقوي المعاني ويزيد تحريك النفوس أضعافا مضاعفة[2].

واعلم أنّ للتشبيه موقعا حسنا في البلاغة-وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويكسبها توكيدا وفضلا ويزيدها ويكسوها شرفا ونبلا. فهو فن واسع النطاق فسيح الخطوة، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف. متوعر المسلك. غامض المدرك. دقيق المجرى، غزير الجدوى[3].

لك أن تتخيل معنا كيف للتشبيه أن يرفع من كفاءة الإعلامية، إذ أنّه سيخيب توقعات المتلقي لأننا نعلم أن التشبيه جسر يحاول المخاطِب من خلاله إيصال المعنى للمخاطَب، وبالتالي فالتشبيه يعود لشخصية المخاطِب الذي يصوغه وفقا لمعرفته وثقافته، والتي سيفاجئ بها المتلقي طبعا لأنّه سيقدم معلومات جديدة.

---

[1]:تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تحق: محمد حفني شرف، ص200-202.

[2]: ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبديع والبيان، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص217-218.

3: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد الأحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د-يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1999م، ص219.

4-5-التقديم والتأخير:

من شأن التقديم والتأخير أن يؤثرا في درجات الإعلامية لأنهما عدول عن المألوف، والتركيب الواحد إن شابه تقديم أو تأخير فإنه يقدم معلومات جديدة، وكل تقديم أو تأخير يحمل دلالات ومعلومات جديدة، فإذا قلت للمخاطَب: محمد، فهو ينتظر الخبر أو الفائدة، فتمنحه معلومة كان يجهلها، وهي مثلا: نجح في الامتحان، أما قولك نجح في الامتحان، فالمخاطب ينتظر من الذي نجح، لتأتيه المعلومة، محمد.

يقول عبد القاهر الجرجاني في التقديم والتأخير: هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروق لك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان[1].

وقد اعتبر عبد القاهر الجرجاني أنّ أي تقديم أو تأخير تنجم عنه بالضرورة فائدة ومعلومات جديدة يكتسبها المتلقي، واعتبر أنه من الخطأ اعتبار التقديم والتأخير مفيدا تارة وتارة غير مفيد، فيقول: "واعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء أو تأخيره قسمين، فيجعل مفيدا في بعض الكلام وغير مفيد في بعض...فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلا على الفعل في كثير من الكلام، أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير..."[2]

[1]: دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص106.

[2]: المصدر نفسه، ص110.

إنه لأمر واضح ما أقر به الجرجاني، فمن شأن التقديم والتأخير الرفع من درجة الإعلامية، لأن أي تقديم أو تأخير يشوب الكلام لا بدّ أن تنتج عنه معلومات جديدة.

4-6-الغرابة والغموض:

والغرابة أن تكون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الخلّص...[1].

اللفظة الغريبة تجعل المتلقي يشغل عقله من أجل إدراك معناها، فهو في النهاية لا يتوقع ولا يدري ما معناها، وهنا ترتفع الكفاءة الإعلامية، وسيضيف المتلقي لرصيده معلومة جديدة.

ويمكن أن نضيف للغرابة المشترك اللفظي، أين تكون الكلمة الواحدة لها عدّة دلالات، ففي توظيفها في سياقات مختلفة سيتغير معناها وفقا للسياق، وهنا يجد المتلقي نفسه أمام معلومات جديدة يجهلها لا تتوافق مع توقعاته.

4-7-الحذف:

الحذف نوع من أنواع الإيجاز، يقول فيه عبد القاهر الجرجاني: "وهو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذ لم تبن[2].

---

[1]: البلاغة العالية علم المعاني، عبد المتعال الصعيدي، تقديم: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ط2، 1411هـ، 1991م، ص13.

[2]: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص146.

لا شك أن الحذف سيرفع من كفاءة الإعلامية ذلك أن المتلقي لا يتوقع المحذوف للوهلة الأولى بل يحتاج لتشغيل عقله من أجل تعبئة الثغرة الموجودة في الخطاب.

إن البحث في التراث البلاغي يفتح لنا مجالا من أجل استنباط عدّة فنون وأبواب بلاغية يمكن اعتبارها من الآليات التي فعلا ترفع من درجات الإعلامية، ولو تتبعناها فإننا لن نفرغ منها، لهذا حاولنا التركيز على أهمها فقط.

5- آليات خفض الإعلامية:

يقصد بها الأساليب التي من شأنها أن تنقص من الكفاءة الإعلامية، فإذا كانت آليات رفع درجات الإعلامية من صنع المتكلم، فإنّ عمليات خفض الإعلامية يتكفل بها المتلقي من حيث مصادره الخاصة، حيث يلجأ في محاولته لخفض درجات الإعلامية إلى معرفته العامة، أو المعرفة المستقاة من عناصر الخطاب في حد ذاته، لذا حينما يجد المتلقي نفسه أمام نص جديد فإنه يهدف إلى فك رموزه، ومحاولة خفض درجات إعلاميته وذلك بـ:

1-التخفيض الرجوعي أو الخلفي، بالعودة إلى الوراء داخل النص لتحديد ما إذا كان العنصر المعقد يفسره الآخر الذي يسبقه.

2-التخفيض التقدمي أو الأمامي، بالانتظار لمعرفة التطورات اللاحقة في النص لتحديد ما إذا كان العنصر المعقد يفسره شيء لاحق له.

3-التخفيض الرجوعي بالتفتيش في الذاكرة عن موقف مشابه، أو اللجوء لمعرفتنا من العالم، لتحديد سبب يفسر التعقيد المقصود لهذا العنصر.

على أن هناك بعض التعابير أو الأساليب التي يستخدمها المتكلم والتي من شأنها أن تحط من درجات الإعلامية، وقد أحصى علماء البلاغة العربية بعض الأساليب التي تدفع بالمتلقي إلى النفور من الخطاب والإعراض عنه، نذكر منها تمثيلا لا حصرا ما يأتي:

– التكرير: فإن لم يكن التكرير ذا فائدة فإنه سيؤدي إلى نفور المتكلم من الخطاب، وإعراضه عنه، وبالتالي خفض درجة الإعلامية.

– الإخلال: هو من عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى، وقد عرّفه قدامة بن جعفر بقوله:"هو أن يترك من اللفظ ما يتم به المعنى" ومن عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى أيضا: أن يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى"

ومن الأول قول الحارث بن حلزة:

فـــالنُّوكُ خَيْـــرٌ فِـــي ظِـــلَا لِ العَـيْشِ مِمَّـنْ عَـاشَ كَـدّا[1]

أراد أن يقول: "والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكد في ظلال العقل" فترك شيئا كثيرا.

ومثال الثاني قول بعضهم:

فما نطفة من ماء نحض عذيبة تمنع من أيدي الرقاة ترومـــها
بأطيب من فيهـــا لو أنك ذقته إذا ليلة أسجت وغارت نجومها

وسمّى البغدادي هذا الموضوع: "الإخلال بالإفادة"[2].

[1]: ديوان الحارث بن حلزّة، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1411هـ، 1991م، ص47.

[2]: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، محمد مطلوب، ج1، ص82.

إذن لا شك أنّنا ننطلق من آخر قول "إخلال بالإفادة" ، وبالتالي خفض للإعلامية، وعدم وضوح للمعنى وبالتالي لا فائدة تجنى من الخطاب، ولن يحصل المتلقي على معلومات مهما كانت قيمتها لأن الفائدة قد اختلت نتيجة لحذف ما فيه فائدة أو زيادة ما فيه إخلال.

أسلوب الحكيم:

وقد دعا علماء البلاغة في معرض حديثهم عن الكلام الواضح إلى بعض الصفات التي يجب أن يبتعد عنها المتكلم حتى لا ينفر المتلقي من خطابه، ولا تحدث فائدة من الخطاب.

كما ذكرت الدكتورة زهراء البرقعاوي إن العلماء العرب قد وقفوا على طبيعة خفض الإعلامية دون أن يخصصوا لذلك تسميات تعبر عنها، وتستدل بتفسير ابن الأثير لقوله تعالى:﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾[1]، فاللفظتان قد يراد بهما الشجر المعروف، إلا أنّ الخفض الأمامي المتمثل في قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾(التين/02) يرجح أنّ المراد بهما جبلان للمناسبة بينهما[2].

[1]: سورة التين، الآية: 01

[2]: الإعلامية في الخطاب القرآني، ص37.

6- مصادر التوقعات:

ومصادر توقعات المتلقي كما ذكرها دي بوجراند، هي[1]:

1-العالم الواقع: والمتمثل أساسا في المعلومات المختزنة والتجارب الواقعية التي تجعل من الناس يرون العالم بطريقة معينة، ويعدّ ما يصدق فيه من قبيل الحقائق مثل المعتقدات السائدة، ككون الأسباب لها نتائج...

2-ومن مصادره كذلك التنظيم الخاص للغة، ويقصد به المعرفة الضمنية بقواعد اللغة.

3-نوع النص كذلك من شأنه أن يكون من المصادر التي يستمد منها المتلقي توقعاته، فالقصص الخيالية والتقارير العلمية وشعر الحداثة وغير ذلك لها بعض الخصائص التي تضيء مسارات المتلقي.

4-السياق المباشر الملامس للنص، حيث يدخل هذا المصدر تعديلا على مصادر التوقعات الأخرى، بما يمكن المتلقي من توقع تكرار وقائع نصية معينة مقارنة بغيرها[2].

7- عناصر الإعلامية:

بما أن الإعلامية تتمثل في تلك المعلومات الجديدة التي يستمدها المخاطب من الخطاب، فإن عناصر الإعلامية هي نفسها عناصر الاتصال أو التواصل التي حددها جاكبسون، ذلك أن الإعلام يستوجب وجود مخاطِب ومخاطَب، كما يستوجب وجود رسالة مهما كانت لغتها سواء كانت إشارات أو أصواتا منطوقة، ولا يتم هذا إلا في اشترك كل من

1: ينظر: النص والخطاب والإجراء، ص262-263-264.

2: ينظر: نفسه، ص265.

المرسل(المخاطِب) والمستقبل(المخاطَب) في تلك اللغة وكل ما يتعلق بها من قوانين ومواضعة، وهذه العناصر كالآتي[1]:

1-المخاطِب أو المرسل: يقوم بأداء الرسالة

2-المخاطَب أو المرسل إليه: يستقبل الرسالة

3-إقامة الاتصال بين المرسل والمتلقي: ولكي ينجح هذا الاتصال لا بد من وحدة التجربة بينهما، وذلك وفق قناة التحويل التي تحقق الاتصال وتبقيه قائما.

4-لغة مشتركة يفهمها ويجيدها كل من المتلقي والمرسل، حتى تفهم الرسالة.

5-رسالة لغوية: أو الخطاب وهي ظرف لمحتوى الكلام، وهي التي تتضمن الإعلامية ومنها يستمد المخاطَب المعلومات الجديدة.

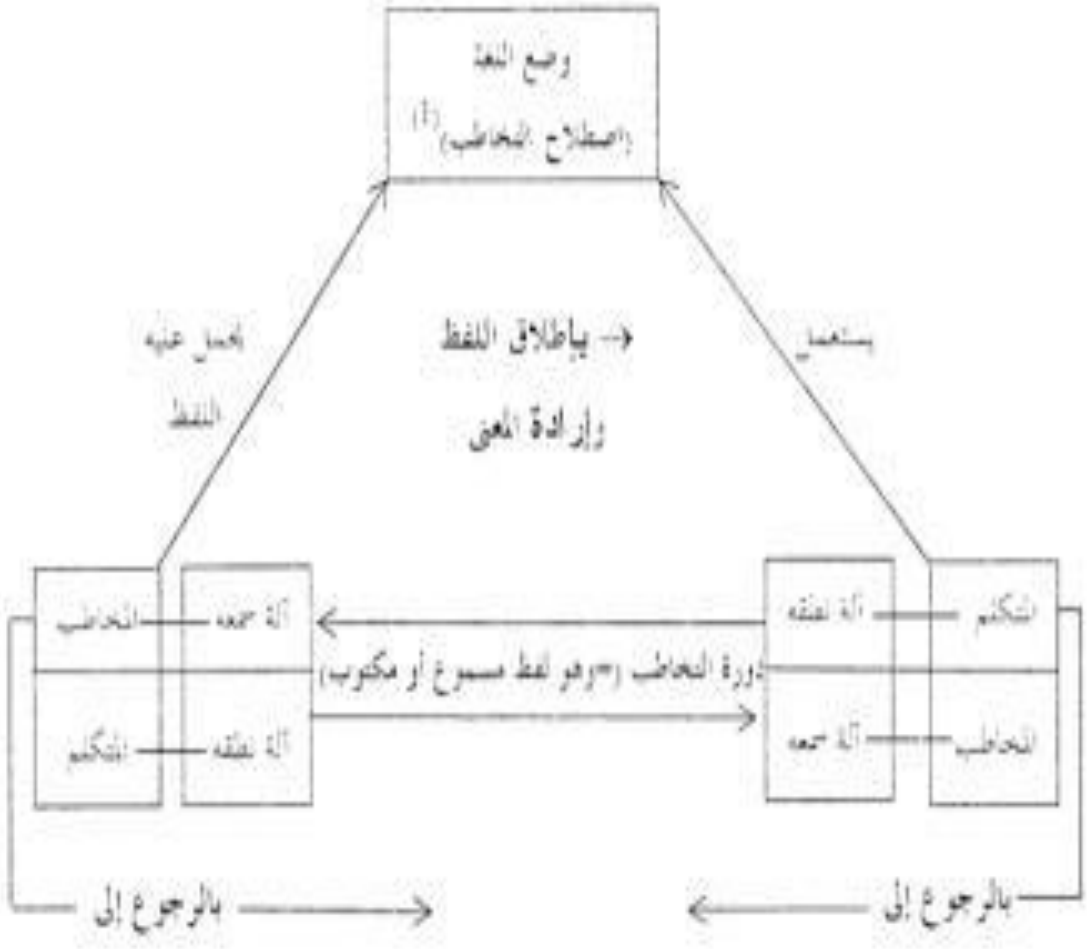
وقد استنبط الحاج صالح أسس الخطاب عند النحويين العرب، إذ نجده يقول:" وبعد هذا يمكن أن نرسم الآن، بناء على ما سبق، دورة التخاطب كما يمكن أن نتصورها من خلال ما ذكرنا من أقوال العلماء العرب ابتداء من زمان الخليل وسيبويه"[2].

[1]: ينظر: المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003، ص99.

[2]: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال عند العرب، عبد الرحمن الحاج صالح، ص53.

1) دورة التخاطب عند العلماء العرب

وهي شبكة من القنوات المقترنة



وبما أن الخطاب لا يفهم إلا من خلال بعض الدلائل أو القرائن، فقد رصد الحاج صالح هذه الأخيرة عند سيبويه وهي كالآتي[1]:

1-ما يرى المخاطب من الحال(مشاهدة الحال بعده)

2-ما جرى من الذكر.

[1]: ينظر: نفسه، ص55.

3-علم المخاطب السابق.

وبهذا استطاع العلماء العرب تصوير دورة التخاطب كما هي، وقد سبقوا بذلك عصرهم، وإن لم يصرّحوا بهته العناصر ضمن ما هو عليه اليوم لكنهم كانوا على دراية بها، وهذا ما تجلى في تعاملاتهم مع القضايا اللغوية كالحذف مثلا.

إن هذه القرائن التي ذكرها الحاج صالح هي في الحقيقة مصادر التوقعات التي ذكرها دي بوجراند، وهذا يجعلنا نتأكد بأن ما وصل إليه الأسلاف قبل عصور مديدة لم يصل إليه الغرب إلا حديثا، بل ويجعل الشك يتسرب إلى أذهاننا حول ما إن كانت النظرية الإعلامية بروافدها مستقاة من العلوم العربية.

إذن مبدئيا يمكن أن نستنتج أنّ علماءنا العرب قد استطاعوا أن يرصدوا عناصر الخطاب، رصدا أقل ما يقال فيه أنه دقيق استوفى كل العناصر، وأحصى كل الدلائل، ومن بين الدلائل التي يعتمد عليها في فهم الخطاب علم المخاطب، والذي يعتبر عنصرا هاما جدا ذلك أنّه أحد أهم مباحث الدراسة، لأنه يعتبر المفهوم الشامل الذي يمكن أن تندرج ضمنه الإعلامية بمفهومها الغربي، بل هو المقابل الملائم للإعلامية مع وجود بعض الفروق سنبينها في مقامها، ولعلنا هنا نتساءل عن مفهوم علم المخاطب، وما الفرق بينه وبين الإعلامية؟ وهل يمكن أن يكون هناك تأثر بالمفهوم العربي، بحكم أن علم النحو أسبق من اللسانيات النصية؟

8- أصول الإعلامية:

كأي نظرية من النظريات فإن الإعلامية لم تنشأ من فراغ، بل لها أصول ومصادر انبثقت منها، وفي هذه المحطة سنحاول أن نستجلي مصادرها، وتتحدّد مصادرها في:

- نظريات الاتصال أو التواصل.
- النظريات والاتجاهات اللغوية.
- المذاهب النقدية.

1-نظريات التواصل:

انطلقت الدراسات والبحوث التي يمكن إدراجها ضمن النظرية التواصلية في الولايات المتحدة في الأربعينات من القرن العشرين، وقد ساهمت أبحاث متنوعة، وفي اختصاصات محددة-الفيزياء والرياضيات-في بلورة نظرية حول الأنظمة التواصلية بدراسات بدأت منذ نهاية القرن التاسع عشر في الفيزياء والرياضيات، AndreiwichMarkov Lwdwingbohzan Ralf wichonHawrtley حول مفهوم "احتمالية الحدث" Beobabilited uneevenement وإمكانية قياس هذه الاحتمالية[1].

[1]: اللسانيات ونظرية التواصلرومان ياكبسونأنموذجا، د-عبد القادر الغزالي، دار الحوار، سوريا، ط1، 2003م، ص23.

ثم تطور مصطلح التواصل حتى أصبح يطلق عام 1948م على الإعلام، بعدما تم استعماله من طرف العالم نوربوواينر مؤسس علم الآلة أو السيبرنطيقا أو العلم الذي يعنى بمعالجة الأخبار والتحكم في أنساقها الآلية[1].

لقد خلق الله تبارك وتعالى الإنسان وجبله على التواصل والتبليغ، إذ لا يستطيع الإنسان إلا أن يعبر عن أغراضه وأحاسيسه ومشاعره وآرائه، وباعتبار التواصل ذا أهمية كبيرة، فقد سعى العلماء والباحثون بمختلف توجهاتهم إلى تقديم نماذج تستجلي عملية التواصل، وضمن هذه الاتجاهات قدم كلود شانون وويفر وارن نموذجا للاتصال يقوم على الاحتمال الإحصائي، وقد ذهب شانون وويفر إلى أنه كلما زاد عدد البدائل أمام المتلقي، ارتفعت إعلامية الرسالة، وهذا المفهوم الإحصائي للإعلامية ينطلق من تصور مفاده أنه يمكن أن يحسب تبادل المواقع بين العناصر اللغوية المتجاورة من خلال ما يطلق عليه سلسلة ماركوف، إذ ينم حصر المواقع التي يحتمل أن تأتي فيها هذه العناصر مصاحبة لعناصر أخرى محددة، وهذا النموذج استلهمه لاحقا نفر من علماء لسانيات النص[2].

ويرتكز هذا النموذج أساسا على قياس رياضي جبري للمعلومة كوحدة يمكن تقليصها إلى حدّها الأدنى، كي تنخفض تكلفة نقلها عبر التلغراف. لكنّ هذا النموذج ذا الخانات الستّ(مصدر المعلومة–الجهاز المرسل–الرسالة–مصدر التشوش–الجهاز المستقبل–هدف

[1]: ينظر: مفهوم التلقي من خلال الأنموذج التواصلي لنظرية زيجفريدشميث، د–نزار التجديدي، مجلة عالم الفكر، ط4، 2000م، ص298.

[2]: ينظر: النص والخطاب والإجراء، 249، 250.

المعلومة أو المرسل إليه) سرعان ما عمّم نفسه، عن غير قصد، على أشكال التواصل كافّة البعيدة كلّ البعد عن الأصل التلغرافي التقني الصّرف، التي تتدرج في إطار الصنف الأول[1].

إذا على أساس رياضي صار بالإمكان تكميم وحساب سرعة تكلفة المعلومة، وهذا النموذج قد تنبه له العرب وهذا ما قال به الحاج صالح، إذ قال: "إنّ الفائدة عند النحاة العرب قابلة للتكميم: فهي إيجابية أو مساوية للصفر وبينهما درجات: المخبر ليس له علم تماما عن الحادث وقد يكون فيه شك فإعلامه عن ذلك إيجابي أو له علم بذلك فإعلامه لغو كما قال النحاة..."[2].

وبالتالي فنظريات التواصل كانت منطلقا لبروز نظرية الإعلامية باعتبارها عنصرا بارزا من عناصر التواصل، بل ومساعي العلماء في خفض تكلفة المعلومة إلى حدّها الأدنى جعل اللغويين يتفطنون لدرجات الإعلامية، وللإعلامية كفكرة.

وقد أفاد علماء النصية أمثال ديبوجراند ودريسلر من مفهوم الإعلامية لدى شانون وويفر في السبعينيات ثمّ في الثمانينيات من القرن العشرين، فقاما بتعديل نظرية الإعلامية السابقة لما يعتورها من قصور يتمثل في الجوانب الآتية:

1-إن وقوع معظم العناصر اللغوية يعتمد على عوامل أخرى غير وقوع العنصر الذي يسبق كلا منها مباشرة.

[1]: التواصل، نظريات وتطبيقات، محمد عابد الجابري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص12.

[2]: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص72.

2-إنّ هذا النموذج لا يناسب اللغات الطبيعية، لأنّها لا تحتوي على عدد متناه من الحالات المحتملة.

3-إهمال المعنى ومرامي الخطاب[1].

إضافة إلى عدم القدرة على الاعتماد على الإحصاء لأن المعلومات المخزنة لدى المتلقي أثناء بناء التوقعات يصعُب تحديدها لأنها تنتقل من الذاكرة الحديثة إلى الذاكرة المفهومية[2].

كما أنّه لا يمكن النظر إلى المعلومة على أنها كمية أو قيمة فقط – كما قال بذلك شانون وويفر-بل يجب كذلك النظر إليها كقيمة معنوية كمعنى وما تحمله من معلومات جديدة.

وقد توطدت العلاقة أكثر بين نظريات التواصل واللسانيات النصية بظهور اللسانيات الكمية التي استفادت من المنطق والإحصاء ونظرية التواصل، وقالت بإمكانية تقدير تواتر الوحدات النحوية في السياق الكلامي بصورة ثابتة بعدما رصدت فعليا مدى توفرها[3].

إذا لقد استفادت الإعلامية كفكرة من نظرية التواصل لكنها أخذت ما يناسبها فقط، باعتبارها خاصة بالحدث اللغوي، إذ اعتمد دي بوجراند ودريسلر بعد ذلك على فكرة الاحتمال السياقي، بحيث حسب مطالب عملية التواصل تختلف احتمالات ورود العناصر

[1]: الإعلامية في الخطاب القرآني، ص57-58.

[2]: ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة، ص155-176.

[3]: ينظر: الألسنية -علم اللغة الحديث-المبادئ والأعلام، ص22.

اللغوية[1]، فنجد دي بوجراند يقول: "يمكن على الرغم من شيوع مصطلح الإعلام على مدى السنين أن ننظر إلى هذا المصطلح لا من حيث كونه يدل على المعلومات التي تشكل محتوى الاتصال، بل من حيث يدل بالأحرى على ناحية الجدّة أو التنوع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف"[2]

بهذا كان لزاما انتقال فكرة الإعلامية إلى اللغويات باعتماد خصائص تناسبها.

2-النظريات اللغوية:

لقد برزت اهتمامات اللسانيين منذ البداية بالتواصل والاتصال والإفادة، ذلك أنّ وظيفة اللغة الأساسية التواصل، ومن أوائل من أشار إلى هذه الفكرة بصرف النظر عن العلماء العرب، الذين كان لهم السبق في هذا الصدد، دي سوسير، إذ ركّز هذا الأخير على وظيفة اللغة التواصلية، فقد دعا سوسير إلى ضرورة التمييز بين اللسان الذي هو موضوع اللسانيات وبين الكلام الذي هو عبارة عن تأديات فردية للسان، واللسان عند سوسير هو نظام يمتلكه جميع المتكلمين بلغة واحدة، فاللسان وبفضل نظامه الداخلي يؤدي الوظيفة التي وضع من أجلها، وهي التواصل والتبليغ[3].

ثم توالت بعد ذلك النظريات اللغوية كل نظرية لها أسس ومبادئ تقوم عليها، ومن النظريات التي يمكن اعتبارها ذات صلة بالإعلامية ما أتت به المدرسة الوظيفية من أسس

---

[1]: ينظر: الإعلامية في الخطاب القرآني، ص58.

[2]: النص والخطاب والإجراء، ص249.

[3]: ينظر مثلا: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، أبحاث للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، ط1، 2004م، ص14.15.16.

ومبادئ مخالفة لسابقتها وإن كانت تنطوي معها–نظرية سوسير–ضمن ما يسمى بالتوجه البنوي، فإن هذه الأخيرة قد انفردت بنظرتها الوظيفية للغة بمجمل مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية، وتقوم النظرة الوظيفية خصوصا للجملة على ثنائيات كما أقرها ماثيوس، وهي ثنائيات متمايزة تتعلق بالطرفين الأساسيين للجملة، وتأثير كيفية ترتيبهما في الوظيفة التي تؤديها الجملة، وهذه الثنائيات هي: (الموضوع/ التعليق)، (المتقدم/ المتأخر)، (المسلمة/ الإضافة)، فالمتقدم هو الموضوع المتحدث عنه وما يجب على المخاطب معرفته، والمتأخر هو الجزء المتمم للجملة والذي يضيف معلومات جديدة للمتلقي، إذن هذان العنصران يتعلقان بالتركيب، والعنصران المتبقيان متعلقان بالمعنى، وهما: المسلمة والتي تعني المعلومات المحتواة في الخطاب والتي يدركها المتلقي، والإضافة وهي المعلومات التي لا يدركها المتلقي[1].

إذا المدرسة الوظيفية بقيادة ماثيوس قد نبهت على فكرة الإعلامية بثنائية المسلمة والإضافة، لكن الإعلامية بمعناها هنا كانت متعلقة بحدود الجملة لا غير، ومع الانطلاق من الجملة إلى النص انطلقت اللسانيات النصية هي الأخرى من الجملة بمفهومي المسلمة والإضافة إلى الإعلامية.

غير أن المدرسة الإنجليزية بريادة فيرث والتي وسمت بالنظرية السياقية قد كسرت الجمود الذي كانت تعيشه اللغة بعدما أعادت الاعتبار للظروف المحيطة باللغة، وتكمن

[1]: ينظر: مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديدة، ليبيا، ط1، 2004م، ص71. نقلا عن: M–A–K Haliday& R–Hasan cohesion in english(LondonLongman1976 p326.

العلاقة بين معيار الإعلامية ومبادئ اللسانيات النصية في كون هذه الأخيرة قد دعت إلى ضرورة كسر قيود اللغة وإعادة الاعتبار إلى السياق الخارجي للغة بما في ذلك المخاطب وما يتعلق به.

فاللغة في نظر رواد النظرية السياقية جزء لا يتجزأ من المجتمع، كما أن اللغة ليست مجرد منظومة من الإشارات والأدلة، بل هي ذلك الرصيد المكتسب اجتماعيا وثقافيا، الذي يسهم في إبراز المعاني[1].

من جهة أخرى يرى سابير أن النماذج اللسانية عليقة بالنماذج الثقافية–الاجتماعية والأنماط السلوكية للأفراد(داخل المجتمع). (فاللغة جزء أساسي من هذه الثقافة، بل أحد مكوناتها الأساسية)[2].

وبهذا ربط سابير بين اللغة وما يحيط بها، فالنماذج اللسانية متعلقة ومرتبطة بالمجتمع ارتباطا وثيقا لأن اللغة إنما خلقت من أجل التواصل وإفادة الغير بأفكار ومعلومات ومشاعر...كما أن اللغة منطلقها من متكلم ومنتهاها عند مستمع لذا لا يمكن إهمال هذا الجانب المهم في اللغة.

أما بلومفيد صاحب النظرية التوزيعية فيرى أن عملية الكلام إنما هي استجابة لمثير خارجي[3].

1: ينظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، ص21.

2: نفسه، ص29.

3: ينظر: أضواء على الألسنية، هيام كريدية، كلية الآداب، الجامعة اللبنانية، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ، 2008م، ص101.

وهكذا تسايرت المدارس والنظريات اللسانية انطلاقا من سوسير وصولا إلى اللسانيات النصية التي استفادت أيما استفادة من تلك المبادئ وسخرتها لخدمة النص

3- المذاهب النقدية الحديثة:

من النظريات النقدية المعاصرة التي يمكن أن يكون لها صلة وثيقة بالإعلامية ما اصطلح عليه بنظرية التلقي، إذ تولي هذه الأخيرة الأهمية القصوى للمتلقي، وإذا كانت كل النظريات والمناهج النقدية على اختلافها ترتبط بأصول معرفية مختلفة تنحدر منها وإليها، فإن نظرية التلقي تنحدر من الفينومينولوجيا أو الفلسفة الظاهريتية المعاصرة، وفحوى هذه النظرية: إنها النظرية التي جعلت فعل التلقي محورا لمفاهيمها النظرية والإجرائية من بين اتجاهات ونظريات ما بعد البنوية"[1].

وقد سبقت هذه النظرية بمجموعة من الأعمال التي مهدت لظهورها منها: التفكيك والسيمولوجيا والتأويل، وقد حاولت الجمع بين أركان الظاهرة الأدبية الثلاثة، فرفضت حصر المعنى في النص فقط. ولم تجعل دور القارئ منحصرا في فهم النص فقط، بل في بنائه وإنتاجه انطلاقا من مرجعيات ذاتية قائمة على فهم المتلقي ذاته.

من هنا ظهر الاهتمام بالمتلقي، وحري بنا هنا أن نشير إلى أن فكرة التلقي قد تزامن ظهورها مع لسانيات النص، كما أنه لا يمكن فصل اللسانيات عن الأدب والنقد لذا انتقل الاهتمام بالمتلقي من المذاهب النقدية إلى لسانيات النص.

[1]: ينظر: نظرية التلقي، أصول وتطبيقات، بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1999م، ص24.

بين الإعلامية وعلم (المخاطب):

لقد تم آنفا تعريف كل من المصطلحين في اللغة(علم- خطاب)، ونكتفي هاهنا بتقديم التعريف الاصطلاحي لعلم المخاطب.

علم المخاطب عند سيبويه-على حد تعبير الحاج صالح-"هو كل ما يعلمه المخاطب مما يساعده على فهم الخطاب وكل علم تحصل عليه منذ عهد قريب أو بعيد وهو أيضا كل المعلومات العامة-البديهية منها والمكتسبة-التي تحصل عليها منذ نشأته بالتجربة وكل ما يستنتجه من هذه البديهيات بالنسبة لمضمون الخطاب. وكثيرا ما فسر ظواهر الاتساع بعلم المخاطب ويريد بذلك رجوعه إلى هذه البديهيات العقلية. ومثال ذلك قول سيبويه: "وقد علم أن الضرب لا يضرب"(117/1). وأخص من ذلك كل ما يعرفه عن موضوع الخطاب الذي هو بصدد تلقيه"[1].

ثم إنّ علم المخاطَب هو أيضا علمه بمواضع الكلم في الكلام فهو علمه بحدود الكلام ومواقع عناصره، وهو مما اكتسبه ويدخل في ملكته اللسانية...[2].

وعلم المخاطب بهذا المفهوم كان موجودا في أذهان علماء العربية بجل تخصصاتهم، ذلك أنهم دائما ما كانوا يعمدون إلى تفسير بعض الظواهر اعتمادا على هذا الأخير كما سنبين لاحقا وفي هذا الصدد يقول الحاج صالح: "...الفائدة(أو الإعلام) لا تتحقق إلا في الاستعمال ولا خطاب ولا تخاطب إلا بإفادة فهي الوظيفة الأساسية للكلام، فكل ما هو

[1]: الخطاب والتخاطب، ص57.

[2]: نفسه، ص57.

معنوي أو إفادي فهو وظيفي بهذا المعنى، والجانب الإعلامي يقابل الجانب الدلالي في التخاطب؛ أي كل ما يخص الدلالة على المعنى أو على المراد..."[1]

على أنه يجب أن نميز بين علم المخاطب أو ما سيعلمه المخاطب أثناء الخطاب، وبين علم المخاطب السابق الذي يعتبر قرينة مساعدة على فهم الخطاب التي سنتحدث عنها ضمن آليات خفض الكفاءة الإعلامية عند سيبويه.

وبإلقاء نظرة متفحصة في التراث العربي النحوي–على وجه الخصوص–نجد أن المخاطب قد لاقى عناية كبيرة من النحاة، ذلك أنه أساس العملية الخطابية، وهذا وإن دلّ على شيء فإنما يدل بداية على غاية الدراسات العربية، والتي تتمثل أساسا في خدمة الفهم والإفهام، وتبرهن على أن القاعدة في النحو العربي كانت مأخوذة من الاستعمال ليس كما زعم أن النحو العربي نحو صوري وشكلي يخضع للمعيارية.

إنّ النظام اللغوي وجد لكي يفيد ويبلغ أغراض المتكلم ومقاصده للمخاطب، فهو وسيلة تبليغ جوهره الإفادة، وكان العلماء العرب القدماء على وعي بهذا؛ وقد بنوا النحو على مبدأ التخفيف والفرق، وهو مبدأ الاقتصاد اللغوي الذي عرفه اللغويون المعاصرون، أي أن الهدف الذي يوده المتكلم هو أن يبلغ أكبر عدد ممكن من الفوائد في وقت قصير وبمجهود قليل[2].

يتضح إذن غاية الخطاب والتخاطب كما ارتآه علماء العربية–قبل قرون– إنما هو إفادة

---

[1]: نفسه، ص73.

[2]: ينظر: النحو العربي ومنطق أرسطو، د–عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة كلية الآداب، جامعة الجزائر، العدد1، 1964، ص74.

المخاطب بمعلومات كثيرة في وقت وجيز، وهذا ينم عن اهتمامهم الكبير بهذا الأخير.

بين علم المخاطب والإعلامية:

بعدما تم تحديد المصطلحين سابقا لنا جليا الحدود الفارقة بين المصطلحين، الإعلامية باعتبارها مصطلحا غربيا وافدا وعلم المخاطب باعتباره مصطلحا عربيا أصيلا.

الإعلامية تحتمل ثلاثة معان:

أما الأول فيتمثل في الإعلام، أو الإخبار، ذلك أنّ كل نص يؤدي إلى الإخبار عن معلومة ما، فيفهم المرسل المتلقي أنه يمنحه معلومات.

في حين يتمثل المعنى الثاني في دلالته على ناحية الجدّة أو التنوع التي توصف به المعلومات.

والمعنى الثالث بعيد جزئيا عن حقل الدراسات اللسانية، إذ يقصد به الدعاية، إيجابا أو سلبا لشخص ما أو لفكرة ما، أو لمذهب ما.

أما علم المخاطب فيقصد به المعلومات التي اكتسبها المخاطَب من خلال الخطاب قديمة كانت أو حديثة، وبهذا فإنّ علم المخاطب أشمل وأعم من الإعلامية.

إن علم المخاطب يتسع ليشمل المعلومات العامة التي اكتسبها المتلقي من خلال الخطابات التي تلقاها، والتي يوظفها من أجل أن يستوعب خطابات أخرى في مواقف أخرى.

يمكن أن نستنتج أن علم المخاطب يتوافق ويطابق المعنى الأول للإعلامية، في حين أن المعنى الثاني محتوى في المعنى الأول، إذ لا يتوقع خطاب دون معلومات، سواء كانت تلك المعلومات متوقعة أو غير متوقعة.

كما أنّ علم المخاطب باعتباره حاضرا في ذهن العالم اللغوي، يقصد به كل ما يعلمه المخاطب قبل أو بعد أو أثناء الخطاب، قد يوافق كفاءة إعلامية مرتفعة، إذا كانت تلك المعلومات غير متوقعة أو جديدة على المخاطَب، في حين إذا كانت تلك المعلومات منها ما هو معروف ومنها ما هو مجهول، فإنه سيطابق الإعلامية من الدرجة المتوسطة، في حين إذ كانت تلك المعلومات مألوفة معروفة فهنا يطابق إعلامية من الدرجة المنخفضة.

كما يمكن أن نرصد في التراث النحوي، ما يوافق الإعلامية كمصطلح الفائدة، التي يقصد بها العلم المستفاد من الكلام، وهذا ما يطلق عليه عند سيبويه: العلم[1].

إذن من خلال هذه الوقفة الوجيزة على الحدود الفاصلة بين الإعلامية وعلم المخاطب يمكن أن نستشف بأن علم المخاطب يشمل الإعلامية بمفهومها المحدد.

بل وهو أوسع وأشمل منها، فالنظرية الحديثة والتي جعلت من الإعلامية معيارا من معايير النصية، وحددتها بأنها متمثلة في المعلومات التي يستقيها المخاطَب من الخطاب، وقد تكون تلك المعلومات جديدة أو مألوفة، غفلت عن حقيقة أكبر رصدها النحاة أو علماء العربية والتي تتمثل أساسا في استفادة المخاطب من تلك المعلومات حتى تصبح عنده مكتسبات قبلية يستثمرها في فهم خطابات أخرى، بل ويتم استخدامها في تفسير عدة مسائل وقضايا لغوية كالحذف والإيجاز، والتقديم والتأخير...وتبقى الغاية الأساسية من الخطاب هي استفادة المتلقي.

[1]: ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ج1، ص291.

علم المخاطب في الدراسات العربية:

لقد لاقى المخاطب في الدراسات العربية اهتماما كبيرا من طرف الدارسين العرب في كل التخصصات، إذ أن العلوم تقريبا هدفها إفادة الآخرين، وسنحاول في هذه المحطة أن نعرج على مدى اهتمامهم به.

علم المخاطب عند الأصوليين:

يقصد بعلم أصول الفقه بأنه القواعد الموصلة بذاتها إلى استنباط الأحكام ووجوه دلالتها[1]، كما يعرف أنّه معرفة دلائل الفقه إجمالا، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد[2].

إذن من بين طيّات التعريف يتضح أن أصول الفقه تهتم بالمستفيد، وهو المتلقي وحالة استفادته للأحكام.

ومن بوادر اهتمام الأصوليين بعلم المخاطب، وإن كان بغير اسمه عند اللغويين، ما قاله ابن قيم الجوزية في صدد حديثه عن الخبر، فيقول: ((الخبر إن كان عن حكم عام يتعلق بالأمة، فإمّا أن يكون مستنده السماع، فهو الرواية، وإن كان مستنده الفهم من المسموع؛ فهو الفتوى، وإن كان خبرا جزئيا يتعلق بمعنى، مستنده المشاهدة أو العلم؛ فهو الشهادة، وإن كان خبرا عن حق يتعلق بالمخبر عنه، والمخبر به هو مستمعه أو نائبه، فهو الدعوى، وإن كان خبرا عن تصديق هذا الخبر؛ فهو الإقرار ، وإن كان خبرا عن كذبه؛ فهو

[1]: إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، الشوكاني، تحق: محمد البدري، مؤسسة الكتب الثقافية، ط4، 1993م، ص18.

[2]: الإبهاج في شرح المنهاج، البيضاوي، تحق: محمد شعبان سلام، مكتبة الكليات الزهرية، القاهرة، مصر، 1981م، 16/1.

الإنكار، وإن كان خبرا نشأ عن دليل، فهو النتيجة، وتسمى قبل أن يحصل عليها الدليل مطلوبا، وإن كان خبرا عن شيء يقصد منه نتيجته فهو دليل وجزؤه مقدمة...[1]

إذن في صدد حديث ابن القيم عن أصناف الخبر، يذكر صنفا من أصنافه والمتعلق بمشاهدة المخاطَب أو علمه، وهو ما يطلق عليه الشهادة.

وفي افتراض الأصوليين لعملية التخاطب، نجد عندهم أربعة عناصر ،هي[2]:

1-الوضع الذي قام به واضع اللغة، وهو نسبة الألفاظ إلى المعاني.

2-الدلالة، التي هي نتيجة للوضع والسياق.

3-الاستعمال، وهو إطلاق الكلام، وقصد معنى ما.

4-الحمل، وهو اعتقاد السامع مراد المتكلم.

أول ما يمكن ملاحظتها على هذه العناصر أنها شبيهة لحد بعيد بالعناصر التي استنبطها الحاج صالح من التراث اللغوي، والشاهد هاهنا هو الحمل الذي يمكن اعتباره علم المخاطب، أو مضمنا فيه.

علم المخاطب في الدراسات البلاغية:

لقد اعتمد البلاغيون على المخاطب في توجيه المسائل اللغوية، خاصة في مسائل علم المعاني، وفسروا العديد من الظواهر البلاغية اعتمادا على علمه.

[1]: بدائع الفوائد، عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تح: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، ص13.

[2]: علم المخاطب في مناظرات ابن تيمية، امنصف دقاشي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2014، ص28، 29.

ويتضح اهتمام البلاغيين بعلم المخاطب من خلال مفاهيم عديدة تتوافق في بعض تفاصيلها مع علم المخاطب، وحتى مع الإعلامية، من ذلك دعوتهم للإفادة والبيان والإفهام.

فقد دعا البلاغيون إلى ضرورة أن يحمل الخطاب فائدة يبلغها المتكلم للمخاطَب، من ذلك ما قاله أبو هلال العسكري داعيا إلى ضرورة حرص المتكلم على تبليغ فائدة للمخاطب: " لا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام وتعدم منفعة الخطاب"[1].

فمن النصوص التي تعزز مكانة علم المخاطب واعتباره في الدراسات البلاغية، ما قاله الجرجاني من خلال حديثه:"...ذلك أنّك إذا كذّبت قائلا في كلام أو صدقته، فإنما ينصرف التكذيب منك والتصديق إلى إثباته ونفيه، والإثبات والنفي يتناولان الخبر دون الصفة. ويدلك على ذلك أنك تجد الصفة ثابتة في حال النفي، كثبوتها في حال الإثبات. فإذا قلت:" ما جاءني زيد الظريف"، كان الظرف ثابتا لزيد كثبوته إذا قلت:" جاءني زيد الظريف" وذلك أنْ ليس ثبوت الصفة للذي هي صفة له، بالمتكلم وبإثباته لها فتنتفي بنفيه، وإنّما ثبوتها بنفسها، وبتقرر الوجود فيها عند المخاطب، مثله عند المتكلم، لأنه إذا وقعت الحاجة في العلم إلى الصفة، كان الاحتياج إليها من أجل خيفة اللبس على المخاطب[2].

إذن يوجب هاهنا الجرجاني ثبوت الصفة عند المخاطب حتى لا يلتبس عليه المعنى، ويعلم الفائدة من الخطاب.

---

[1]: الصناعتين، ص626.

[2]: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص377.

ويواصل قوله تفسيرا لما أقره سابقا: "تفسير ذلك: أنّك إذا قلت:" جاءني زيد الظريف"، فإنّك إنما تحتاج إلى أن تصفه بالظريف، إذا كان فيمن يجيء إليك واحد آخر يسمى"زيدا"، فأنت تخشى إن قلت:" جاءني زيد" ولم تقل:"الظريف"، أن يلتبس على المخاطَب فلا يدري أهذا عنيت أم ذاك؟ وإذا كان الغرض من ذكر الصفة إزالة اللبس والتبيين، كان محالا أن تكون غير معلومة عند المخاطب، وغير ثابتة، لأنه يؤدي إلى أن تروم تبيين الشيء للمخاطب بوصف هو لا يعلمه في ذلك الشيء. وذلك ما لا غاية وراءه في الفساد[1].

إذن يبين من خلال هذا القول الجرجاني أن غرض المتكلم من ذكر الصفة إزالة اللبس، كانت تلك الصفة معلومة لدى المخاطب، وإلا حدث خلل ذلك أنه لا يمكن أن نبين للمخاطب شيئا يجهله.

كما يورد الجرجاني كذلك قولا يتحدث فيه عن علم المخاطب في باب حذف الموصوف بالعدد، فيقول: وأما حذف الموصوف بالعدد، فكذلك شائع، وذلك أنه كما يسوغ أن تقول عندي ثلاثة، وأنت تريد ثلاثة أثواب، ثم تحذف لعلمك أن السامع يعلم ما تريد، وكذلك يسوغ أن تقول: عندي ثلاثة وأنت تريد "أثواب ثلاثة"، لأنه لا فصل بين أن تجعل المقصود بالعدد مميزا وبين أن تجعله موصوفا بالعدد، في أنه يحسن حذفه إذا عُلم المراد[2].

إذن يخرج هاهنا الجرجاني مسألة الحذف، حذف الموصوف بالعدد بعلم المخاطب، فإذا كان معلوما عند المخاطب ما يتم وصفه فلم يذكر؟

---

[1]:السابق.

[2]: السابق، ص380.

كما يذكر في حديثه عن إنما:" إن قيل: قد مضيت في كلامك كله على أنّ "إنما" للخبر لا يجهله المخاطب، ولا يكون ذكرك له لأن تفيده إياه، وإنا لنراها في كثير من الكلام، والقصد بالخبر بعدها أن تُعلم السامع أمرا قد غلط فيه بالحقيقة، واحتاج إلى معرفته، كمثل ما ذكرت...من قولك: "إنما جاءني زيد لا عمرو"، وتراها كذلك تدور في الكتب للكشف عن معان غير معلومة، ودلالة المتعلم منها على ما لم يعلم.

قيل: أمّا ما يجيء في الكلام من نحو: " إنّما جاء زيد لا عمرو"، فإنه وإن كان يكون إعلاما لأمر لا يعلمه السامع، فإنه لابدّ مع ذلك من أن يدّعى هناك فضل انكشاف وظهور في أن الأمر كالذي ذكر..."[1]

جلي من هذه النصوص مدى حضور علم المخاطب في الدراسات البلاغية، باعتبار البلاغة تهتم بمدى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فإنه حري بالبلاغي أن يراعي علم المخاطب، سواء المسبق أو المكتسب آنيا من الخطاب، وفي تعامل الجرجاني مع علم المخاطب نلاحظ تآلفا وتناغما بين الموضوع وعلم المخاطب لأن مدار الكلام إنّما هو إفادة المخاطب بمعلومات يجهلها، وتوظيف هذا الأخير لمعلومات اكتسبها في خطابات سابقة لفهم خطابات جديدة.

والاهتمام بعلم المخاطب لم يرد عند الجرجاني فحسب، بل حتى عند من سبقه ومن والاه نجد اهتماما به، من ذلك ما قاله الخطيب القزويني في صدد حديثه عن الإضمار:

[1]: نفسه، ص351.

"وإن كان بالموصولية فإما لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة، كقولك: الذي كان معنا أمس رجل عالم..."[1].

كما أن الاهتمام بعلم المخاطب باعتباره تلك المعلومات التي اكتسبها المتلقي أو سيجنيها من الخطاب قد تُنُولت من طرف البلاغيين تحت أسماء أخرى، كالبيان وحسن البيان، كما قال بذلك الباحث عبد الخالق فرحان شاهين[2].

البيان عد البلاغيين هو الإفادة وإعلام المخاطب، يتجلى هذا-كما أقر نفس الباحث- في الدرجة الأولى من درجات الإعلامية في حين يتجلى حسن البيان في الدرجة الثالثة من درجات الإعلامية.

[1]: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 42.

[2]: ينظر: أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، عبد الخالق فرحان شاهين، رسالة ماجستير، مجلس كلية الآداب، الكوفة، 2012م، ص138.

علم المخاطب في الدرس النحوي:

لقد اهتم النحاة الأوائل والمتأخرون وحتى المحدثون بالمخاطب باعتباره عنصرا هاما من عناصر الخطاب، فهو منتهى الرسالة والخطاب والغاية التي من أجلها أقيم الكلام إنما هي إفادته بمعلومات جديدة، لذلك جعلوه مناط البحث والدراسة وجعلوا علمه–من الغايات التي يسعى المخاطِب إليها، ثم فسروا العديد من القضايا بالنظر إلى موضعه من المعلومة الملقاة عليه.

وبغض النظر عن سيبويه الذي سيكون مدونة التطبيق في الجانب التطبيقي للأطروحة، نقل سيبويه العديد من الأقوال التي تشير إلى اهتمام شيخه الخليل بعلم المخاطب، ننقل منها على لسانه ما قاله في باب إضمار الفعل المتروك إظهاره: "...وقال الخليل: كأنّك تحمله على ذلك المعنى، كأنّك قلت: انته وادخل فيما هو خير لك، فنصبته لأنّك قد عرفت إذا قلت له: انته، أنّك تحمله على أمر آخر، فلذلك انتصب ، وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إيّاه في الكلام ولعلم المخاطَب أنّه محمول على أمر حين قال له: انته، فصار بدلا من قوله: ائت خيرا لك، وادخل فيما هو خير لك..[1].

إذن يتضح لنا من خلال هذا القول أنّ الخليل يوجه قضية حذف الفعل كون المخاطب على علم به.

[1]: الكتاب، ج1، ص 283–284.

وليس بعيدا عن هذا ما قاله ابن السراج إبان حديثه هو الآخر عن الحذف:"...والمحذوفات في كلامهم كثيرة والاختصار في كلام الفصحاء كثير موجود إذا أنسوا بعلم المخاطَب ما يعنون...[1].

كما يشاطر ابن جني سابقيه الرأي، إذ يرى أن اللغة قائمة أكثرها على المجاز، ولما كان أصحابها أعرف الناس بها سواء المتكلم أو المخاطَب فهموا الأغراض منها[2]

وقد سار المتأخرون سير الأوائل في اهتمامهم بالمخاطب وإيلائه مكانة كبيرة في الدرس والتحليل حاذين في ذلك حذوهم، فها هو السيوطي يبرز باحترافية كبيرة أثناء حديثه عن النحو مكانة علم المخاطب، لما قال: "و صناعة النحو قد تكون فيها الألفاظ مطابقة للمعاني، وقد تكون مخالفة لها إذا فهم السامع المراد، فيقع الإسناد في اللفظ إلى شيء وهو في المعنى مسند إلى شيء آخر إذا علم المخاطب غرض المتكلم"[3].

فحتى لو كانت الألفاظ غير مطابقة للمعاني، وقع الإسناد إلى غير ما وضع له أصلا هذا إذا كان المخاطب على علم بأغراض المتكلم أي إذا حدثت فائدة.

إن هذه الأقوال لتبرز العلاقة المتينة التي تربط بين المتكلم والمخاطب أثناء الخطاب، فثقة المتكلم تجعل المخاطب يتصرف في خطابه على النحو الذي يستهويه وهذا يدل بصورة ما على تداولية النحو العربي وانطلاقة النحاة في التحليل من الواقع الاستعمالي للغة.

---

[1]: الأصول في النحو، أبو بكر بن محمد السراج، تحق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1427هـ، 1996م، ج2، ص224.

[2]: ينظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن ني، تحق: محمد لي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، ط3، 1988م، ج3، 250.

[3]: الأشباه والنظائر، جلال الين السيوطي، تحق: محمدبن عبد الله، ممع اللغة العربية، دمشق، 1986، ج3، ص173.

وإذا ألقينا نظرة على مكانة المخاطب ومدى اعتباره في الدراسات الحديثة لدى الباحثين المعاصرين، وجدناه حاضرا وبقوة خاصة في ظل بروز النظريات اللسانية الحديثة التي تقر بمكانة هذا الأخير وضرورة الالتفات إليه، فمن المعاصرين الذين اهتموا اهتماما شديدا بالمخاطب الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح–رحمه الله–إذ أفرد له بابا ي كتابه نظرية الخطاب والتخاطب، وتتبع معناه في التراث النحوي، وبين معناه الحقيقي في اصطلاح سيبويه والخليل، وتتبع التغير الذي طرأ على المصطلح عند من تلاهما، فيقول: " لفظة الإعلام عند سيبويه تعم كل أنواع الإعلام ولا تنحصر فيما يأتي به الخبر(خبر المبتدأ أو الفعل) خلافا لمن جاء بعده..."[1]

بل ويقر صاحبنا بمدى أهمية المخاطب وما يكتسبه من معلومات–بغض النظر عن علمه أو جهله أو شَكِّهِ فيما يحمله الخطاب من معلومات–كما يبرز تغير مفهوم علم المخاطب عند النحويين المتأخرين أمثال المبرد وابن السراج وابن جني، فحدث عندهم تخليط بين الإفادة كونها تدل على العلم أي الإخبار وتدل على المعنى والدلالة.

ومرد ذلك إنما هو عدم تفريقهم بين الخبر ومضمون الخبر، فمضمون الخبر هو مضمونه من العلم أو مضمونه من المعنى إلا أنهما شيآن مختلفان لكن ولأن الكلام يحمل علما ومعنى في الآن ذاته حدث خلط بين العلم والمعنى وصارا يدلان على علم المخاطب معا[2].

[1]: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، عبد الرحمن الحاج صالح، ص150.

[2]: ينظر: نفسه، ص151.

أمّا محمد يونس فيرى أن المفهوم التخاطبي يقوم على افتراض مفاده أن إسهامات المتخاطبين مترابطة بعضها ببعض ومحكومة بما يعرف بأصول التعاون الذي يقتضي أن كلّا من المتكلم وسامعه يسعيان إلى بلوغ تخاطب ناجح"[1].

إذن سواء النحاة الأوائل أو المتأخرون، الكل كانوا على وعي تام وكبير بمكانة المخاطب في تأصيل الدرس العربي، مولين المخاطب الاهتمام الأكبر كونه منتهى العملية التواصلية، فلولا معرفة وعلم المخاطب غرض المتكلم ما نجحت العملية التواصلية.

[1]: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، علي محمد محمد يونس، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2005م، ص45.

الإعلامية وعلم المخاطب بين لسانيات النص والتداولية:

لقد تم سابقا تبين الفرق بين الإعلامية وعلم المخاطب، وعلى الرغم من وجود علاقة اشتمال بين المفهومين، إلا أنهما يشتركان في ذات الخصائص، وباعتبارهما متعلقين بما يجنيه المخاطَب من الخطاب فغالبا ما يتم إدراج هذين المفهومين ضمن التداولية، والسؤال المطروح هنا: ما العلاقة بين الإعلامية أو علم المخاطب والتداولية؟

وقبل أن نخوض في هذا الشأن حري بنا أن نبيّن مفهوم التداولية.

التداولية ترجمة للمصطلحين الإنجليزي pragmatics، والفرنسي la epragmatiqu يقصد بها ذلك العلم الذي يدرس اللغة في الاستعمال، فهو علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال[1].

أما عن نشأة التداولية [2] فقد تم استخدامه بهذا المفهوم لأول مرة من قبل الأمريكي تشارلز موريس سنة 1938، ضمن حديثه عن علم العلامات الذي تشمل ثلاثة علوم هي: علم التراكيب، علم الدلالة، والتداولية.

على أنها لم تعد علما قائما بذاته إلا في العقد السابع من القرن العشرين، على يد الثلاثي المنتمي لجامعة أوكسفورد وهم أوستن، وسيرل، وجرايس[3].

---

[1]: ينظر التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ط1، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 2005، ص16

[2] ينظر: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص9.

[3]: ينظر: نفسه.

ويصعب تحديد مفهوم دقيق للتداولية وذلك ناتج عن تعدد المرجعيات الفكرية لهذه الأخيرة، إلا أن المتوكل قد وفق في تحديده لمفهوم التداولية أين قال: ومن أهم القضايا التي تنشغل بها التداولية[1]:

1- التركيز على مستعملي اللغة وسياق اللغة

2 - مراعاة ظروف استخدام اللغة الإنسانية كما يقررها سياق المجتمع.

3- الاهتمام بمظاهر التأويل بحسب السياقات،

4- تحليل مقامات الخطاب ومقاصده.

5 دراسة معاني المنطوقات في علاقتها بالمتكلم.

6- دراسة الاستلزام الحواري ومعرفة كيفيات الاتصال.

7- استحضار الشروط التي تجعل المنطوقات مناسبة وناجحة إنجازيا

8- دراسة العوامل التي تحكم اختيارنا للغة

والتداولية وإن كانت علما حديثا لم يتحدد مساره إلا في أواخر القرن العشرين إلا أن العرب قد امتاز تحليلهم للخطاب بانطلاقهم من الاستعمال وبهذا كان لهم قصب السبق في هذا المجال وما يدلك على هذا كتاب سيبويه وما يحمله بين دفتيه من إشارات من صميم التداولية بل الكتاب كله. فكتاب سيبويه ليس كتابا في القواعد النحوية الصارمة بل هو كتاب بلغ من العمق والتحليل الغاية المرجوة لاكتناه أسرار اللسان العربي، فقد شمل بعض قضايا

اللغة بداية من الجملة وصولا إلى التداول والاستعمال، فإن كان يركز على الاستعمال اللغوي فهو لا يهمل قوانين الخطاب[1].

وإننا لا ندعي أن ما توصل إليه النحاة أو اللغويون العرب في مجال التداولية هو التداولية في صورتها الآن، وندعي أنها جذور لما يصطلح عليه اليوم بالتداولية. بل نحن نعي أن من سمات الفكر اللغوي أن يصل ويرتقي وقد تتطابق بعض الرؤى والأفكار.

أما القصد من إقامة هذا المبحث هاهنا فهو رصد الإعلامية وتتبع مسارها ومن ثم تحديد مدى انتمائها إلى التداولية أيضا.

الإعلامية من المعايير النصية التي تدل على جانب الجدة في المعلومات التي تتضمنها، وتنتمي بموجب ما نص عليه دي بوجراند إلى ما يتعلق بمنتج ومتلقي النص[2].

وقد احتذى حذوه الدكتور سعد مصلوح مع قليل من التغيير أين قسم معايير النصية على ثلاثة أقسام[3]:

1- ما يتصل بالنص في ذاته وهما معيارا السبك والحبك.

2-ما يتصل بمستعملي النص منتجا ومتلقيا وهما القصدية والمقبولية.

3-ما يتصل بالسياق الخارجي للنص ويشمل الإعلامية والتناص والمقامية.

---

[1]: ينظر: ملامح التداولية في النحو العربي عند سيبويه وابن جني، قراءة تحليلية في المفاهيم، د-زهير بوخيار، ص7.

[2]: ينظر : دي بوجراند النص والخطاب والإجراء، ص106.

[3]: ينظر: نحو أجرومية للنص الشعري، سعد مصلوح، مجلة فصول، العدد الأول والثاني، المجلد العاشر، يوليو، 1991م، ص154.

إلا أنه وفي نظرنا المتواضع وبعدما بين أن الإعلامية تتعلق بما يتضمنه الخطاب من معلومات جديدة، يمكن أن ندرج الإعلامية لا في خانة المعايير المتعلقة بسياق النص وإنما بما يتعلق بمنتج ومتلقي النص، ذلك أن المعلومات يرسلها المتكلم إلى المخاطب وتتحدد نجاعتها بالنظر إلى موقف هذا الأخير منها.

إذن مادامت الإعلامية شديدة الصلة بالمخاطب والمتلقي فإننا نلمح خيطا رفيعا يشدها بالتداولية التي تدرس اللغة في الاستعمال، واللغة لا تستعمل إلا من طرف متكلم ومستمع.

لقد ولدت الإعلامية في أحضان اللسانيات النصية لكنها نصبت لها أوتادا في التداولية، فكأنها انطلقت من هناك لتستقر عند هذا العلم الجديد.

الفصل الثاني:

الإعلامية في كتاب سيبويه

حينما نتكلم عن الإعلامية نقصد علم المخاطب ، فقد أبدينا في الفصل السابق مواطن الالتقاء بين المصطلحين ومواطن الاختلاف، لكن الإعلامية في التراث تتجلى في فكرة علم المخاطب وعند سيبويه خصوصا بلفظ علم.

إحصاء مواطن ورود مصلح علم عند سيبويه بمختلف مشتقاته في الكتاب:

لفظ "**علم المخاطب**" ورد حوالي 9 مرات موزعة كالآتي: 55/1، 76/1، 236/1، 389/1، 393/1، 93/2، 280/2، 391/2، 563/3.

أما لفظ "**بعلم المخاطب**" فورد أكثر من ست مرات موزعة على أجزاء الكتاب كالآتي: 244/1، 233/2، 280/2، 345/2، 346/2، 391/2، 7/3.

أما لفظ" **لعلم المخاطب**" فقد ورد حوالي خمس مرات موزعة كالآتي: 47/1، 74/1، 76/1، 212/1، 104/3.

أما إذا استقصينا لفظ "**مخاطَب**" وحد لوجدنا قد ذُكر في الكتاب ما يقارب 75 مرة.

ناهيك عن استعمال سيبويه للمفردات التي ترادف علم المخاطب، كقوله: عرف، أو ما قد يندرج ضمن درجات الإعلامية كجهل المخاطب، أو ترقبه، أو شكه...

1-التعليق على الإحصاء:

من خلال جدول الإحصاء أعلاه يمكن أن نسجل الملاحظات الآتية:

-لقد استعان سيبويه كثيرا بفكرة علم المخاطب في تفسير العديد من المسائل وهذا ما يؤكده ورود مصطلح علم المخاطب بمرادفاته في كل أجزاء الكتاب.

-ورد مصطلح علم المخاطب بالألفاظ الدالة عليه حوالي سبع وستون مرة وهذا بمختلف الأجزاء وخاصة الجزء الأول، في حين سجل انخفاضا في الجزء الرابع.

-في الغالب يستخدم سيبويه مصطلح علم المخاطب، وأحيانا يعتمد مصطلح علم وحده بإسناده إلى الضمائر المناسبة في سياق الحديث، كما استخدم مصطلح المعرفة.

2-الإعلامية عند سيبويه:

يقر الحاج صالح أن للكلام معنى وفائدة والمعنى يختلف عن الفائدة [1].

فالنحاة الأوائل بما فيهم سيبويه ينظرون إلى الكلام أو الخطاب نظرة عميقة مترامية الأطراف فبغض النظر عن الجانب الدلالي للخطاب وما يتضمنه من معاني ودلالات...يشترط فيه أن يفيد، والفائدة في اصطلاح سيبويه ما هي إلا تلك المعلومات التي يستفيدها المتلقي...على أن هذا المصطلح لم يرد في الكتاب بل ورد كمفهوم فقط وسيبويه يستعمل مصطلح علم ومشتقاته كمفهوم للإعلامية كما وقد يستعين بمصطلح آخر يدل عليه بمشتقاته أيضا وهو عرف.

والكتاب حافل بالنصوص التي تبرز مدى اعتبار سيبويه لعلم المخاطب. واهتمامه بضرورة حصول الفائدة من الخطاب. وتوظيف ذات المعلومات في توجيه ما يعتري الكلام من عدول. ومن بين النصوص التي تصادق على ما قلناه قول سيبويه تمثيلا: ومثل ذلك

[1]: ينظر: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال الحاج صالح، ص70

قول العرب:من كذب كان شرا له يريد كان الكذب شرا له إلا أنه استغنى بأن المخاطب قد علم أنه الكذب[1].

فمن مظاهر اعتناء سيبويه بالإعلام أنه غالبا ما كان يوجه الحالة الإعرابية وفقا لما يعلمه المخاطب، أو ما سيتعلمه فمن ذلك ما قاله عن شيخه الخليل الذي يوجه نصب قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾في الآية ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

فنصب المقيمين مفاده أنك لا تريد أن تحدث الناس أو تخاطبهم بأمر قد جهلوه، لكنهم كانوا قد علموه من ذلك ما علمت، فنصبت على التعظيم والثناء[3].

وقد أفرد الحاج صالح فصلا يتحدث فيه عن الإعلامية لدى سيبويه والتي يطلق عليها مصطلح الإعلام–نقصد الحاج صالح–كما يوازن بينها عنده وعند من تلاه من النحاة[4].

والعلم أو علم المخاطب عند سيبويه هو كمية من المعلومات التي يتحصل عليها المخاطب من الخطاب. وهذه المعلومات قد تكون معروفة لديه وقد تكون مجهولة، كما يتباين موقفه إزاءها فقد يكون موقع الشك والتوقع أو المعرفة.

[1]: الكتاب: 2/ 391

[2]: سورة النساء، الآية 162

[3]: ينظر: الكتاب، 65/2

[4]: ينظر: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، ص70 وما بعدها

وقبل أن ندلي بوضوح عن فكرة الإعلامية عند سيبويه ومن تلاه من النحاة وجب علينا أن نبين الفرق بين الجانب الدلالي والجانب الإفادي للخطاب. كما حق علينا أن نعرج على مفهوم الخطاب عند سيبويه باعتبار الإعلامية رافدا من روافد الخطاب.

بين الدلالة والإفادة:

يقصد بالدلالة المعنى الواضح الذي يدل عليه أي كلام. وإن كان المعنى غير مقتصر على الكلام أو الجملة أو النص بل حتى الكلمة تدل على معنى وكذلك الصوت، في حين أن الفائدة تتعلق بالحاصل الذي سيتحصل عليه المخاطب من الخطاب ، وهذه الفائدة لا تجنى إلا من الكلام أو بما يصطلح عليه اليوم الخطاب.

وعليه فالفرق بينهما واضح إذا أن كل فائدة تستوجب معنى وليس كل معنى يستوجب فائدة. فقولنا مثلا السماء زرقاء عبارة تحمل معنى يدل على لون السماء في حين أنها لا تحمل فائدة ذلك أن الجميع يعلم أن لون السماء أزرق. فلا معلومة يتضمنها هذا الخطاب.

والنحاة في تعريفهم للكلام اجتمعت كلمتهم على ضرورة أن يتوفر هذا الأخير على الفائدة، فيعرفون الكلام على أنه اللفظ المفيد. ويشترطون في الجملة الإفادة على أن سيبويه لم يستخدم مصطلح الجملة إنما استخدم ما يكافئها وهو الكلام المستقل. وإن كنا نفتح قوسين هاهنا ونشير إلى أن الفائدة قد تغير معناها. وقد يقصد بها عند المتأخرين مجرد المعنى.

إلا أنه يجدر بنا أن نميز تمييزا حاسما بين المعنى والفائدة، وهذا ما دفع بالحاج صالح إلى الإلحاح على ضرورة التمييز بين الجانب الإفادي للخطاب. والجانب الدلالي بعد ما

أفرد لهذا الموضوع مبحثا أقر من خلاله أن النحاة بعد سيبويه اللهم إلا الأفذاذ منهم أمثال السهيلي والرضي قد خلطوا بين هذين المستويين، غير أن سيبويه قد أكد على وجوب التميز بين الوظيفة الدلالية والوظيفة الإعلامية للخطاب[1].

وهذا الحرص الشديد مرده أن اللغة تخضع لضوابط الاستعمال كذلك فالمتكلم هو الذي يوظف اللغة وفق ما تمليه عليه الظروف، فقد يلجأ للتقديم لأغراض هو يريد تبليغها للمتلقي. كما قد يضطر للحذف لأنه على يقين بأن المخاطب يعلم المحذوف.

ولو تأملنا الكتاب وأمعنا النظر فيه لأدركنا أن سيبويه يستعمل مصطلح علم كمقابل للإعلامية بمفهومه الشاسع الواسع فهو لا يقصد به مجرد الإخبار بل يقصد به ذلك الكم المعرفي الذي يجنيه المخاطب من الخطاب. والإخبار هنا يقصد به خبر المبتدأ.

فالإعلام عند سيبويه فضفاض يتسع ليشمل كل أنواع الإعلام، فهو عنده كل علم مستفاد من الكلام وأما مقياسه الحقيقي فهو موقف المتلقي من العلم الذي يتضمنه ذاك الأخير أي إن كان عالما به أو جاهلا له، كما قال بذلك الحاج صالح.

والجدير بالذكر أن الإعلامية عند النحاة فيما بعد صار يطلق عليها الفائدة أو الإفادة فبعد استقراء الحاج صالح لمفهوم الفائدة عند كل من المبرد وابن السراج والجرجاني وصل

[1]: ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية الحاج صالح، ص295.

إلى خلاصة مردها أن الفائدة هي ما يستفيده المخاطب من علم لم يكن تحصل عليه إلا من هذا الكلام الذي سمعه. ولا بد أن يكون قد جهل هذا الذي بلغه بهذا الكلام[1].

وما يؤكد وبشدة على أن الإعلامية موجودة في التحليل العربي بمفهومها الواسع كائنة في خلد النحاة العرب الأوائل ما قال به الحاج صالح: لا بد من الالتفات إلى ما يتصف به تحليل سيبويه للإعلام من العمق وما يترتب عليه من شروط وهي حقائق لم تثبت إلا في زماننا هذا في نظرية الإعلام information theorie[2]...

بل إن نظرة النحاة العرب للإعلامية أعمق، ذلك أنهم كانوا على يقين تام بدرجات الإعلامية وهذا ما قال به الحاج صالح: إن الفائدة عند النحاة العرب قابلة للتكميم : فهي إيجابية أو مساوية للصفر وبينهما درجات: المخبر ليس له علم تماما عن الحادث وقد يكون فيه شك فإعلامه عن ذلك إيجابي أو له علم بذلك فإعلامه لغو كما قال النحاة[3]...

إلا أن مفهوم الفائدة أو الإعلام عند سيبويه قد تغير مفهومه والتبس فيما بعد ومس شغاف المعنى وأصبح يدل تماما على المعنى. فإذا قيل الكلام هو كل لفظ مفيد بالوضع يفهم أن المراد من ذلك إنما هو أن يعني الكلام معنى يحسن السكوت عنه وهذا في حقيقة الأمر تضييق لمعنى الكلام في حد ذاته، فالمعنى غير المعلومات الجديدة التي يتباين موقف المتلقي إزاءها.

---

[1]: ينظر: الخطاب والتخاطب، ص71

[2]: نفسه، ص72

3: السابق، ص72.

وسيبويه حينما تحدث عن المعنى سواء في الإسناد أو غير ذلك فإنما يقصد به تلك المعلومات الجديدة المستوحاة من الخطاب.

الإعلامية ببن سيبويه ومن تلاه من النحاة:

لقد انفرد سيبويه باعتباره الأب الروحي للدرس العربي بنظرية موضوعية وعميقة لفكرة الإعلامية. نظرة تتسع لتشمل الإعلام أو الإخبار بمفهوميهما الشاسع. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هل الإعلامية ثبتت في أذهان من تلاه من النحاة بنفس المفهوم؟

لقد استقصى النحاة بعد سيبويه مفهوم الإعلام الذي كان يطلق عليه صاحبنا علم أي علم المخاطب. وحصروا الإعلامية أو الفائدة في اصطلاحهم والعلم في اصطلاح سيبويه في المعلومات المستقاة من الإسناد.ويرجح الحاج صالح أن يكون الأخفش هو أول من وضع مصطلح الفائدة بمعنى العلم المستفاد من الخطاب[1]

فالفائدة عندهم فقط ما يستقى من علاقة الإسناد لهذا غلب على تسميتها بالخبر[2].

وما يثبت هذا القول ما قاله السيرافي شارح الكاتب متحدثا عن الفائدة:وحد الكلام أن تخبر عمن يعرف بما لا يعرف لأن الفائدة هي في أحد الاسمين والآخر معروف لا فائدة فيه والذي فيه الفائدة هو الخبر[3].

[1]: ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص291

[2]: ينظر: الخطاب والتخاطب، ص154

[3]: شرح السيرافي 2/ 173، والخطاب والتخاطب ص145

وليس السيرافي وحده من سار على هذا النهج بل كذلك قبله نفر من اللغويين أمثال المبرد الذي يقول: فالابتداء نحو قولك" زيد " فإذا ذكرته فإنما تذكره للسامع ليتوقع ما تخبر به عنه. فإذا قلت منطلق أو ما أشبهه صح معنى الكلام وكانت الفائدة للسامع...[1].

إذن المستخلص من هذه النصوص أن النحاة بعد سيبويه قد حصروا معنى الإعلامية في الخبر المستقى من الإسناد. وهذا حصر للاستعمال في أنظمة الوضع وهو خلط نجمت عنه العديد من المغالطات المعرفية التي سنبينها لاحقا.

والمتأمل في الكتاب يجد أن للإعلامية عند سيبويه نوعين أو سببين[2].

-فالنوع الأول: هو الفائدة الناتجة عن الخبر وهذا مصداقا لما جاء في قوله: إذا قلت عبد الله منطلق تبتدئ بالأعرف ثم تذكر الخبر. إذا هذا النوع الأول الناجم عن خبر المبتدأ وذلك قولك: كان زيد حليم

في حين ينجم النوع الثاني:عن تعريف المخاطِب المخاطَب بما يعرفه وهذا مستنبط من قوله: وذلك قولك كان زيد حليما فإذا قلت: كان زيد فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك فإنما ينتظر الخبر فإذا قلت حليما فقد أعلمته مثل ما علمت.

والراجح أن محل الفائدة في خلد النحويين هو المبني على المبتدأ سواء أكان فعلا أو اسما. يعني حصروا الفائدة في الإسناد.

---

[1]: المقتضب 126/4

[2]: ينظر: الخطاب والتخاطب ص145

والذي كان أن كل النحاة بعد سيبويه قد اعتمدوا هذه النظرة المجحفة للإعلامية بمصطلحها الحديث كما قال بذلك الحاج صالح[1].

إن مفهوم الإعلامية كما سبق وأن أشرنا قد حصر وصار مرتبطا فقط بعلاقة الإسناد. وهذا ناتج عن الخلط بين المعنى المتعلق بالتركيب والفائدة المجنية منه.

ويعد الرماني شارح كتاب سيبويه من النحاة الذين تعمقوا في الموضوع وقدموا إضافة في قضية الإعلامية وإن كان الرجل يحصر الفائدة أو الإعلام في الاسم فنجده يقول: ولا تصح فائدة في الكلام إلا باسم؛لأن الاسم هو الذي يدل على المعنى الذي يعلمه المخاطب، فأما الفعل فدلالته دلالة الإفادة، ودلالة الحرف دلالة الجزء من الكلمة[2].

إذن يرى الرماني أن الفائدة في الإسناد إنما تجنى من الاسم سواء أكان خبرا أو فاعلا في حين يرى أن الفعل له دلالة الإفادة. كما يشير إلى أن هناك ثلاث عناصر أخرى تندرج ضمن عناصر الزيادة والتي من شأنها أن تضيف الفائدة وهي كما ذكرها كذلك الحاج صالح: الصفة والحال والمفعول الثاني من حسب وأخواتها. وقد أطلق اسم معتمد الفائدة أو محط الفائدة عليها إضافة إلى خبر المبتدأ. كما أطلق مصطلح معتمد البيان على المبتدأ وغيره من العناصر التركيبية[3].

[1]: ينظر: نفسه.

[2]: شرح كتاب سيبويه، لعلي بن عيسى الرماني 139/1.

[3]: ينظر الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال ص146. ينظر كذلك شرح الرماني 139/1

يمكن أن نستجلي من خلال نظرة الرماني للإعلام أنه قد انفرد بنظرة أعمق نوعا ما عن نظرة النحاة المتأخرين ونظرته هذه قريبة إلى حد كبير من نظرة البلاغيين.

ولعل ما يسجل لصالح الرماني هاهنا أنه أخذ بعين الاعتبار ما تضيفه الزوائد من معلومات إضافية وإن كان قد حصر الإفادة في ثلاثة عناصر وفي رأينا أن أي زيادة على التركيب الإسنادي من شأنها أن تضيف معلومات كما أن أي عدول في التركيب ينجم عنه إعلام كذلك.

والمؤكد بعد هذه الجولة في رحاب الإعلامية عند سيبويه ومن تلاه من النحاة أن الإعلام عند سيبويه قد اتسع مفهومه ليشمل كل ما هو إعلام وإفادة وجني لمعلومات جديدة دون حصر للإعلام في الإسناد. والمقياس الحقيقي للإعلامية عند سيبويه إنما هو موقف المخاطب من الخطاب أي مدى معرفته أو شكه أو جهله لتلك المعلومات.

إذن هذه نظرة منطلقة من المتكلم لتجد لها نقطة نهاية عند المخاطب الذي بمقدوره أن يحدد مدى إعلامية الخطاب.

ثم بعد تناقل العلماء لما ورد في الكتاب تم تضييق مفهوم الإعلامية حتى صارت متعلقة فقد بخبر المبتدأ وفعل الفاعل. ذلك أنهم أعجبوا بتمييزه بين التعريف والإعلام فأطلقوا على الأخير الفائدة وجعلوه دالا على العلم المستقى من خبر المبتدأ وفعل الفاعل وللأسف هذا ناجم عن إساءة فهمهم لسيبويه[1].

[1]: ينظر الحاج صالح الخطاب والتخاطب ص150

وقد نتج عنه كذلك تقصير في هذه الفكرة التي كان من شأنها أن تستمر لتجنى ثمارها في التحليل العربي وتبعد عنه جزءا من تلك الاتهامات التي تقول بصوريته وتأثره بالنحو الأرسطي.

بل حتى سيبويه نفسه في الكتاب تربع على موضع المخاطِب ووضع القارئ أو السامع موضع المخاطَب، وكان يهدف إلى تبليغه العلم الذي يفيده من أجل فهم اللسان العربي، نجده يقول في باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره استغناء عنه: وسأمثله لك مظهرا لتعلم ما أرادو، إن شاء الله تعالى...[1].

درجات الإعلامية عند سيبويه:

كنا قد ذكرنا في الجانب النظري من الأطروحة أن للإعلامية ثلاث درجات:

إعلامية من الدرجة الأولى:

يكون المتلقي متوقعا لما يحتويه الخطاب من معلومات وهنا تتحقق كفاءة إعلامية منخفضة.

إعلامية من الدرجة الثانية:

يكون المتلقي فيها في منطقة متوسطة بين التوقع أو المعرفة/ من عدمهما.

إعلامية من الدرجة الثالثة:

[1]: الكتاب، 273/1.

وهي أعلى مراتب الإعلامية أين يكون المتلقي جاهلا تماما لما يحتويه الخطاب من معلومات.

ولو أمعنا النظر في الكتاب لوجدنا بوضوح أن هذه الدرجات الثلاث كان سيبويه على علم تام بها يقول الحاج الصالح مصداقا لما نقول: إن الفائدة عند النحاة العرب قابلة للتكميم عند النحاة العرب فهي إيجابية أو مساوية للصفر وبينهما درجات المخبر ليس له علم تماما عن الحادث وقد يكون فيه شك فإعلامه عن ذلك إيجابي أو له علم بذلك فإعلام هـ لغو كما قال النحاة[1].

إذن يستنبط الحاج صالح من التراث العربي ثلاث درجات للإعلامية وقد صنفها في خانتين :

1-الإعلام إيجابي: إذا كان المخبر جاهلا أو متوقعا للحادث أو للمعلومات التي يحملها الخطاب.

2-اللغو: لما يكون المخبر عالما بما يتضمنه الحديث من معلومات.

وفي رأينا المتواضع هذا هو التصنيف العلمي والدقيق لأقسام الإعلامية. فجهل وشك المخبر يشكلان وجها من وجوه الاستفادة ومعرفة أمور جديدة عنه. وبالتالي فالإعلام هنا إيجابي.

[1]: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، ص72.

في حين معرفته لما يتضمنه الخطاب سيكون قد دخل في علمه وصار علم المخاطب السابق.

ولنا أن نقسم الإعلامية في النحو العربي على ثلاثة أقسام:

-المخاطب عالم بما يتضمنه الخطاب من معلومات وهو اللغو.

-المخاطب في شك مما يتضمنه الخطاب من معلومات.

-المخاطب جاهل تماما بما يتضمنه الخطاب.

وعليه فالكفاءة الإعلامية منخفضة أو إعلامية من الدرجة الأولى تتجلى في التراث العربي في ما اصطلح عليه باللغو.

ولما يكون المتلقي واقفا موقف الشك إزاء ما يتضمنه الخطاب من معلومات تتجلى الكفاءة الإعلامية المتوسطة أو الثانية.

ولما يجهل المتلقي تماما ما يحتويه الخطاب من معلومات تتجلى الإعلامية من الدرجة الثالثة أو تكون الكفاءة الإعلامية مرتفعة.

وفيما يأتي سنسوق جملة من النصوص التي يمكن إدراجها ضمن هذه الأقسام والمستوحاة طبعا من الكتاب.

إعلامية من الدرجة الأولى:

وهنا يكون المخاطب على علم بالمعلومات التي يحتويها الخطاب، وقد علل سيبويه العديد من الظواهر التي تمس التركيب؛ كالحذف والتقديم والإضمار كون المخاطب يعلم المحذوف أو سبب التقديم وما إلى ذلك.

وبغض النظر عن تفسيره لتلك الظواهر –في ضوء علم المخاطب– فقد يتساوى علم المخاطب مع علم المتكلم، وهنا تكون الإعلامية منخفضة، أو صفر كما قال الحاج صالح.

قد جعل سيبويه كون معرفة المخاطب متساوية مع معرفة المتكلم علة لوجوب الرفع وجوب الرفع في قولهم: "أما البصرة فلا بصرة لك وأما الحارث فلا حارث لك. وأما أبوك فلا أب لك فهذا لا يكون فيه أبدا إلا الرفع؛ لأنه اسم معروف ومعلوم قد عرف المخاطب منه مثل ما عرفت، كأنك قلت أما الحارث فلا حارث لك بعده أو فلا حارث لك سواه، وكأنه قال أما البصرة فليست لك، وأما الحارث فليس لك لأنك ذلك المعنى تريد"[1].

إذن لما عرف المتكلم ما كان معروفا لدى المخاطب، كان الرفع واجبا، أي أنه رفع لأنه اسم كان، والمتلقي عالما به فابتدأ به ورفعه ليخبر عنه.

كما أن سيبويه بطريقة ما كان يجيز الإضمار والحذف نتيجة لمعرفة المخاطب وعلمه بذاك المحذوف، فعدم ذكره له لا يعرقل عملية التواصل لأن الغاية الأولى من التواصل إنما هي الإفادة، وإن كانت مباغتة المتلقي ومفاجأته بمعلومات كان جاهلا لها من الأمور التي من شأنها أن تجعل المتلقي يقبل على الخطاب ويهتم به.

[1]: الكتاب 389/1.

يقول في حديثه عن الإضمار: "إنما تضمر حين ما ترى أن المحدث قد عرف من تضمر"[1].

فإعادة ذكره قد تكون حشوا أو لغوا لذا لا فائدة من ذكره.

وقد يحذف المتكلم الفعل من الكلام لمعرفته بأن الفعل معلوم ومعروف لدى المتلقي وإعادة تكراره ستكون مجرد لغو فيقول في المثل: "مواعيد عرقوب أخاه بيثرب" : كأنه قال واعدتني مواعيد عرقوب أخاه ولكنه ترك واعدتني استغناء بما هو فيه من ذكر الخلف، واكتفاء بعلم من يعني بما كان بينهما قبل ذلك"[2].

فالحذف في نهاية المطاف يعد بديلا لفكرة التكرار، فالتكرار الذي لا فائدة منه يعتبر لغوا.

إعلامية من الدرجة الثانية:

في هذه الحالة يكون المتلقي متوسطا بين العلم والجهل، أو له نفس معرفة المتكلم، أو بعبارة أخرى يدري بجزء مما يتضمنه الخطاب من إعلام ولا يدري بجزء آخر وليس شرطا أن يكون ذلك مناصفة.

ومن النصوص التي توافق هذا النوع من الإعلامية ما قاله سيبويه: "قد علمت أعبد الله ثم أم زيد وقد عرفت أبو من زيد ، وقد عرفت أيهم أبوه، أما ترى أي برق ههنا...

[1]: الكتاب، 11/2.

[2]: الكتاب 272/1-273

ومن ذلك: قد علمت لعبد الله خير منك. فهذه اللام تمنع العمل كما تمنع ألف الاستفهام لأنها إنما هي لام الابتداء، وإنما أدخلت عليه علمت لتؤكد وتجعله يقينا قد علمته، ولا تحيل على علم غيرك، كما أنك إذا قلت: قد علمت أزيد ثم أم عمرو أردت أن تخبر أنك علمت أيهما ثم وأردت أن تسوي علم المخاطب فيهما كما استوى علمك في المسألة حين قلت: أزيد ثم أم عمرو... "[1].

إذن ههنا كأن المتكلم أراد أن يسوي ما علمه بما يريد إعلامه للمخاطب، وفي هذه الحالة تكون الإعلامية من الدرجة الثانية أين تتساوى معرفته بمعرفة المخاطب.

إعلامية من الدرجة الثالثة:

في هذه الحالة يكون المتلقي خالي الذهن، لا يعي شيئا مما يحمله الخطاب من معلومات، وقد يكون متوقعا، أو يساوره الشك فيما يتضمنه الخطاب من معلومات؛ لكن ظنه يخيب كون المعلومات المتضمنة في الخطاب جديدة عليه.

فإذا توافقت معلوماته بما يحتويه الخطاب عدنا درجة للوراء تحديدا عند الإعلامية من الدرجة الثانية.

يقول سيبويه مجيزا إضمار خبر إن إذا دل عليه الظرف أو الجار والمجرور: "وتقول إن ألفا في دراهمك بيض، وإن في دراهمك ألفا بيض، فهذا يجري مجرى النكرة في كان

[1]: الكتاب 1/ 236_237.

وليس لأن المخاطب يحتاج إلى أن تعلمه ههنا كما يحتاج إلى أن تعلمه في قولك: ما كان أحد فيها خير منك"[1].

ويذهب سيبويه لأبعد من هذا، حيث يحدد نية المتكلم بدقة متناهية ويذكر مختلف الأوجه المتناسبة معها معرجا دوما على موقف المتلقي منها، عارضا لكل الاحتمالات التي تنجم عن كل موقف هذا الأخير، يقول سيبويه في قولهم: هذا عبد الله منطلقا وهؤلاء قومك منطلقين وذاك عبد الله ذاهبا وهذا عبد الله معروفا: "فهذا اسم مبتدأ يبنى عليه ما بعده وهو عبد الله، ولم يكن ليكون هذا كلاما حتى يبنى عليه أو يبنى على ما قبله...تريد أن تنبهه له منطلقا، لا تريد أن تعرفه عبد الله، لأنك ظننت أنه يجهله، فكأنك قلت انظر إليه منطلقا...وذاك بمنزله هذا إلا أنك إذا قلت ذاك فأنت تنبهه لشيء متراخ"[2].

إن المتأمل لكتاب سيبويه ليعجب من الطريقة التي عالج بعا هذا الأخير مضامين الخطاب بين المتلقي والمخاطب، فقد تجاوز بكثير سيبويه فكرة درجات الإعلامية وراح يقلب موقف المتلقي من الخطاب(جهل. شك. علم) ويعلل في ظلاله ويقلب التراكيب، ويعلل ويفسر ما يشوب الخطاب من عدول وانزياح.

وقد يتوقع سيبويه موقف المخاطب فيعلل التركيب ويفسره وفق ذلك الاعتقاد، فيقول سيبويه مثلا في قولهم: "مررت برجل راكع أو ساجد فإنما هي بمنزلة إما وإما، إلا أن إما يجاء بها ليعلم أنه يريد أحد الأمرين، وإذا قال أو ساجد فقد يجوز أن يقتصر عليه.

[1]: نفسه، 143/2. 54/1.

[2]: الكتاب، 78/2.

ومنه:" مررت برجل راكع لا ساجد ، لإخراج الشك أو لتأكيد العلم فيهما"[1]

فسيبويه هنا يفسر ظاهرة العطف باستخدام موقف المتلقي؛ لأن العطف يكون إما للتأكيد على شيء يعلمه المتلقي أو إزالة شكه حوله.

ومثل هذا ما قاله أيضا: "مررت برجل لا قاعد ولا قائم ، جر لأنه نعت ، كأنك قلت مررت برجل قائم، وكأنك تحدث من في قلبه أن ذاك الرجل قائم أو قاعد، فقلت: لا قائم ولا قاعد لتخرج ذلك من قلبه"[2].

إذن بقولك هذا لا قائم ولا قاعد، أزلت شك المخاطب وأفدته بمعلومات كان يجهلها.

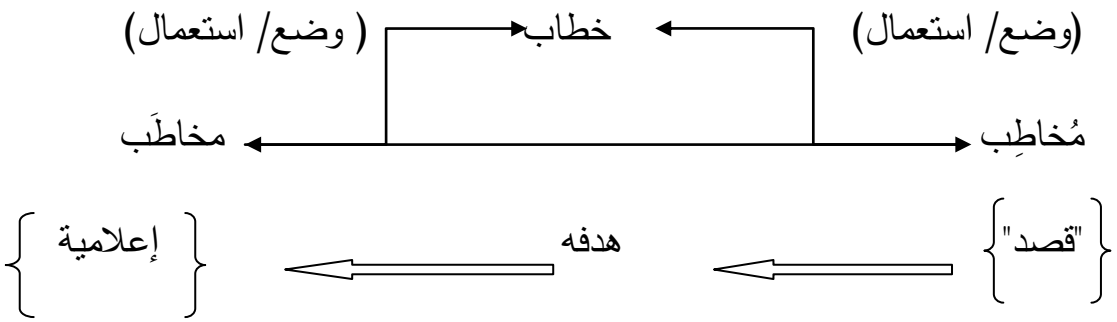
إن هذه النصوص التي أوردناها بموجبها يتبين لنا أن سيبويه قد تعامل مع الإعلامية تعاملا فريدا من نوعه، يبرز بحق مدى عمق نظرته وتكاملية النحو العربي.

[1]:نفسه، 429/1، 430.

[2]: الكتاب، 429/1.

عناصر الإعلامية عند سيبويه:

تتمثل عناصر الإعلامية في المخاطِب والمخاطَب باعتبارهما مركزي الخطاب، بصرف النظر عن العناصر الأخرى، فكما قال سيبويه:" المشافهة لا تكون إلا من اثنين"[1] وهي ذاتها عناصر العملية التواصلية أو عناصر الخطاب التي يحددها المخطط الآتي:



والمتأمل في ثنايا الكتاب؛ يستوحي مدى مراعاة هذا الأخير واعتنائه بعناصر الإعلامية فالرجل وإن كان لا يقر بصريح العبارة بضرورة الاعتبار لإعلامية الخطاب، فإنه يسلك هو ذاته في كتابه كل السبل من أجل إيصال المعلومة، بصرف النظر عن مدى اعتماده على الإعلام من وجهتين: الأولى ضرورة أن يحتوي الخطاب على معلومات.

والثانية اعتماد تلك المعلومات في تفسير ما يعتري الكلام ويعرض فيه.

لقد بنى سيبويه أصول النحو العربي على أساس متين، يقوم على تصور مشهد الخطاب والإحاطة به من كل الجوانب، فنجده يعطي ملمحا كاملا عن كل من المتكلم

[1]: نفسه، 1/ 392

والسامع وحتى مضمون الخطاب. معتمدا على جل القرائن التي تساعد في بلوغ المرام من الخطاب وهو الإعلام.

وفيما يأتي سندلي بوضوح عن مدى عناية هذا الأخير بعناصر الخطاب.

1-المخاطِب: يعتبر المخاطب نقطة انطلاق الخطاب ومبتدئه، ولهذا المخاطب معلومات هو بصدد تبليغها للمستمع، ويطمح هذا الأخير إلى لفت المخاطَب وجعله مقبلا على ما سيقول. وأكثر من هذا متفاعلا معه ممتثلا لما فيه من مضامين.

والملفت للنظر أن سيبويه قد عاين هذه الحالات ووضحها توضيحا دقيقا، ينم عن إلمام الفكر النحوي عموما بمقتضيات الخطاب، وسيبويه يحمل هذا الأخير مسؤولية كبيرة تملي عليه جملة من الضوابط التي تجعله متكلما يستخدم اللغة استخداما مضبوطا ينجم عنه تبليغ الرسالة بجلاء ووضوح مراعيا في ذلك الظروف المحيطة والمستوى الثقافي للمخاطب وكفايته التي تسمح له بتحصيل العلم مما ألقي عليه، فيختار عبارته بعناية وفق ما يقتضيه الحال.

ولا شك أن المخاطِب يطمح إلى مباغتة المخاطَب بمعلومات جديدة عنه، وهنا تتجلى الإعلامية في أعلى درجاتها، وعلى المتكلم أن يكون عالما للغته نبيها فطنا يستعمل اللفظ المناسب في الوقت المناسب.

يقول ابن خلدون: "اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام"[1].

يقرر ابن خلدون أن اللغة وضعت لترجمة مقاصد المتكلمين التي تتمحور أساسا حول الإفادة أي الإعلام أو تقديم علم للمخاطب.

وها هو سيبويه نفسه يصرح في مستهل حديثه عن أساليب كسب ولفت انتباه المخاطب، فيقول متحدثا عن وجوب لحاق الكاف بروبد التي تستعمل للواحد والجمع وللذكر والأنثى: "فلحاق الكاف كقولك : يا فلان للرجل حتى يقبل عليك، وتركها كقولك للرجل أنت تفعل، إذا كان مقبلا عليك بوجهه منصتا لك، فتركت يا فلان حين قلت: أنت تفعل استغناء بإقباله عليك"...[2]

إذن حال المخاطب من الإقبال أو الإعراض هو الذي يملي على المخاطب العبارة المستخدمة. فكأن سيبويه هنا يرسم أمام ناظرينا مشهد الخطاب ويعطي الخطاب المبلغ للفائدة أو العلم. فإذا كان المخاطب مقبلا عليك خاطبته بروبد أو أمرته بما يفعل مباشرة أما إذا كان معرضا لا يصح أن تقول أنت تفعل فقد يكون أكثر من شخص في ساحة الخطاب إنما يجدر بك أولا لفت انتباهه بندائه: يا فلان فإذا أقبل قلت أنت افعل وذات الشيء يقع مع رويد.

[1]: المقدمة ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذي الشأن الأكبر، ابن خلدون، نسخة محققة دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع. ط1.بيروت لبنان 2003، ص565.

[2]: الكتاب 244/1.

2-**المخاطَب:** وهو العنصر الثاني والأهم في عملية الإعلام؛ لأنّ توفر هذا الأخير من عدمه متوقف عليه، فهو منتهى الخطاب وغايته، ويتعين عليه هو الآخر أن يكون عارفا بلغته، مقبلا على الخطاب منصتا حتى يجني الفائدة من الخطاب.

وقد بنى سيبويه العديد إن لم يكن كل القواعد النحوية على أساسهح إذ جهله أو شكه أو علمه نباهته من عدمها، إقباله أو إعراضه كلها أسس يبني عليها المخاطِب خطابه.

والمتأمل لكتاب سيبويه يجد أنه يتمثل بحس علمي عميق موقف المخاطَب من الخطاب، من جهل أو شك أو علم، وعلى أساسه يعلل ويفسر ويبين مقاصد المخاطِب الذي يعتبر واحدا من هذه الأمور، فالمخاطِب يعلم ما يكنه السامع نحو ما هو بصدد إعلامه به وعلى أساسه يبني خطابه.

ويمكن أن نجد هذه الحالات في الكتاب: علم المخاطَب؛ فعلمه وعلم المخاطِب بأن المخاطَب عالم يجعله يضمر ويحذف، أي أن الحذف والإضمار مردّهما أن المتكلم يدرك أن المخاطب على علم بالمحذوف أو المضمر ولولا ذلك لما حذف.

وشك المخاطَب يجعله يؤكد؛ أي شعور المتكلم بأن المخاطب يشك فيما سيخبره به يجعله يؤكد له ذلك. وجهل المخاطب يجعله يعلم، أي معرفة المتكلم بأن المخاطب يجهل لما يحمله الخطاب من معلومات يجعله يقصد الإعلام.

وقد عاين سيبويه كل الحالات التي يكون فيها المخاطب أثناء عملية التخاطب وفسر في ظلها العديد من المسائل، وعلى المخاطب أن يكون متأهبا للحطاب عارفا بنظام لغته مما يجعله قادرا على تحصيل الفائدة.

إلا أنه درس وبعناية كبيرة خصوصية الخطاب في ضوء قدرة المخاطِب ونباهة المخاطَب، فهو دائما ما يصرح بحضور المخاطب عملية التخاطب، فإذا كان هذا المخاطب عالما بما يتضمنه الخطاب تعداه المخاطب إلى غرض آخر في نفسه يريد إبلاغه للمخاطب يفهمه ذاك الأخير من ملابسات الحديث وهذا ما يحدث تماما في تلك الجمل الشرطية التي لا جواب لها. يقول سيبويه: "وسألت الخليل عن قوله جل ذكره: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[1]، وعن قوله جل وعلا: ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾[2]،وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾[3]،فقال: إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم لعلم المخبر، لأي شيء وضع هذا الكلام.

وزعم أنه قد وجد في أشعار العرب ربّ لا جواب لها،من ذلك قول الشماخ:

ودوّيـــّةٍ قفــرٍ تمشّـــى نَعَامُهَـــــــا كمَشْي النَّصَارَى في خفافِ الأَرَنْدَجِ

وهذه القصيدة التي فيها هذا البيت لم يجئ فيها جواب لرب؛ لعلم المخاطب أنه يريد قطعتها..."[4].

---

[1]: سورة الزمر، الآية: 73

[2]: سورة البقرة، الآية: 165

[3]: سورة الأنعام، الآية: 27

[4]: الكتاب 103.104/3.

فقد علل الخليل هاهنا عدم وجود جواب الآيات وما ورد في القصيدة استغناء المخاطِب بعلم المخاطب.

وإن كان المخاطب في هذه الحالة نبيها مدركا لمقاصد الخطاب، بالاعتماد على معرفته وعلمه الذي اكتسبه من عهد قريب أو بعيد؛ فإنه قد يكون في بعض الحالات غافلا يحتاج تنبيها، وهذا ما قال به سيبويه: "فأما المبني على الأسماء المبهمة: فقولك: هذا عبد الله منطلقا، وهؤلاء قومك منطلقين، وذاك عبد الله ذاهبا، وهذا عبد الله معروفا، فهذا اسم مبتدأ يبنى عليه ما بعده وهو عبد الله. ولم يكن ليكون هذا كلاما حتى يبنى عليه أو يبنى على ما قبله، فالمبتدأ مسند والمبني عليه مسند إليه، فقد عمل هذا فيما بعده كما يعمل الجار والفعل فيما بعده. والمعنى أنك تريد أن تنبهه له منطلقا، لا تريد أن تعرفه عبد الله؛ لأنك ظننت أنه يجهله، فكأنك قلت: انظر إليه منطلقا"[1]...

إذا غرض الكلام هاهنا أو نصب منطلقا إنما هو التبيين والتنبيه على حالة المبني عليه لا التعريف به.

وما هذا إلا غيض من فيض فالكتاب يشمل كل الحالات التي يكون عليها المخاطب وما ينجم عن كل حالة من تعليل للخطاب.

العلاقة بين المخاطِب(المتكلم) والمخاطَب(المتلقي):

[1]: الكتاب 78/2.

هناك علاقة متينة وقوية تربط بين المتكلم والمخاطب أفصح عنها سيبويه من خلال تعليله وتفسيره لقضايا العربية أو في بنائه للقاعدة النحوية علاقة مبنية أساسا على الثقة المتبادلة بين المخاطِب والمخاطَب فمتى وثق المخاطب في معرفة وعلم المخاطب حذف وأضمر وقدم ونكر، ومتى رأى إقبالا من المتلقي أعطاه معلومات تفيده، كان يعلم أنه يجهلها أو يشك فيها ومتى رأى منه إدبارا استعطفه وسعى إلى لفت انتباهه.

فثقة المخاطب في السامع جعلته يستغني عن ذكر بريئين مكان بريئا في قول الشاعر ابن أحمر واسمه عمرو بن العمرد الباهلي :

رَمَانِي بِأَمْرٍ كنتُ منْه ووالِدِي بَرِيئًا ومن أجْلِ الطوِيَّ رَمانِي

يقول سيبويه: "فوضع في موضع الخبر لفظ الواحد لأنه قد علم أن المخاطب سيستدل به على أن الآخرين في هذه الصفة"[1].

فقد فسر سيبويه مجيء خبر كان مفردا بريئا بدل بريئين المثناة، التي تدل على الشاعر ووالده كون المتكلم يثق في المخاطب، ومدى نباهته وبالتالي قدرته على الاستدلال بأن تلك الصفة تنطبق كذلك على الوالد.

وقد يرى المخاطِب أن المخاطَب معرض عنه لا يهتم لما يقول، فيحاول التودد إليه واستعطافه، كما قال في هذا الصدد ابن جني: "أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر، فأراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم تصويره له في نفسه، استعطفه ليقبل عليه، فيقول: يا فلان أين

[1]: الكتاب 1/64-76.

أنت؟ أرني وجهك، أقبل علي أحدثك، أما أنت حاضر يا هناه، فإذا أقبل عليه، وأصغى إليه، اندفع يحدثه، أو يأمره، أو ينهاه، أو نحو ذلك"...[1].

إذن كأن ابن جني هنا يصور لنا مشهد مخاطب في نفسه شيء يريد إيصاله لمتلق ما غير أن هذا الأخير غير مبال، مما يدفع بذاك الأخير إلى محاولة استعطافه باستعمال عبارات مناسبة فإذا ظفر بذلك شرع في تبليغ ما يختلج نفسه.

أما عن المخاطَب فسيبويه يصوره لنا تصويرا دقيقا ويبين لنا كيف يسعى هذا الأخير إلى فك شفرة الرسالة، أو الخطاب الموجه إليه معتمدا في ذلك على حواسه.

وقد ذكر سيبويه حاستي السمع والرؤية بكثرة في الكتاب، لما لهما من أثر بالغ في تحصيل الفائدة فالسمع موجه لاستيعاب مضامين الخطاب في حين الرؤية يحتاجها المتلقي لاستثمارها في الفهم متى أشكل عليه الأمر، وإن كان سيبويه يتحدث عن احتواء المتكلم لا المخاطب لكنه يعي أن المخاطب كان حاضرا مع المتكلم مما جعل ذاك الأخير يتكلم وفق حاجته. يقول سيبويه: "وذلك قولك إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاج، قاصدا في هيأة الحاج، فقلت: مكة ورب الكعبة، حيث زكنت أنه يريد مكة، كأنك قلت: يريد مكة والله...أو رأيت رجلا يسدد سهما قبل القرطاس، فقلت: القرطاس والله، أي يصيب القرطاس"...[2].

[1]: ابن جني، الخصائص، 1/ 247.

[2]: الكتاب 257/1.

وقال كذلك:"...وذلك أنك رأيت صورة شخص فصارت آية لك على معرفة الشخص، فقلت: عبد الله وربي، كأنك قلت: ذاك عبد الله أو هذا عبد الله"[1].

فالمخاطِب يبني كلامه فعلا على أساس ما رآه، لكن المخاطب إلى جانبه ولا شك أنه يرى مثل ما رأى الآخر ورؤيته هي التي تجعله يفهم قول المخاطِب: عبد الله وربي. فكأن المخاطب والمخاطب في مكان ما فشعرا بقدوم شخص ما، فقال المخاطب: عبد الله وربي. أي أنه تبينه قبله فأعلمه مثل ما علم.

كما يعتمد المخاطب على حاسة السمع التي تردد ذكرها كثيرا في الكتاب كيف لا والخطاب أساسا مبني على المشافهة واعتماد السمع، ونحن نعلم ما لهذه الأخيرة من دور في جمع اللغة وبناء صرح الدرس العربي، يقول سيبويه: " وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس، فقلت: القرطاس والله، أي أصاب القرطاس"[2].

كما قال: " أو سمعت صوتا، فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته، فقلت: زيد وربي"[3]

لو كان المتلقي شخصا بعيدا لم يسمع ما سمعه المخاطب، لما فهم شيئا من الخطاب، لكن لما كان موجودا في وقت الخطاب حصلت عنده الفائدة

سواء أكان عارفا من هو زيد، أو شاكا في صاحب الصوت.

---

[1]: الكتاب، 130/1.

[2]: نفسه، 257/1.

[3]: نفسه، 130/2.

كما استخدم سيبويه حاسة الشم والذوق واللمس لما قال: "أو مسست جسدا، أو شممت ريحا، فقلت: زيد أو المسك، أو ذقت طعاما فقلت: العسل"[1].

إذن كأن المخاطب في حالة ترقب لما سيسفر عنه اختبارك باستعمال حاسة اللمس والذوق والشم بصرف النظر عن توقعه من عدمه فإن اختبار المخاطب لحواسه بحضور من المخاطب يجعله يوظف هذه الملابسات في استيعاب الخطاب وتحقيق الكفاءة الإعلامية.

من خلال هذا الاستظلال في رحاب العلاقة بين المخاطب والمخاطب خلصنا إلى أن سيبويه قد عبر في تحليله واستنباطه للقواعد النحوية أو بصريح العبارة في بنائه للبنود. العريضة للنحو العربي عن علاقة قوية متينة تجمع بين المتلقي والمتكلم. حتى أنه أثناء إقراره أصول الدرس العربي عبر عن ثقته العمياء في المتلقي باعتباره هو مخاطبا وسلك بنا كل السبل وحاول في كل الكتاب أن يصل إلى الغاية التي من أجلها خلق الإنسان وهي الإعلام والبيان وقد نجح في ذلك خاصة بالنسبة للمتلقي في زمانه.

الخطاب:

يعتبر الخطاب عند سيبويه مناط التحليل فهو الذي يستمد منه العلم والفائدة، كما أنه الوسيلة التي يترجم من خلالها المخاطب مشاعره وأحاسيسه.

[1]: الكتاب 130/2.

والجدير بالذكر ههنا أن سيبويه لا يستخدم مصطلح الخطابن بل يستخدم الكلام وللكلام في النحو العربي ثلاثة معاني كما قال بذلك الحاج صالح[1].

1_الكلام كطريقة في كلام جماعة ما. أي مجموع ما يتكلمون به وهو كمقابل للسان هنا كقول سيبويه هذا من كلام العرب...

2_ الكلام بمعنى الخطاب أي الحدث الكلامي الواقع بين المتخاطبين.

3_ الكلام كجملة مفيدة. أي الكلام المستقل.

وقد انبنى الخطاب عند سيبويه على أساس العلم أو الفائدة، فبغض النظر عن سيبويه نجد النحاة الأوائل على وجه الخصوص بعده يعرفون الكلام بأنه اللفظ المفيد بالوضع.

وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على أن النحاة العرب قد عرفوا للخطاب جانبين وهما الجانب الدلالي والجانب الخطابي، فما يستمد من الدلالة هو المعنى وما يستمد من الخطاب هو الفائدة أو العلم.

وإن كان سيبويه لا يستخدم مصطلح الجملة باعتبارها وحدة خطابية دالة فإنه استخدم ما يدل عليها وهو الكلام ويعبر عنها بلفظ: "ما يستغني عنه" ، فيقول: "ما يستغني عنه السكوت وما لا يستغني، ألا ترى أن كان تعمل عمل ضرب، ولو قلت: كان عبد الله، لم يكن كلاما ولو قلت: ضُرب عبد الله كان كلاما"[2].

[1]: ينظر: الخطاب والتخاطب ص 12، 13.

[2]: الكتاب 90/2

كما يقول: " هو الذي يستغني به الكلام وما لايستغني قبحهما واحد[1]"

ويقول أيضا: الذي به يستغي الكلام[2]، لا يستغني السكوت على مفعوله[3]، وينصب ما يستغني فيه السكوت[4]، ...مجرى ما لا يستغني عليه السكوت[5].

والجملة وحدة خطابية يحسن الوقف عليها، وهي أقل ما يمكن أن ينحل الخطاب إليه، كما أنها تؤدي وظيفة تتمثل في إعلام المخاطب بشيء يظن أنه يجهله، إلا أن النحاة ممن جاء بعد سيبويه قد خلطوا بين هذه الوظيفة وبين الدلالة أو المعنى فحصروا وظيفة الجملة في دلالتها على المعنى.

وقليل هم النحاة الذين انتبهوا للضرر الكبير الناجم عن هذا الخلط بين هذين الجانبين بعد ابن جني[6].

والجملة باعتبارها أقل ما يكون عليه الخطاب تحلل إلى عناصر قريبة تتمثل أساسا في المسند والمسند إليه، والتحليل هنا يكون خطابيا لا صوريا، أي لكل عنصر وظيفة دلالية وإفادية[7].

---

[1]: نفسه، 231/2.

[2]: نفسه، 149/1.

[3]: نفسه، 232/1.

[4]: نفسه، 90/2.

[5]: نفسه، 91/2.

[6]: ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج2ص291_292.

[7]: ينظر: نفسه، 2/ 293.

هناك فرق كبير بين الكلام أو الجملة التامة كخطاب والكلام أو الجملة التامة كصيغة أو تركيب، والدليل على ذلك كما قال به الحاج صالح أن المفعول به من حيث التركيب يدخل في الجملة النواة، لأنه في

موضع المعمول2 أي غير زائد لكن من حيث الكلام كخطاب يسمى فضلة[1].

والكلام عند سيبويه والنحاة الأوائل خصوصا أشمل من الخطاب؛ ذلك أنه قد يدل على الجملة المفيد وقد يدل على طريقة معينة في التعبير خاصة بقوم ما، إلا أن الخطاب لا يتخيل إلا في مخاطبة أو تخاطب.وقد ينفرد الخطاب بميزة جوهرية، لا توجد في الكلام وهي قيامه على الجدال والمحاجة والإقناع[2].

ويعلل الحاج صالح تحبيذ النحاة الأوائل لمصطلح الكلام بدل مصطلح الخطاب الذي استخدمه الأصوليون والمتكلمون(بمعنى المصطلح ليسا جديدا عن العربية) كون الكلام أكثر عموما من الخطاب تراعى فيه البنية والصياغة والمخاطبة كذلك. وعليه فاختيار النحاة الأوائل لمصطلح الكلام هو اختيار موفق[3].

فالخطاب عند الأصوليين هو" اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[4].

---

[1]: نفسه، 299/2.

[2]: ينظر:الخطاب والتخاطب، ص16.

[3]: ينظر: السابق ص16، 17.

[4]: الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط3، 1402هـ، 95/1.

وقد قسم سيبويه الكلام باعتبار المخاطِب والمخاطَب ووضع الخطاب، حيث يقسمه من حيث استقامته وإحالته إلى خمسة أقسام، حيث يقول: "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غدا.

وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس.

وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه.

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، مثل قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك، وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب، فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمسٍ"[1].

فمن خلال تقسيم سيبويه للكلام على النحو الآتي، نستنتج أن للكلام في خلده جانبين اثنين هما:

1-جانب بنوي شكلي يخضع للقاعدة النحوية.

2-خطابي إعلامي يتعلق بما يتحصل عليه من فائدة من الخطاب.

ومن هذا نستشف تمييز سيبويه الكلام واستقامته من حيث اللفظ، ثم المعنى وصولا إلى الاستعمال، فالمستقيم الحسن سليم في القياس والاستعمال.

والمستقيم القبيح سليم في القياس غير سليم في الاستعمال.

[1]: ينظر: الكتاب، 1/ 25-26.

والمستقيم المحال ما كان سليما في القياس والاستعمال، وغير ذلك في المعنى[1].

وقد اكتشف الحاج صالح أن النحاة بعد سيبويه قد خلطوا بين الجانب الإفادي والجانب الدلالي للخطاب من جهة، والجانب الإفادي والجانب اللفظي النحوي للخطاب. وقد حدث ذلك منذ زمن ابن السراج وشيخه المبرد والسبب في ذلك كما يرجحه الحاج صالح دوما هو أن من وظائف الكلام أنه يفيد علما ويدل على معنى، مما جعل الأمر يلتبس عليهم، كما يعتبر دراستهم للكلام خارج فعل الخطاب السبب الأهم في خلطهم بين هاتين الوظيفتين أو هذين الجانبين.

ويذكر الحاج صالح أن المبرد كان على دراية بأن الفائدة إنما تعني العلم المستفاد من الخطاب، إلا أنه اعتبر أن الكلام إن لم يكن له معنى لن تكون له فائدة وهذا ما ساقه في حديثه: إذا قلت: زيد يوم الجمعة فلا معنى لهذا... فلما لم يكن له فائدة قال النحويون: لا تكون ظروف الزمان للجثث[2].

إلا أن أخطر خلط في نظر الحاج صالح هو الخلط بين الخطاب من حيث الجانب النحوي أو اللفظي والجانب الإفادي؛ مما نجم عنه: مساواة قول النحاة بأنّ بنية الفعل والفاعل مساوية لبنية المبتدأ والخبر، فالرجل(سيبويه) في حديثه عن أقل ما يكون عليه

[1]: ينظر آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه، بشير إبرير، ص 24.

[2]: المبرد، المقتضب، 328/4.

الكلام وهو الجملة قال بأنه لا ينقص محتواها من عنصرين هما: المبتدأ مسند والمبني عليه مسند إليه[1].

والدليل على قصور فهم النحويين بعده ما قاله المبرد:" فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر إذا قلت: قام زيد فهو بمنزلة قولك: القائم زيد"[2]... ومع ذلك فقد عرف أن أحدهما بمنزلة الآخر أي الفاعل والفاعل حيث لا يستغني أحدهما عن الآخر؛ أي الفعل لا يستغني عن الفاعل والمبتدأ لا يستغني عن الخبر، ولكن ما يقابل الفعل في الجملة الاسمية هو الابتداء لا المبتدأ إلا أنه عمم هذه الفكرة على البنيتين كأنهما بنية واحدة وهذا غير صحيح[3].

والآن سنورد نواة التركيبين الاسمي والفعلي من حيث البنية ومن حيث الإفادة كما وضحهما الحاج صالح[4].

نواة	الابتداء	المبتدأ	المبني عليه	التكافؤ
ثلاثية	والنواسخ			+/-الزوائد الحقيقي
بنوية	الفعل	الفاعل	+/-المفعول به	في البنية

[1]: الكتاب 1/ 256.

[2]: المقتضب، 8/1،

[3]: ينظر:الخطاب والتخاطب ص150_ 153.

[4]: ينظر: نفسه، ص153.

البنية المبينة أعلاه في الجانب التركيبي البنوي، أما في الجانب الخطابي فهي كالآتي:

نواة	المسند إليه	المسند	هناك تكافؤ في الإسناد بين	
ثنائية	المبتدأ	المبني عليه	المبتدأ والفاعل ولا تكافؤ بينهما	
إفادية	الفاعل	الفعل	في البنية	

وقد عاين سيبويه حالات الخطاب التي تنتج عن قصد مخاطب متمثل في رغبته في إفادة متلق بمعلومات مهما كان موقفه نحوها. فرصد جل ما يعتري الخطاب وفسره وفقا لموقف كل من المتكلم والسامع وبهذا كان قد فتح باب علمين جديدين في الدراسات الغربية لا الدراسة العربية وهما التداولية وتحليل الخطاب.

فالرائي العالم بقضايا العربية المتفتح على ما استجد في ساحات البحث اللغوي يتبين بأدلة تطبيقية مدى براعة سيبويه في تحليله وتفسيره للسان العربي وهذا ما يفسره سبقه لعصره وبزوغ أفكاره قبل الأوان.

ولعل أهم ما رصد سيبويه مما يعتري الخطاب الفرق والزيادة، والمقصود من الفرق على ما يبدو هو ما فيه اختصار للكلام ويشمل الحذف والإضمار. في حين يقصد بالزيادة زيادة عناصر في الكلام على البنية النواة.

فالأولى تكون استغناء بما يعلمه ويعرفه المخاطب يقول سيبويه:" قولك: إنا معشر العرب نفعل كذا وكذا، كأنه قال: أعني، لكنه فعل لا يظهر ولا يستعمل، كما لم يكن ذلك في النداء؛ لأنهم اكتفوا بعلم المخاطب"[1].

فقد تم إضمار الفعل يعني ، لأن المخاطب يعلم به كونه موجودا في اعتباره، وهذا العلم اكتسبه من عهد قريب أو بعيد وقد يكون حصله لحظة الخطاب.

ولأننا سنتكلم عن الحذف والإظهار من وجهة نظر أخرى سنكتفي بهذا المثال، فالفرق في الكلام لا ينجم عنه إخلال بوظيفة الخطاب الأولى والمتمثلة في إعلام الطرف الآخر بمعلومات ما لأن المخاطب يعلم بذلك المحذوف وعلمه قد استمده من تجاربه السابقة أو من مشاهدته. ولا نستطيع في هذا الموقف أن نغفل النظر عن علاقة الإعلامية بالحذف والاقتصاد اللغوي.

مفهوم الاقتصاد اللغوي:

لغة: القصد: الاعتماد والأمّ، وإتيان الشيء، والقصد في الشيء خلاف الإفراط وهو بين الإسراف والتقتير.... ورجل قصد ومقتصد والمعروف مقصّد: ليس بالجسيم ولا الضئيل"[2]

ومن المجاز: قصد في معيشته واقتصد، وقصد في الأمر إذا لم يتجاوز فيه الحدّ ورضي بالتوسّط، لأنّه في ذلك يقصد الأسدّ[3]

[1]: الكتاب، 2/ 233.

[2]: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، د ت، د ط ا، لمجلد الثالث، ص-304303.

[3]: أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت 1998، ط1، ص81-8.

إذن تدور معان الاقتصاد لغة في فلك التوسط وعدم الإفراط.

الاقتصاد اصطلاحا:

الاقتصاد عند أندري مارتيني "هو ذلك البحث الدائم عن التوازن بين الحاجات المتناقضة التي ينبغي تلبيتها؛ حاجات التبليغ من جهة وخمول الذاكرة والنطق من جهة أخرى وبين الحاجات والخمول صراع دائم وإنّ قيام كل هذه العوامل بدورها تحدها المحظورات المختلفة التي تنحو إلى تجميد اللّسان بإبعاد كل تجديد صارخ"[1].

وكأن مارتيني يقر من خلال تعريفه هذا أن الإنسان يميل إلى تبليغ أكبر قدر من المعلومات بأقل جهد كون النفس الإنسانية بطبعها ميالة للكسل والخمول.

ويرى أن الإنسان لا يمكنه أن يبلغ هذه الغاية ما لم يقتصد لهذا استرسل قائلا: لا شيء غير الاقتصاد الناجم عن التقطيعيين يمكن من الحصول على أداة للتبليغ، أداة ذات استعمال عام وقادرة على إيصال المعلومات بمقدار مهول وبجهد زهيد[2].

وقد تناول اللغويون القدامى الاقتصاد اللغوي بألفاظ مختلفة تحت أبواب شتي في مؤلفاتهم أهمها الإيجاز والحف والتخفيف... في حين عرفه المحدثون أمثال تمام حسان قائلا: وهو أن يعبّر بالقليل المتناهي عن الكثير غير المتناهي[3].

[1]: مبادئ في اللسانيات العامة، اندري مارتيني، ترجمة زبير سعدي، دار الافاق، الجزائر، د: ت، د:ط، ص154

[2]: المرجع السابق ص17 .

[3]: مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2006، ط1، ص 292 .

كما يعرفه الحاج صالح بالشكل الآتي:" ونعني بذلك التوازن الذي ينتج عن قوتين متدافعتين؛ ميل المتكلم بطبعه إلى الاقتصاد في تأديته العفوية لكلامه، واحتياج المخاطب إلى البيان، أي أن يكون الخطاب الموجه إليه واضحا غير ملتبس، ويحصل التوازن حين يكون مردود الكلام مساويا للمجهود الفزيولوجي المبذول لتحقيقه"[1]

إذن قد عرفنا أن الاقتصاد اللغوي في أبسط تعريف له هو التعبير عن معاني غير متناهية بعبارات قليلة، وبالبحث في تراثنا النحوي خاصة الكتاب لسيبويه نجد أن هذا الأخير قد استعان به في قبول ورفض العديد من التراكيب، والذي يظهر لنا أن سيبويه قد اصطلح عليه تحت اسم التخفيف، بمختلف مشتقاته، على أن هذا التخفيف قد وقع في المستوى الصوتي والإفرادي والتركيبي، وما يهمنا هو التخفيف الواقع في التركيب.

فمن الناحية التركيبية نجد أن سيبويه قد جعل من التخفيف أهم أسباب الحذف والتخفيف استغناء بمعرفة المخاطب، يقول سيبويه في هذا الصدد: "وإنما أضمروا استخفافا؛ لأن المخاطب يعلم ما يعني ، فجرى بمنزلة المثل، كما تقول: لا عليك، وقد عرف المخاطب ما تعني: أنه لا بأس عليك، ولا ضير عليك، ولكنه حذف لكثرة هذا في كلامهم، ولا يكون هذا في غير عليك"[2].

[1]: بحوث ودراسات، الحاج صالح، 129/2.

[2]: الكتاب، 1/ 224.

فمرد الإضمار هنا طلب الاستخفاف فإذا اطمأن المخاطب إلى أن المخاطب يعلم مقصوده وهذا العلم قد تكون لديه طبعا بكثرة التكرار أضمر، فعوض أن يقول له: لا بأس عليك، قال: لا عليك لأنه موقن بأن المضمر قد علم من طرف السامع فلا حاجة لذكره.

من هنا نفهم أن من دوافع الاقتصاد اللغوي أو سبب لجوء المخاطب إلى الاقتصاد اللغوي أو الخفة إنما هو وجود إعلامية عند المتلقي. فالمخاطب يوقن أنه لا فائدة من تكرار ما هو راسخ في ذهنه نتيجة لمعرفته وعلمه السابق، والاقتصاد اللغوي قبل كل شيء حاصل في وضع اللغة باعتبارها نظاما، كما يحصل في الخطاب أي في الاستعمال.

هذا عن الاقتصاد اللغوي الذي يميل إليه المتكلم ولا يستطيع الجنوح إليه ما لم يكن المتلقي عالما بمقتضيات الخطاب من عهد قريب كان أو بعيدا.

أما عن الزيادة فيقصد بها ما زِيد في التركيب، وإن كانت هذه الزيادة تظهر في اللفظ أو التركيب فإنها قد تظهر في الخطاب من ناحية الفائدة وقد لا تظهر وهذا راجع إلى موقف المخاطب دوما، فإن كان الفرق كما عرفناه سابقا إنما هو الحذف والإضمار والذي يقع في الكلام بموجب معرفة المخاطب، وتوافر القرائن للمتكلم مما يجعله ميالا للتخفيف، فإن غابت هذه القرائن بما فيها معرفة وعلم المخاطب لم يمتنع المتكلم عن سلك سبل الفرق فحسب بل زاد في اللفظ كذلك[1].

[1]: ينظر: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، ص68.

ويمكن أن نخمن أن الزيادة في التركيب ينجم عنها تأكيد للمعنى، وهذا ما يدل على موقف المتلقي، فنفهم أن يقف موقف الشك اتجاه تلك المعلومات، ويعرف الحاج صالح الزيادة بأنها: "والمقصود من الزيادة ههنا هو ما يساعد على التبليغ السليم أي تحصيل الفائدة للمخاطب وتوصف بأنها زيادة مفيدة وإن كانت غير مفيدة فهي ما يسميه النحويون لغوا والبلاغيون حشوا"[1].

وتأتي الزيادة على شاكلتين[2]:

1-زيادة أصلية وهي زيادة من أصل الكلام يمكن الاستغناء عنها إذا توفرت قرائن وهي من أصل الكلام، أي قد تكون زيادة باسم أو فعل أو حرف فكل هذه العناصر تعتبر زائدة إذا توفرت قرائن تدل عليها.

2-أما النوع الثاني من الزيادة فيتمثل في زيادة خطابية أو زيادة في البيان، وهي زيادة عارضة سببها عدم حدوث علم عند المخاطَب مما يدفع المخاطب للزيادة في اللفظ حتى يحقق علما لدى المخاطَب.

وعليه فالزيادة الأولى هي في حقيقتها استغاء المخاطِب عن ذكر بعض العناصر اللغوية كالفعل أو الفاعل من الخطاب لوجود قرائن تعبئ تلك الفجوة التي خلفها حذف أحد تلك العناصر.

[1]: نفسه، ص69.

[2]: ينظر: نفسه، ص69.

وقد تحدث سيبويه عن هذه الزيادة ودلالتها، فالمتكلم قد يكون على علم أن المتلقي يعلم ما هو بصدد إفادته به، إلا أنه قد يذكره له بغرض التأكيد، نجده يقول: "وأمّا ذكرهم" لك" بعد سقيا فإنّما هو ليبنوا المعنى بالدعاء. وربّما تركوه استغناء، إذا عرف الدّاعي أنه قد عُلم من يعني. وربّما جاء به على العلم توكيدا، فهذا بمنزلة قولك: (بك) بعد قولك: مرحبا، يجريان مجرى واحدا فيما وصفت لك"[1].

كما قد تكون الزيادة بغرض التعظيم، يقول سيبويه:" وقد يجوز أن تقول: مررت بقومك الكرام، إذ جعلت المخاطَب كأنه قد عرفهم، كما قال مررت برجل زيدٌ، فتنزله منزلة من قال لك من هو وإن لم يتكلم به. فكذلك هذا تنزله هذه المنزلة وإن كان لم يعرفهم"[2].

فهذه الزيادة التي طرأت على التركيب مردها عدم معرف المتلقي بهم فأردت أن تمدحهم وتعظمهم فزدت لفظة الكرام على النواة الأصلية، فالفائدة هنا حصلت بقولك للمخاطب مررت بقومك، ذلك أن المخاطب كان جاهلا لمرورك بقومه، ولما زدت الكرام أردت أن تمدحهم فزاد عنده علم بأن قومه في رأيك كرام.

من خلال هذا الطرح الموجز لما يشوب الخطاب من زيادة وفرق، ألفينا المخاطَب يستغني عن بعض العناصر وإن كانت من نواة التركيب استغناء بمعرفة المتلقي، كما قد يضيف بعض العناصر لغايات أخرى كالتأكيد والتعظيم.

---

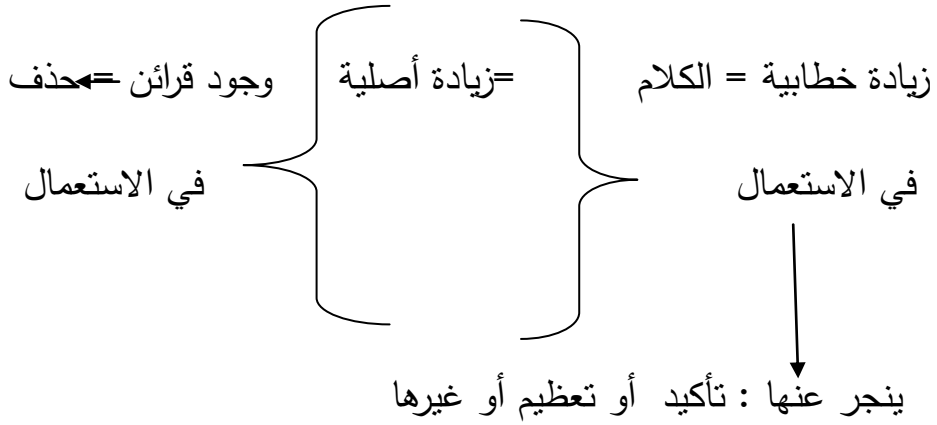
[1]: الكتاب، 313/1.

[2]: الكتاب، 70/2.

ولا يأتي التأكيد إلا إذا شعر المخاطِب أن المخاطَب قد خامره شك نحو ما يقول، كما أنه لا يعظم إلا على وجه الثناء إذا تخيل أن المخاطَب قد أشكل عليه الأمر واستفسر المخاطَب من يقصد.

ولا نزعم أننا قد أحطنا بكل مظاهر الزيادة وما ينجر عنها في الجانب الإفادي أو الإعلامي للخطاب، ونحسب أننا قد بينا أن النحاة العرب على رأسهم سيبويه قد عالجوا مثل هذه القضايا ضمن الاستعمال.

ويمكن أن نوضح الزيادة في الكلام في المخطط الآتي:



الوضع والاستعمال:

يعتبر الوضع والاستعمال من المؤثرات التي يستعان بها في عملية التخاطب، فلكل من المخاطَب والمخاطِب ضوابط وقواعد مشتركة تجعلهما يفهمان الخطاب، غير أن الاستعمال يختلف من شخص لآخر. وفيما يأتي سنبين بعض مظاهر اهتمام سيبويه بكل من الوضع والاستعمال.

الوضع في اللغة يأتي بمعاني متعددة منها[1]:

- الموضع بمعنى مكان الوضع.
- وضعت عنه دينه: أسقطته.
- وضعت الحامل: ولدت.
- وضعت الشيء بين يديه: تركته.
- وضع الرجل الحديث: افتراه، تشترك كلها في التخصيص.

وعليه فلمادة وضع دلالات عديدة تدرج كلها ضمن تخصيص الشيء لما خصص أصلا له، فوضع الحامل بمعنى الولادة ووضع الشيء تركه وهلم جرا...

أما الوضع اصطلاحا فيمكن أن نعرفه مبدئيا على أنه معرفة المخاطِب والمخاطَب بالقوانين والقواعد التي يبني عليها اللسان.

ويقر الحاج صالح بأن لفظ الوضع قد ورد في عبارة سيبويه بمعناها الأصلي اللغوي، وقد جعل هذا المعنى الأصلي الذي هو تخصيص شيء لشيء يوافق وضع اللفظ للمعنى أو تخصيصه له[2].

وعند سيبويه أيضا:" جعل الكلام على صورة معينة وتركيب معين ...فهو الوضع النحوي أي التركيب الذي اختاره المتكلم بالنسبة لكلامه بناء على غرض له"[3]

[1]: ينظر: مصباح الفيومي، ص662، 663.

[2]ينظر: الخطاب والتخاطب ص22 .

[3]: نفسه، ص23.

ويجب أن يكون الوضع أو التواضع على هذا مشتركا ومعلوما لدى كل من المتكلم والسامع حتى يضمن هذا حصول الفائدة.

هذا ويعرف الحاج صالح الوضع بأنه: في الحقيقة تواضع بين قوم لأنه تخصيص اللفظ لمعنى لا يتم إلا بهذا التواضع بين قوم فيكون الوضع كمجموعة من الدلائل المصطلح عليها وهو ما يسمى باللغات الأجنبية بالكود code ويمكن أن يكون لغويا وغير لغوي[1].

كما يشمل التواضع الضوابط اللغوية، ويشمل التواضع كما ذكر الحاج صالح ماهو لغوي وما هو غير لغوي، ويستدل صاحبنا بقول ابن جني ليحدد ما هو غير لغوي وهي كالآتي[2]:

1-الإشارة وتكون بالرأس واليد والعين والحاجب...

2-العقد وهو الحساب.

3-والخط ما خطه القرطاس وهو لكل زمان.

4-النصبة وهي الحال الناطقة.

ومما يدل على توظيف سيبويه لهذه الأخيرة في مظان عملية التخاطب ما قاله في باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره في الأمر والتحذير:

[1]: السابق، ص 26.27.

[2]: السابق ص27.

"وإنما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثنوا لكثرتها في كلامهم واستغناء بما يرون من الحال، وبما جرى من الذكر، وصار المفعول الأول بدلا من اللفظ بالفعل"[1].

إذن استغنى هنا المتكلم عن ذكر الفعل لدلالة الحال عليه، وإذا تأملنا في منطق سيبويه وجدناه يولي حال المخاطب أهمية بالغة ويبني في صدده أحكاما ويعللها، يقول الباحث ناصح الخالدي في هذا الشأن: "رصد سيبويه حال المخطاب، وتابع النظر إلى تصرفاته، والأوضاع التي يكون عليها متأملا تلك الأحوال بالعقل والإدراك تارة، والمشاهدة تارة أخرى، مستفيدا بما يستعين به المتكلم من حواس(هـ) الخمس التي يتحرى بها ما يجري أمامه، فيبني كلامه بناء يتناسب وتلك الحالات والأوضاع...[2].

هذا وقد استعان سيبويه كذلك بالمشاهدة، فمشاهدة المخاطب وإدراكه للظروف المحيطة بفعل التخاطب تغنيه عن العديد من العناصر اللغوية. ذلك أن المخاطب يدرك إحاطة المتلقي بظروف الخطاب فيستأنس لذلك ويتعمد الاستغناء عما تدل عليه المشاهدة. ومن ذلك قول سيبويه: "ومنه أن ترى الرجل أو تخبر عنه أنه قد أتى أمرا(قد فعله) فتقول: أكلَّ هذا(بخلا)، أي أتفعل كل هذا بخلا. وإن شئت رفعته فلم تحمله على الفعل، ولكنك تجعله مبتدأً"[3].

فمشاهدتك ورؤيتك التي تشترك فيها مع المخاطَب هي التي جعلتك تقول ذاك.

---

[1]: الكتاب 275/2.

[2]: مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، د-كريم حسين ناصح الخالدي، المورد، العدد الثالث، 2003، ص20.

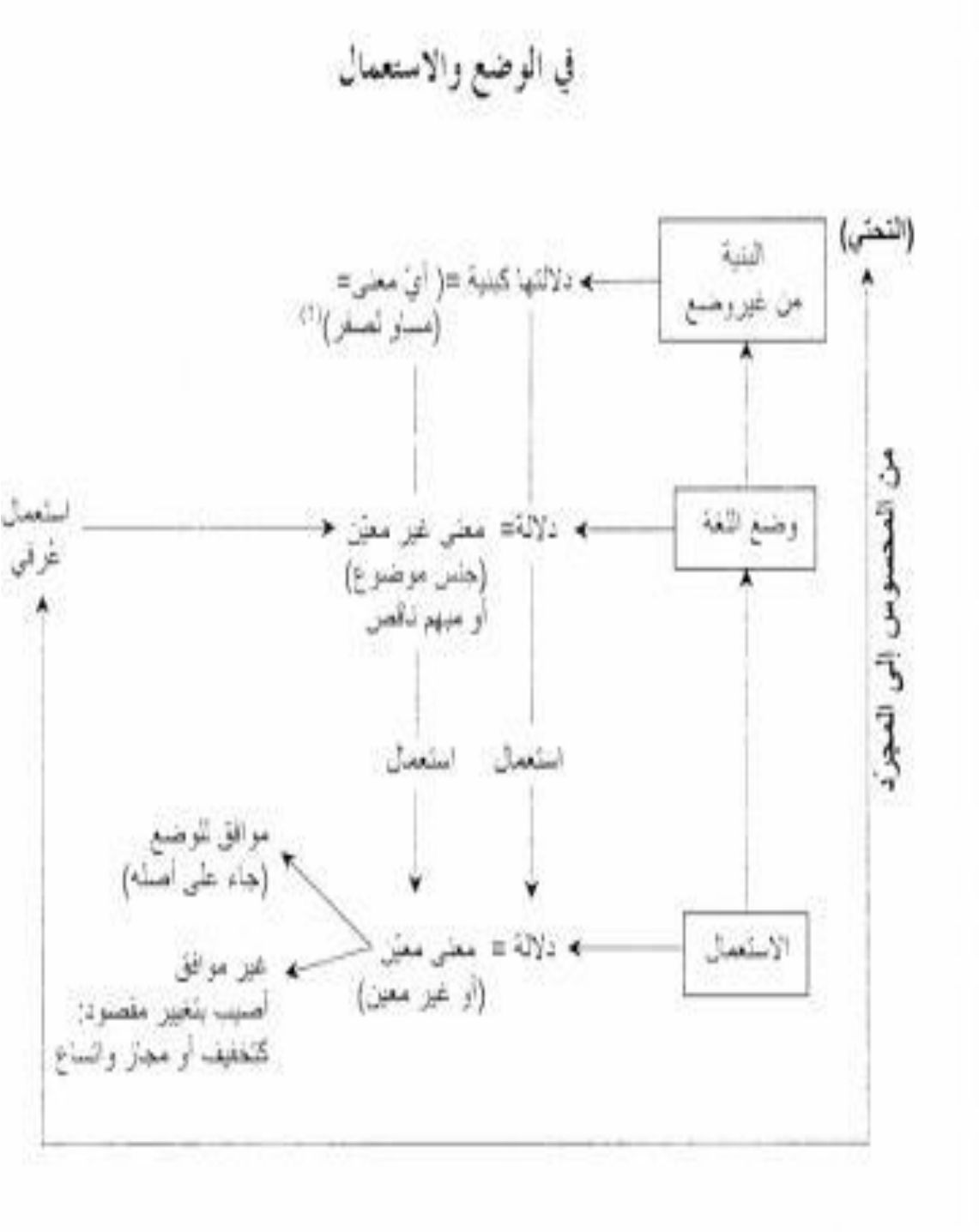
[3]: الكتاب، 1/ 257.

أما الاستعمال لغة : فهو طلب إعمال الشيء في الذي أعد له[1].

في حين يقصد به اصطلاحا استعمال الوضع، وهو الكلام أو الخطاب، وعلى هذا الأساس كان ينظر إلى اللغة كوضع وكاستعمال، وعليه فإذا كانت المواضعة مشتركة بين أهل اللغة الواحدة فإن الاستعمال هو تمثلات فردية وتأديات مختلفة، فكل مخاطِب يستعمل وضعه للتعبير عما يختلج في صدره وفق ما تمليه عليه طبيعته ووفق الملابسات المحيطة به، فوضع اللغة هو دلالتها على شيء غير معين، يصبح في الاستعمال معينا، أو غير معين، قد يوافق الوضع إذا جاء على أصله وقد لا يوافقه إذا أصيب بتغيير مقصود كتخفيف أو مجاز أو اتساع، ويوضح المخطط الآتي العلاقة بين الوضع والاستعمال[2]:

[1]: ينظر: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال ص 43.

[2]: السابق، ص217.



وقد عاين سيبويه جل الاستعمالات الصادرة عن المخاطِب وحللها في سياقها، إن لم يكن قد ضبطها كلها.

3-آليات رفع الإعلامية عند سيبويه:

يمكن أن نتبين من خلال البحث العميق في الكتاب أن هناك بعض الآليات أو المسائل النحوية التي عالجها سيبويه، ويمكن أن ندرجها ضمن آليات رفع الإعلامية وإن كان الرجل لا يصرح بأنها ترفع أفق إعلامية المتلقي، فهو يفسرها ضمن إعلامية المخاطب وهي:

الحذف، والإضمار، التقديم والتأخير، التعريف والتنكير، اللبس والإبهام. الاتساع بأنواعه.

1-الحذف والإضمار:

- تعريف الحذف:

لغة :

الحذف في اللغة يدور في فلك معان عديدة أهمها: القطع، والإسقاط، والقطف، والتقصير...

جاء في جمهرة ابن دريد: " حذفت رأسه بالسيف حذفا إذا ضربته به فقطعت منه قطعة...وحذفت الفرس أحذفه حذفا إذا قطعت بعض عسيب ذنبه...[1].

إذن جاء مفهوم الحذف هاهنا بمعنى القطع.

[1]: جمهرة اللغة، ابن دريد، ج3 ، ص128.

ونجده بمعنى الإسقاط في صحاح الجوهري، إذ يقول: "...حذف الشيء: إسقاطه يقال حذفت من شعري ومن ذنب الدابة أي أخذته..."[1]، كما نجده كذلك بمعنى الرمي، ويقول الفيروز آبادي هو الآخر في هذا الصدد:" حذفه يحذفه: أسقطه، و–من شعره: أخذه، و– بالعصا: رماه بها، و–في مشيته: حرك جنبه وعجُزَه، أو تدانى خَطْوُه،..."[2].

كما يطلق الحذف على قطف طرف الشيء، فالقطف هو أخذ شيء من شيء، جاء في معجم العين: إن الحذف هو قطف الشيء من الطَّرَف[3].

من هنا يبين أن للحذف معاني عديدة أهمها الحذف والإسقاط والقطع وكلها من ضروب التقصير والاختصار، وهذا قريب إل حد كبير من المعنى الاصطلاحي كما سيتضح.

الحذف اصطلاحا:

يعد الحذف من الظواهر الموجودة بكثرة في اللغة العربية، والغرض الأساسي منه إنما هو التسهيل والاختصار، وقد اعتبره ابن جني من أبواب الشجاعة، بل جعله في مقدمتها[4].

يقول الرماني محددا إياه: "فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام"[5].

---

[1]: الصحاح، الجوهري، ج38/4.

2: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص799.

3: العين، الخليل بن أحمد، 3 /201.

[4]: الخصائص، 362/2.

[5]: النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، ص76.

إذن يشترط وجود قرينة سواء لفظية أو حالية تدل على المحذوف في الكلام، ذلك أن النحاة العرب خاصة المتقدمين–كانوا يهتمون بالواقع الاستعمالي للغة ويجنحون إلى تفسير الظواهر اللغوية ومنها الحذف في ظل استعمالها.

ويعتبر سيبويه أول من استعمل مصطلح الحذف ناقلا إياه في اعتقادنا عن شيخه الخليل، وغالبا ما يفسره اعتمادا على الاستعمال اللغوي كما سنبين لاحقا.

يقول سيبويه في صدد حديثه عن الحذف:"اعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون، ويعوضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطا"[1].

وللحذف مواضع عديدة، فقد يقع في الجملة وهو أكثر أنواع الحذف أهمية. كما أنه يمس شغاف الصوت والحرف والكلمة والتركيب –نقصد الحذف–، لكن الحذف الذي سنتحدث عنه هاهنا هو الحذف التركيبي أي الحذف الذي يقع على مستوى التركيب.

وبما أن مدونة الدراسة الكتاب لسيبويه فإن الناظر في ثناياه غالبا ما يجد أن فكرة الحذف تقترن مع الإضمار، وفي هذا المقام سنحاول فك اللبس ما بينهما.

الإضمار في اللغة:

[1]: الكتاب، سيبويه، 2/24.

جاء في المصباح المنير للفيومي: "وأضمرته أعددته للسباق وهو أن تعلفه قوتا بعد السِّمَنِ فهو (ضامر)...و(ضمير) الإنسان قلبه وباطنه...و(أضمر) في ضميره شيئا عزم عليه بقلبه..."[1].

كما جاء الإضمار بمعنى الإخفاء، في قول الآبادي:"...وأضمره: أخفاه، والموضع والمفعول: مُضْمَرٌ...والإضمار: الاستقصاء، وإسكان التاء من متفاعلن في الكامل..."[2].

إذن الإضمار عموما يحمل معنى الإخفاء كما يدل على الباطن والاستقصاء.

الإضمار اصطلاحا:

يعرف الإضمار أنه: إسقاط الشيء لفظا لا معنى، وترك الشيء مع بقاء أثره[3].

إذن يفهم من خلال هذا التعريف أنما الإضمار هو إسقاط لفظ لا معنى له، بخلاف الحذف الذي وجب أن تترك فيه قرينة دالة على المحذوف، كما يعرف الإضمار في اصطلاح المتأخرين بأنه:" ذكر الضمير لا مدلول له وكثيرا ما يستعمل هذا اللفظ في باب التنازع حيث يتقدم عاملان أو أكثر ويتأخر معمول، ويكون كل من العوامل المتقدمة طالبا لذلك المعمول...[4].

[1]: المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المُقْري الفيّومي، ص 364.

[2]: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص429.

[3]:معجم التعريفات، السيد الشريف الجرجاني، ص27.

[4]: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت، ط1، 1405هـ، 1985م، ص134.

ذهب قسم من النحاة إلى أن هناك فرقاً بين مفهومي الحذف والإضمار ولكن عند مطالعتنا لكتب النحو لا نجد هذا الفرق بينهما بل نجد أن الإضمار يوضع موضع الحذف والقول نفسه يقال عن الحذف وقد يكون بينهما عموم وخصوص[1].

كما يقول التهانوي إزاء الطرح الموسوم بالتفريق بين الحذف والإضمار: وقد يُفرق بين الحذف والإضمار ويقال إن المضمر ما له أثر من الكلام نحو: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ﴾[2].

والمحذوف ما لا أثر له كقوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[3] أي أهلها كما يجيء في لفظ المقتضي...[4].

ويفرق السهيلي بين الحذف والإضمار فيقول: "والإضمار هو الإخفاء، والحذف هو القطع من الشيء. فهذا فرق ما بينهما، وهو واضح لا خفاء فيه ولا غبار عليه"[5]إلا أننا نجد هذا التفريق نظريا فقط فالنحاة العرب وفي تعاملهم مع مسألتي الحذف والإضمار لا يفرقون بينهما، حيث وقع فيه المتقدمون والمتأخرون فنجد سيبويه لا يميز ولا يفرق بينهما في كلامه وإنما يتكلم على كل واحد منهما في بابه وهذا يعني أنهما نفس الشيء عنده، نجده يعبر عن المحذوف بالمضمر، فيقول في باب إضمار الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي:

1: ينظر : التأويل النحوي في القرآن الكريم : 134/1.

2: سورة يس، الآية: 39.

3: سورة يوسف، الآية: 82.

4: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ص 219.

5: نتائج الفكر في النحو، السهيلي، تحق: محمد إبراهيم البنّا، دار الرياض، ط2، د-ت، ص165.

" وذلك قولك، إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحاجّ، قاصدا في هيئة الحاجّ، فقلت: مكة وربّ الكعبة. حيث زكنت أنه يريد مكّة، كأنّك قلت: يريد مكّة واللّه"[1].

كما نجده عند حديثه عن حذف خبر المبتدأ بعد (لولا) وذلك في باب (من الابتداء يضمر فيه ما يبنى على الابتداء)[2]، يقول: "وذلك قولك : لولا عبد الله لكان كذا وكذا ، أما (لكان كذا وكذا) فحديث معلق بحديث لولا ، وأما عبد الله فإنه من حديث (لولا) ، وارتفع بالابتداء كما يرتفع بالابتداء بعد ألف الاستفهام ، كقولك : أزيد أخوك ، إنما رفعته على ما رفعت عليه : زيد أخوك غير أن ذلك استخبار وهذا خبر ، وكأن المبني عليه الذي في الإضمار : كان في مكان كذا وكذا ، فكأنه قال : ولولا عبد الله كان بذلك المكان ولولا القتال كان في زمان كذا وكذا ، ولكن هذا حذف حين كثر استعمالهم إياه في الكلام ، كما حذف الكلام في إمّا لا"[3]

فسيبويه يسمي الباب بأنه باب من الإضمار وبعدها يتكلم عنه على أنه حذف وهذا دليل واضح على أنه لا يفرق بينهما–نقصد الحذف والإضمار– في استعماله لهما في الكتاب.

[1]: الكتاب، سيبويه، 257/1.

[2]: الكتاب، 129/2.

[3]: نفسه، 929/2.

ويقول في موضع آخر:" وإنما أضمروا ما كان يقع مظهرا استخفافا ، ولأن المخاطب يعلم ما يعني فجرى بمنزلة المثل ، كما تقول : لا عليك وقد عرف المخاطب ما تعني ، إنه لا بأس عليك ، ولا ضير عليك ولكنه حذف لكثرة هذا من الكلام"[1].

ففي هذا المثال نجد أن سيبويه يستعمل الإضمار مرة، ثم يعبر عنه بلفظ آخر هو الحذف.

يقول السيرافي شارحا قول سيبويه: " فهذا من الباب الذي يجوز إظهار الفعل فيه وإضماره لحال حاضرة ودلالة بينة، فهذا وغيره في ذلك سواء"[2].

وعلى عكس الحذف، الذي ضده الذكر في حين الإضمار ضده الإظهار، فما حذف وجب فيه التقدير، يقول سيبويه في باب حذف المستثنى استخفافا: " وذلك قولك: « ليس غير»، « ليس إلّا»، كأنه قال: ليس إلا ذاك وليس غير ذاك، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفا واكتفاءً بعلم المخاطَب ما يعني"[3].

يقول السيرافي في شرحه لقول سيبويه هذا:" الحذف الذي استعملوه بعد إلا وغير إنما يستعمل إذا كانت إلا وغير بعد ليس، ولو كان مكان ليس غيرها من ألفا الجحد لم يجز الحذف. لا تقول بدل ليس إلا: لم يكن إلا: لم يكن غيرُ "[4].

---

[1]: نفسه، 224/1.

[2]: شرح كتاب سيبويه، الحسن بن عبد الله بن المرزبان بن سعيد السيرافي، تحق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ج2، ص 156.

[3]: الكتاب، 344/2-345

[4]:شرح كتاب سيبويه، السيرافي، 92/3.

إذن وعلى الرغم من مزاوجة سيبويه في استخدامه لكل من الحذف والإضمار والذي ربما يحيل السامع إلى أن المصطلحين مختلفان إلا أننا نجده لا يفرق بينهما في الاستعمال.

والحذف لا يأتي هكذا، وإنما هناك دوافع تجعل المتكلم يحذف، أو يضمر في تلك المواضع بعينها، وباستقراء كتاب سيبويه، نجده يعلل الحذف والإضمار بالدوافع الآتية:

1-كثرة الاستعمال.

2-اتساع الكلام.

3-الاختصار.

4-التخفيف.

5-علم المخاطب المسبق بالمحذوف أو المضمر.

يقول في شأن الحديث عن الحذف لكثرة الاستعمال: "وما حذف في الكلام لكثرة استعمالهم كثير ومن ذلك: هل من طعام؟ أي: هل من طعام في زمان ومكان[1].

وأما الحذف بدافع اتساع الكلام قوله: "وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به: اجتمعت أهل اليمامة، لأنه يقول في كلامه: اجتمعت اليمامة، يعني أهل اليمامة، فأنث الفعل في اللفظ إذ جعله في اللفظ لليمامة، فترك اللفظ يكون على ما يكون عليه في سعة الكلام"[2].

[1]: الكتاب،130/2.

[2]: نفسه، 53/1.

كما يأتي الحذف بدافع التخفيف كما هو الحال في الترخيم إذ يحذف آخر الاسم المفرد من أجل التخفيف فالإنسان يجنح إلى تبليغ أكبر قدر من المعلومات في فترة زمنية قصيرة وبأقل مجهود، يقول سيبويه في سبب الترخيم: "والترخيم حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفا، كما حذفوا غير ذلك من كلامهم تخفيفا"[1].

وكثيرا ما يدفع تفضيل الاختصار إلى الحذف، يقول سيبويه في شأن قوله تعالى:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2]. وإنما المعنى: "مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى"[3].

وكل هذه الدوافع آنفة الذكر إنما تندرج ضمن عنصر مهم تردد في الكتاب بكثرة يسمى علم المخاطب، فالمخاِطب يلجأ إلى الحذف نتيجة لكثرة الاستعمال والتي تجعل ذلك المحذوف مهما كان مقدرا وثابتا في ذهن المتلقي وبالتالي تدرج ضمن ما علمه من قريب أو بعيد، فالمتكلم لو لم يكن متأكدا من معرفة المخاطَب بالمحذوف لما اختصر ولا خفف، وكذلك كثرة الاستعمال تولد معرفة لدى السامع طبعا نتيجة لكثرة التكرار مما ينجم عنه الاعتياد.

[1]: الكتاب، 239/2.

[2]: سورة البقرة، الآية: 171

[3]: السابق، 212/1.

الإعلامية وعلاقتها بالحذف والإضمار:

لقد راعى سيبويه حال المخاطب، وأصل بامتياز في معالجته للخطاب العربي فاتبع الطريقة المثلى التي تستوفي الخطاب من كل الجوانب، فجنح أثناء تأسيسه للبنود العريضة للنظرية اللغوية العربية أخذ الخطاب من واقعه المستعمل فكان أن اهتمّ بالمخاطب من عدة جوانب وفي مواضع عديدة ومختلفة من بينها الحذف والإضمار، فأول وفسر مظاهر الحذف العديدة التي تعتري الخطاب العربي في مواضع مختلفة اعتمادا على علم المخاطب، إذ أنّه ليس من المعقول أن نتكلم عن محذوف لا علم للمخاطب به، فالغاية الأولى من الكلام إنما هي التبليغ والإفادة بمعلومات ما، من هنا كان لزاما على المخاطِب أثناء خطابه أن يلجأ إلى الحذف أو الإضمار اختصارا لأن المخاطب في غنى عن ذكر معلوم، من هنا نصل إلى أن هناك علاقة طردية بين علم المخاطب والحذف والإضمار وظاهرة الاقتصاد اللغوي التي سبق ذكرها.

والحذف كما هو معلوم، من الأساليب التي من شأنها أن ترفع الكفاءة الإعلامية، وتدفع بالمتلقي إلى الإقبال على الخطاب ومقارنة معلوماته المكتسبة بما يحمله الخطاب بين طياته.

وسنسوق جملة من النماذج التي استعمل فيها سيبويه الإعلامية لتفسير مسألة الحذف والإضمار.

1-النموذج الأول:

يقول سيبويه في شرحه لقول الشاعر[1]:

بَنِـي أَسَـدٍ هَـلْ تَعْلَمُـونَ بَلَاءَنَـا إذا كَـانَ يَوْمًـا ذَا كَوَاكِـبَ أَشْـنَعَا

إذا كانـت الحُـوُّ الطـوالُ كأَنمـا كسـاها السـلاحُ الأرجـوانَ المضـلَّعَا

أضمر لعلم المخاطَبِ بما يَعْني، وهو اليوم. وسمعت بعض العرب يقول أشنعا ويرفع ما قبله، كأنه قال: إذا وقع يوم ذو كواكبَ أشنعَا"[2].

وإنما أراد إذا كان اليوم يوما ذا كواكب أشنعا، وإنما أضمر لعلم المخاطب، ومعناه: إذا كان اليوم الذي يقع فيه القتال..."[3].

إذن أُضْمرت هاهنا لفظة اليوم لكون المخاطب عالما بها. والشاعر أراد إذا كان اليوم يوما، فالسامع هنا يشعر بفجوة في كلام السامع عبأها المتلقي بما علمه، أو بتعبير آخر استغنى المتكلم عن ذكر ما كان معلوما عند السامع (لفظة اليوم).

2-النموذج الثاني:

يقول سيبويه: " ضربت وضربني زيد، وضربني وضربت زيدا، تحمل الاسم على الفعل الذي يليه، فالعامل في اللفظ أحد الفعلين، أما في المعنى فقد يعلم أن الأول قد وقع، إلّا أنّه لا يُعْمل في اسم واحد رفع ونصب..."[4]

---

[1]: قائله: عمرو بن شأس الجاهلي.

[2]: الكتاب، 47/1.

[3]: شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، تحق: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990، 370/2.

[4] : الكتاب، 73/1.

ترك أن يكون للأول خبرٌ حين استغنى بالآخر لعلم المخاطب أن الأول قد دخل في ذلك، ولو لم تحمل الكلام على الآخِرِ لقلت: ضربتُ وضربوني قومك. وإذا قلت ضربني، لم يكن سبيل للأوّل، لأنك لا تقول ضربني وأنت تجعل المضمر جميعا، ولو أعلمت الأوّل لقلت مررت ومرّ بي بزيدٍ. وإنّما قبُح هذا أنّهم قد جعلوا الأقرب أولى إذا لم ينقض معنًى..."[1].

يشرح السيرافي هذا القول قائلا: " وإذا قلت: "ضربت وضربني زيد" فأعمل الفعل الثاني؛ رفعت "زيدا" به، ولم تأت للأول بمفعول، وقد علم أنه واقع " بزيد"؛ لذكرنا في الفعل الثاني، فلم تضمره كما أضمرته حيث كان فاعلا؛ لأنهم احتملوا إضماره قبل الذكر حيث كان فاعلا؛ لأن الفعل لابدّ له من فاعل، وقد يستغني عن المفعول، فلم يكن بهم ضرورة توجب إضمار المفعول قبل الذكر"[2].

إذن تم إضمار المفعول به للفعل الأول هاهنا لأن العلم قائم به عند المخاطَب.

النموذج الثالث:

يقول سيبويه في قولهم: "مواعيد عرقوب أخاه بيثرب.كأنه قال: واعدتني مواعيد عرقوب أخاه، ولكنه ترك "واعدتني" استغناء بما هو فيه من ذكر الخلف، واكتفاء بعلم من يعني بما كان بينهما قبل ذلك"[3].

---

[1]: نفسه، 76/1.

[2]: شرح كتاب سيبويه، 360/1-361.

[3]: الكتاب، 272/1.

فهو قد استغنى عن ذكر لفظة واعدتني اعتمادا على القرائن الموجودة مما ذكر سابقا واعتمادا على علم المخاطب.

النموذج الرابع:

يقول سيبويه: "وتقول: إذا كان غد فأتني، وإذا كان يوم الجمعة فالقني؛ فالفعل لغد واليوم، كقولك: إذا جاء غد فاتني، وإن شئت قلت: إذا كان غدا فأتني، وهي لغة بني تميم، والمعنى أنه لقي رجلا فقال له: إذا كان ما نحن عليه من السلامة أو كان ما نحن عليه من البلاء في غد فأتني، ولكنهم أضمروا استخفافا، لكثرة كان في كلامهم، لأن الأصل لما مضى وسيقع. وحذفوا كما قالوا: حينئذ الآن، وإنما يريد: حينئذ واسمع إليّ الآن، فحذف" واسمع"، كما قال: تالله ما رأيت كاليوم رجلا، أي كرجل أراه اليوم رجلا.

وإنّما أضمروا ما كان يقع مظهرا استخفافا، ولأن المخاطب يعلم ما يعني، فجرى بمنزلة المثل، كما تقول: لا عليك، وقد عرف المخاطب ما تعني، أنّه لا بأس عليك، ولا ضر عليك، ولكنه حذف لكثرة هذا في كلامهم.ولا يكون هذا في غير لا عليك"[1].

فمرد حذف ما أصله الإظهار كون المخاطب يعلم المعنى، لهذا صار بمنزلة المثل، وهذا العلم قد ترسخ من كثرة الاستعمال.

[1]: الكتاب، 224/1.

التعريف والتنكير وعلاقتهما بعلم المخاطب:

1-تعريف التعريف والتنكير:

-التعريف لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "العين والفاء والراء أصلان صحيحان: أحدهما: يدل على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر على السكوت والطمأنينة، فالأول العرف: عرف الفرس سمي بذلك لتتابع الشعر عليه...

الأصل الآخر: المعرفة والعرفان، تقول: عرف فلان فلانا عرفانا ومعرفة، وهذا أمر معروف. وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه، لأن من أنكر شيئا توحش منه ونبى عنه، ومن الباب العرف: وهي الرائحة الطيبة، وهي القياس، لأن النفس تسكن إليها، يقال: ما أطيب عرفه، قال تعالى: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[1]، أي: طيَّبَها...والعُرْفُ: المعروف وسمي بذلك، لأن النفوس تسكن إليه...[2].

إذن من خلال تعريف ابن فارس نستخلص أن مادة عرف لها دلالتان، التتابع، والمعرفة.

كما جاء في خصوص مادة عرف في مصباح الفيومي ما ملخصه: عرفته: (عِرْفَةً) و(عرفانا) علمته بحاسة من الحواس الخمس...وأمرت (بالْعُرْفِ) أي بالمعروف وهو الخير

[1]: سورة محمد، الآية: 06

2: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 281/4.

والرفق والإحسان ومنه قولهم: (من كان آمرا بالمعروف فليأمر بالمعروف) أي من أمر بالخير فليأمر برفق وقدر يحتاج إليه و(اعترف) بالشيء أقر به على نفسه...[1].

إذن نستنتج دلالة أخرى لمادة عرف ذكرها الفيومي وهي العلم والخير.

2-التنكير لغة:

ورد في مقاييس اللغة: النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، ونكر الشيء وأنكره: لم يقبله ولم يعترف به لسانه...النكر: الداهي والنكراء: الأمر الصعب الشديد. ونكر الأمر نكارة. والإنكار:خلاف الاعتراف، والتنكر: الانتقال من حال تسر إلى حال تكره. ويقولون لما يخرج من دم من الحولاء وما أشبهه: نكرة[2].

كما جاء في المصباح المنير: أنكرته،(إنكارا) خلاف عرفته و(نكرته) مثال تعبت كذلك غير أنه لا يتصرف و(النّكير) (الإنكار)أيضا و(النكراء) وزان الحمراء بمعنى المنكرو(النكر) مثل قفل مثله وهو الأمر القبيح و(أنكرت) عليه فعله (إنكارا) إذا عبته ونهيته و(أنكرت) حقه جحدته و(نكرته) (تنكيرا) (فتنكر) مثل غيرته تغييرا فتغير وزنا ومعنى[3].

إذن عرف الفيومي التنكير بالنقيض وقال أنه خلاف التعريف، كما أنه يأتي بمعنى الأمر القبيح والذي يسمى منكرا.

---

[1]: المصباح المنير، الفيومي، ص404.

[2]: مقاييس اللغة، 476/5.

[3]: المصباح المنير، ص625.

التعريف والتنكير اصطلاحا:

هذا المصطلح مركب من كلمتين متناقضتين في المعنى، فالتعريف خلاف التنكير، ويعرف الجرجاني المعرفة بأنها ما وضع ليدل على شيء بعينه، وهي المضمرات والأعلام والمبهمات وما عرف باللام والمضاف إلى أحدهما، والمعرفة أيضا إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم؛ ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف[1]. كما ويعرف التعريف بأنه: عبارة عن ذكر شيء تستلزم معرفته معرفة شيء آخر[2]،أما النكرة فيعرفها بأنها ما وضع لشيء لا بعينه كرجل وفرس[3].

علاقة التعريف والتنكير بالإعلامية عند سيبويه:

تعد ظاهرة التعريف والتنكير من الظواهر الشائعة والمشتركة في جميع اللغات كما تتشابه أدواتها، فهي من الظواهر التي تناولها اللغويون بخاصة النحويين والبلاغيين وقد عالجوا القضايا المقترنة بها، وقد اعتبروا التعريف إبانة فهو أصل والنكرة فرع عنه كما قال بذلك سيبويه.

كما تعد من المسائل المهمة في النحو العربي على غرار الأنحاء الأخرى، فقد أولاها نحاة العربية مكانة كبيرة وراحوا يتتبعون أغراضه ويبينون أساليبه، فها هو الكتاب باعتباره جامع الدرس النحوي العربي يولي هذه القضية عناية كبيرة، ولا يعالج سيبويه مسألة التعريف

[1]: التعريفات، الجرجاني، ص 185.

[2]: التعريفات، الجرجاني ص56.

[3]: نفسه، ص206.

والتنكير بمنأى عن الاستعمال، بل نجده يفسرها ضمن مقصود المتكلم وعلم المخاطب أو جهله، من هنا برزت العلاقة المتينة بين علم المخاطب والتعريف والتنكير، فالمتكلم يعرف الأسماء أو ينكرها وفقا للمخاطب وعلمه أو جهله أو ظنه بالمتحدث عنه.

فالعلاقة بين التعريف والتنكير والإعلامية بينة واضحة، ذلك أن المتكلم متى أراد تشويق السامع ومباغتته بمعلومات يظن أو يعتقد أو يتوقع أنه يجهلها ابتدأ بنكرة، أو عرفه بنكرة، كما لا يمكنه في مواقف أخرى أن يستخدم النكرة لأن غرضه من الكلام إنما هو الإخبار، وفي كل الحالات تتباين مواقف المتلقي اتجاه ما يحمله الخطاب من إعلام، فقد يتوقع تلك المعلومات، كما قد لا يتوقعها وقد يكون أصلا عالما بها كما قد يساوره الشك إزاءها. وبما أن الغاية الأولى من الخطاب إنما هي الإعلام أو الإخبار أو الإفادة والتي لا يقصد بها أن يتوفر الكلام على معنى، وإنما أن يجني المخاطب كمّا من المعلومات من الخطاب يستشعر القارئ لكتاب سيبويه أنه يلزم المخاطب بأن يراعي جاهزية المتلقي، فلا يسوغ له أن يخبر عن منكور أي غير معلوم ، فإذا قال مثلا شخص لصاحبه الأعمى هذا مالح وهما على الشاطئ؛ ذلك أن صاحبه لا يرى المشار إليه، لكن لو قالها لمبصر لحمل الكلام معنى لكن لا يحصل على علم أو فائدة، ولو قالها لصبي صغير يوشك أن يغترف من ماء البحر ليشرب لا عهد له بماء البحر لحدث إعلام وجنيت الفائدة.

وممّا يبرز صلة القرابة المتينة بين العلم أو علم المخاطب والتعريف والتنكير ما جاء على لسان سيبويه في توجيهه لمسألة الإخبار عن النكرة:" قولك ما كان أحد مثلك ، وما كان أحد مجترئا عليك.

وإنما حسن الإخبار ههنا عن النكرة، حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء أو فوقه؛ لأن المخاطَب قد يحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا.

وإذا قلت: كان رجل ذاهبا، فليس في هذا شيء تعلمه كان جهله. ولو قلت: كان رجل من آل فلان فارسا حسُن؛ لأنه قد يحتاج إلى أن تعلمه أن ذلك في آل فلان وقد يجهله.ولو قلت كان رجل في قوم عاقلا لم يحسن؛ لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا عاقل وأن يكون من قوم. فعلى هذا النحو يحسن ويقبح"[1].

إذن نستشف من خلال قوله أن حسن الإخبار عن النكرة بالنكرة وقبحه يخضع لعلم المخاطب وجهله، فالمتكلم وإن كان يرمي دوما إلى مباغتة السامع بمعلومات جديدة يجهلها، إلا أنه يتوجب عليه عدم الخروج عن الأعراف المتواطئ عليها، وهنا تبرز دور نظرية علم المخاطب في بناء القاعدة النحوية.

ثم يأتي بخلاصة القول في شأن الإخبار عن النكرة بالنكرة فيقول: "وحسنت النكرة ههنا في هذا الباب لأنك لم تجعل الأعرف في موضع الأنكر. وهما متكافئان كما تكافأت

[1]: الكتاب، 54/1.

المعرفتان، ولأن المخاطب قد يحتاج إلى علم ما ذكرت لك وقد عرف من تعني بذلك كمعرفتك "[1].

ويذهب ابن يعيش إلى أبعد من هذا حين يقول مصرحا بالعلاقة الجلية بين الإعلامية والتعريف والتنكير:" فإن قلت: قائم زيد، فقائم منكور لا يعرفه المخاطب لم تجعله خبرا مقدما يستفيده المخاطب، ولا يصح أن يكون زيد الخبر؛ لأن الأسماء لا تستفاد ولا يساوي المتكلم المخاطب، لأن النكرة ما لا يعرفه المخاطب، ألا ترى أنك تقول: عندي رجل"، فيكون منكورا وإن كان المتكلم يعرفه، فالنكرة والمعرفة بالنسبة إلى المخاطب"[2].

إذن يقر ابن يعيش أن الحكم على الكلمة بأنها معرفة أو نكرة يحتكم إلى موقف المتلقي منها، عارف لها أو جاهل بها.

وهذا ما أثبته الأعلم الشتمنري لما قال: اعلم أن التعريف معلق بمعرفة المخاطب دون المتكلم وقد يذكر المتكلم ما يعرفه هو ولا يعرفه المخاطب فيكون منكورا كقولك للمخاطب في داري رجلا ولي بستان فتعرف الرجل بعينه والبستان وهو لا يعرفهما[3].

وحتى نبين ونجلى أكثر عن العلاقة بين علم المخاطب بالتعريف والتنكير سنسوق كذلك جملة من النماذج.

---

[1]: السابق، 55/1.

[2]: ابن يعيش شرح المفصل1/ 86.

[3]: النكت في تفسير كتاب سيبويه، وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشتمنري، تحق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 216/1.

نماذج في التعريف والتنكير:

النموذج الأول:

يقول سيبويه: "واعلم أنه إذا وقع في هذا الباب نكرة ومعرفة، فالذي تشغل به كان المعرفة لأنه حد الكلام لأنهما شيء واحد، وليس بمنزلة قولك: ضرب رجل زيدا، لأنهما شيئان مختلفان، وهما في كان بمنزلتهما في الابتداء إذا قلت عبد الله منطلق، تبتدئ بالأعرف ثم تذكر الخبر، وذلك قولك: كان زيد حليما، وكان حليما زيد، لا عليك أقدمت أو أخرت، إلا أنه على ما وصفت لك في قولك : ضرب زيدا عبد الله، فإذا قلت: كان زيد، فقد ابتدأت بما هو معروف عنه، مثله عندك فإنما ينتظر الخبر، فإذا قلت: حليما، فقد أعلمته مثل ما علمت، فإذا قلت: كان حليما فإنما ينتظر أن تعرفه صاحب الصفة، فهو مبدوء به في الفعل، وإن كان مؤخرا في اللفظ، فإن قلت: كان حليم أو رجل فقد بدأت بنكرة، ولا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور، وليس هذا الذي ينزل به المخاطب منزلتك في المعرفة فكرهوا أن يقربوا باب لبس[1].

فمرد الاستقامة هنا والتي تخضع للتخاطب هو أن يبدأ المخاطِب كلامه بما هو معروف لدى المخاطَب، ذلك أنه لا يصح ولا يستقيم له أن يعلم عن شيء يجهله المخاطَب إلا إذا دل عليه دليل ما، أي توفرت بعض القرائن الدالة عليه.

[1]: الكتاب، 1/47-48.

النموذج الثاني:

يقول سيبويه: "وذلك قولك: ما كان أحد مثلك، وما كان أحد خيرا منك، وما كان أحد مجترئا عليك.

وإنما حسن ههنا الإخبار عن النكرة حيث أردت أن تنفي أن يكون في مثل حاله شيء أو فوقه، لأن المخاطب قد يحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا.

وإذا قلت: كان رجل ذاهبا، فليس في هذا شيء تعلمه كان جهله.

ولو قلت: كان رجل من آل فلان فارسا حسن، لأنه قد يحتاج إلى أن تعلمه أن ذلك في آل فلان وقد يجهله، ولو قلت كان رجل في قوم عاقلا لم يحسن،؛ لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا عاقل وأن يكون من قوم فعلى هذا النحو يحسن ويقبح"[1]

لقد طرق سيبويه ثنائية التعريف والتنكير لا من زاوية لفظية أو نحوية بحتة فقط وإنما ركز فيها على الجانب الإفادي والخطابي قبل كل شيء فسوغ الإخبار بالنكرة عن النكرة إذا كان المخاطب يحتاج أن تعلمه ذلك يعني متى استأنس المخاطب بأن المتلقي سيحصل على فائدة جاز له الإخبار بالنكرة عن النكرة، وذلك كأن يحتاج المخاطب إلى أن تخبره بأنه ليس في مثل حالته أحد.

لكن لا فائدة يحصل عليها المخاطب إذا قلنا له: كان رجل في قوم عاقلا لم يحسن؛ إذ لا ريب أن يكون هناك عقلاء في الدنيا وأن يكونوا من كل الأقوام.

[1]: الكتاب، 1/ 54.

ومنعوا الإخبار بالنكرة لأنه لا فائدة منه[1].

التقديم والتأخير وعلاقتهما بالإعلامية :

التقديم لغة:

جاء في مقاييس اللغة: "القاف والدال والميم أصل صحيح يدل على سبق ورعف، ثم يفرع منه ما يقاربه: يقولون : القدم خلاف الحدوث. ويقال: شيء قديم، إذا كان زمانه سالفا...وقادمة الرحل : خلاف آخرته... وقدم الرجل معروفة ولعلها سميت بذلك لأنها آلة للتقدم والسبق...[2].

التأخير في اللغة:

جاء في مقاييس اللغه دائما: "الهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم. وهذا قياس أخذناه عن الخليل فإنه قال: الآخر نقيض المتقدم، والأُخُرُ نقيض القُدُم، تقول مضى قُدُما وتأخر أُخُرا"[3]....

يتبين من خلال التعريف اللغوي أن التقديم نقيض التأخير. وهما بمعنى السبق وعدم السبق.

[1]: الكتاب، 48/1

[2]: مقاييس اللغة، 5/ 65، 66.

[3]:نفسه 1/ 70.

التقديم والتأخير اصطلاحا:

يعتبر التقديم والتأخير من الأساليب التي تطرأ على التركيب أين يعمد المتكلم أو المخاطب إلى تقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم، أو التصرف في الرتب. وقد حاز هذا الموضوع على مساحة واسعة من اهتمام اللغويين بتعدد مشاربهم واهتماماتهم قديما وحديثا، فالتقديم والتأخير يعد عدولا عن الأصل ولهذا العدول تبرير طبعا. فقد بلغ اهتمامهم به أن جعلوه من بوادر الشجاعة العربية على. حد تعبير ابن جني[1].

والتقديم والتأخير مسلك يسلكه المتكلم ينم عن تمكنه واضطلاعه بكفاءة لغوية عالية مما يجعله يتصرف في مكونات التركيب تصرفا عجيبا فيقدم ما حقه التأخير لأنه يستأهل ذلك ويؤخر ما حقه التقديم لأنه لا يصح إلا تأخيره.

وقد عالج سيبويه مسألة التقديم والتأخير في العديد من المواضع في الكتاب، حيث نجده يقول:" كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[2].

إذن نستشف من خلال هذا القول أن سيبويه يحدد سبب التقديم والتأخير والمتمثل في الاهتمام والعناية بالعنصر الذي يحقق البيان أو الإفادة. وإن كان النحاة يجمعون بأن الخبر هو محل الفائدة هو والفعل فإن الحاج صالح يرى أن المبني عليه أو المبتدأ يمكن له أن يحمل الفائدة ، ودليله في ذلك ما قال به السهيلي واستوحاه منه ابن قيم الجوزية والذي

[1]: الخصائص، ابن جني، 2/ 360.

[2]: الكتاب/34/1

مفاده أن الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة أو مخصوصا ليحسن الإخبار عنه فإن انتفى هذا الشرط لا يتم الإخبار عنه ما لم يكن الخبر جارا ومجرورا مفيدا، معرفة، ومقدم عليه فإن تقدم وكان معرفة صار وكأن المبتدأ خبر عنه وطبعا هذا الانقلاب يحدث في الجانب الإفادي المعنوي للخطاب ففي الإعراب يبقى الجار والمجرور خبرا واللفظ الذي بعده مبتدأ مؤخرا مثلما هو الحال في قولنا: "على زيد دين فمن الناحية التركيبية على زيد خبر ودين مبتدأ مؤخر، لكن من ناحية إعلامية أو فائدة الخطاب، محل الإعلام أو الفائدة في لفظة دين"[1].

من هنا يتضح ذلك التمايز بين الجانب الوضعي النحوي للكلام والجانب المعنوي الإفادي، فالجانب الوضعي النحوي خاضع للوضع فحسب في حين أن الجانب المعنوي الإفادي لا يخضع للوضع فحسب بل إلى جانبه يخضع لما يريده المخاطب والدلائل المحيطة بالخطاب.

ويلخص الحاج صالح رؤية السهيلي بقوله: "فهذا الذي قاله السهيلي من أنّ المجرور المعرفة المقدم هو الذي حصل الإخبار عنه لا في اللفظ أي لا من الجانب اللفظي النحوي لكن من الجانب المعنوي الإفادي"[2].

من هنا نستشف ما للتقديم والتأخير من دلالات يقتضيها الاستعمال في وضع التخاطب الخاضع لدلالات غير لغوية كالمشاهدة وعلم المخاطب وذكر الحال وما إلى ذلك

[1]: ينظر الخطاب والتخاطب، 157، 158

[2]: نفسه، ص159.

من الأدلة المساعدة على تحقيق الفائدة. ومن هنا تبرز العلاقة الوطيدة بين التقديم والتأخير فالمقدم يقدم لرغبة المخاطب في الإعلام عنه إذ ليس من المعقول أن نخبر عن متأخر، وقد لاحظنا أنّ وظيفة العناصر اللغوية قد تتغير بالنظر إلى الإعلامية فالمبتدأ صار مخبرا عن الخبر في الخطاب في حين أنه من الناحية النحوية الخبر هو حامل الفائدة.

إنها لنظرة جديدة وفريدة امتاز بها الفكر النحوي استطاع الحاج صالح أن يصوغها في قالب رياضي واضح ينم عن عمق النظرية اللسانية العربية.

وسنورد فيما يأتي نماذج تبين تعامل سيبويه مع ظاهرة التقديم والتأخير في ظل فكرة الإعلامية.

1-النموذج الأول:

يقول سيبويه: "فإن قدمت المفعول،وأخرت الفاعل، جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضَرَبَ زيدًا عبدُ الله؛ ولأنّك إنّما أردت به مُؤخرا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأوّل منه وإن كان مؤخرا في اللفظ. فمن ثمّ كان حد اللفظ فيه أن يكون فيه مقدما وهو عربي جيد كثير، كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهو ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[1].

فالذي دفع المتكلم إلى تقديم المفعول وحقه التأخير، الاهتمام به من طرف المتلقي والذي أملى على المخاطِب كذلك الاهتمام به وتقديمه.

[1]: الكتاب، 34/1.

2-النموذج الثاني: يقول سيبويه:"فإن ألغيت قلت: عبدُ الله أظنُ ذاهبٌ، وهذا إخال أخوك وفيها أرى أبوك، وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى وكل عربي جيّد...وإنّما كان التأخير أقوى؛ لأنه إنما يجيء بالشك بعد ما يمضي كلامه على اليقين، أو بعد ما يبتدئ وهو يريد اليقين ثم يدركه الشك...[1]

فالغرض هاهنا من التقديم ليس التخصيص بالعناية، ولكن المتكلم أثناء كلامه تحول يقينه إلى شك مما جعله يغير ترتيب الألفاظ، ومرد تحويله وتأخيره لما حقه التقديم أن المتكلم خشي أن يكون الشك الذي ساوره قد ساور المخاطَب كذلك؛ مما حمله على تقديم ما حقه التأخير حتى يفيده لأن الغاية من الكلام أو الخطاب إنما هو الإفادة والتبليغ.

اللبس والإبهام وعلاقتهما بالإعلامية:

1-اللبس:

لظاهرة أمن اللبس في النحو العربي خصوصا أهمية كبيرة ذلك أنها لقيت عناية كبيرة من طرف النحويين قديما وحديثا. فمن بوادر الاعتناء بها أننا نجد إمام النحاة سيبويه يرددها كثيرا في الكتاب بل وردّ العديد من العبارات والتراكيب خشية الالتباس.

وقد ردّ ابن جني العلل إلى الاستخفاف وأمن اللبس، ويسميه الفرق[2]، وحتى في الدرس الحديث نجد لها حضورا وعناية من الباحثين.

---

[1]: نفسه،119/1.

[2]: ينظر: الخصائص، 1/ 145.

اللبس في اللغة:

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: "اللام والباء والسين أصل صحيح واحد يدل على مخالطة ومداخلة، من ذلك لبست الثوب ألبسه وهو الأصل ومنه تتفرع الفروع، واللبس اختلاط الأمر؛ يقال: لبست عليه الأمر ألبسه بكسرها قال تعالى:﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[1]، وفي الأمر لبسة، أي ليس بواضح، واللبس اختلاط الظلام ويقال: لابست الأمر ألابسه ومن الباب: اللباس، وهي امرأة الرجل؛ والزوج لباسها...[2].

وفي الأمر لبس بالضم ولبسة أيضا أي إشكال والتبس الأمر أشكل ولابسته بمعنى خالطته[3].

من هذا نخلص إلى أن اللبس في اللغة يدل على الإشكال والغموض الناتج عن الاختلاط.

اللبس اصطلاحا:

على أننا لا نعثر على تعريف دقيق واضح للبس عند النحاة المتقدمين.

أما في اصطلاح أرباب الدراسات اللغوية الحديثة فيعرفه تمام حسان بأنه تعدد احتمالات المعنى دون مرجح[4].

---

[1]: سورة الأنعام، الآية: 09

[2]: مقاييس اللغة، 230/5.

[3]: المصباح المنير، 2/ 548.

[4]: تمام حسان اجتهادات لغوية ص185 .

ومرد اللبس أو سببه– كما ذكر سابقا– إنّما هو عدم التوازي أو التناسب بين المعاني والمباني، فالمعاني لا حصر لها في حين المباني محصورة[1].

فإذا قلت مثلا لمتلق مثلا: زار مصطفى عيسى. التبس الأمر أي الرجلين ضرب عيسى أو على من وقع الضرب.

ويعرف كذلك بأنه يدل على الغموض الحاصل من تواجد لفظ يحتمل عدة معان، أو تركيب أو جملة يؤدي تموضع عناصرها إلى نعدد المعنى واختلافه ومن ثم غموضه[2].

وإذا كان اللبس هو ذلك التداخل والغموض الذي يعتري المعاني سواء أكان ناتجا عن غموض كلمة أو تركيب؛فإن أمن اللبس هو تفادي اللبس أو انتحاء السبل التي تؤدي الخطاب بحيث يتحصل المخاطب على علم من الكلام. وبالتالي يتضح أن أمن اللبس انطلاقه من المتكلم ومنتهاه عند المخاطب.

وإذا ألقينا نظرة على أمن اللبس عند سيبويه ألفينا الرجل وكعادته لا يعرف المصطلح تعريفا لغويا ولا يذكر له حدودا وإنما يمارسه ممارسة فعلية في تخريجه لبعض القضايا اللغوية. فالرجل ولأنه انطلق في تحليله للكلام العربي من الاستعمال يبين دائما ضرورة تفادي التباس المعنى على المتلقي باعتبار الغاية الأولى للكلام أو الخطاب إنما هي إفادة المتلقي بمعلومات ما بتعدد موقفه إزاءها.

---

[1]: ينظر نفسه.

[2]: ينظر: العربية والغموض، دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 2013.

يتبادر هنا إلى أذهاننا أن الخطاب إن شابه التباس أو لبس تجلت الإعلامية في أعلى درجة لها، وهي إعلامية من الدرجة الثالثة. فالمتلقي سيقف موقف الجهل إزاء الخطاب الذي تلقاه. لكن إن كان هذا اللبس سيفقد الخطاب جوهره ويعطل وظيفته وهي الإعلام والإخبار يجب اللجوء إلى أساليب لأمن اللبس وهذا ما نص عليه النحاة الأوائل على رأسهم سيبويه. وإذا تتبعنا معناه عنده فإننا نجده كما قال حلمي خليل يدل على الغموض الناشئ عن وجود لفظ يحتمل أكثر من معنى أو تركيب يؤدي إلى تعدد المعنى وغموضه[1]

فهذا الغموض الناتج عن احتمال معاني متعددة يعرقل عملية التواصل ويجعل من الإفادة أمرا صعبا ويمكن أن ندرجه ضمن ما يسمى بعناصر التشويش يعني الأمور التي تشوش عملية التواصل كما يمكن أن ندرجه من ناحية أخرى ضمن آليات رفع الكفاءة الإعلامية.

وقد تردد مصطلح اللبس بشتى المشتقات اثنين وثلاثين ومائة مرة في الكتاب على التوزيع الآتي:التباس43مرة. يلتبس39.التبس 18مرة. تلتبس 9 مرات، ملتبس 12مرة. لبس7مرات. تلبس مرة واحدة.

والاهتمام بالالتباس لم يكن حكرا على سيبويه فحسب بل قد اعتنى به جل النحويين بما فيهم المبرد فها هو يقر بضرورة اجتناب اللبس في النسب إلى المضاف من الأسماء فيقول: "وقد تشتق العرب من الاسمين اسما واحدا لاجتناب اللبس؛ وذلك لكثرة ما يقع (عبد)

[1]: العربية والغموض، حلمي خليل، ص88.

في أسمائهم مضافا فيقولون في النسب إلى عبد القيس : عبقسي، وإلى عبد الدّار عبدري وإلى عبد شمس عبشمي"[1].

فلو تعمقنا أكثر في قول المبرد لوجدنا أن الرجل إنما يقر بضرورة اجتناب اللبس في النسب إلى الاسم المضاف وذلك لكثرة ورود لفظ عبد في أسماء العرب.

وقد ذهب سيبويه إلى أبعد من ذلك أين جعل البس من الأمور التي من شأنها أن تؤدي إلى مخالفة القياس، فمخافة الالتباس يفرض عدم قلب الواو والياء ألفا والقياس قلبهما لانفتاح ما قبلهما ولتحركهما. يقول سيبويه في هذا الشأن : وإذا كان قبلها أو قبل الياء فتحة قلبت ألفا ثم لم يدخلها تغير في موضع من المواضع فإنما قمحدوة بمنزلة ما ذكرت لك من الفعل.

وإذا كان قبلها أوقبل الياء فتحة في الفعل أو غيره لزمها الألف وأن لا تغير.

وإنما النفيان والغثيان فإنما دعاهم إلى التحريك أن بعدها ساكنا، فحركوا كما حركوا رميا وغزوا وكرهوا الحذف مخافة الالتباس، فيصير كأنه فعال من بنات الياء والواو. ومثل الغثيان والنفيان: النزوان والكروان[2].

إذن هذا القول دليل واضح على أن بناء القاعدة في النحو العربي كان يخضع لضرورة واعتبار حدوث العلم عند المخاطب، فكثير من التراكيب ردت فقط من أجل عدم

[1]: المقتضب، المبرد العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، تحقيق عبد الخالق عظيمة. عالم الكتب بيروت لبنان 1996م3/142.

[2]: الكتاب 4/ 388.

مراعاتها للمخاطب وما سيجنيه فاللبس يعني عدم وصول المعنى عند المخاطب وبالتالي لا معلومات سيتحصل عنها من الخطاب وهذا يدل من ناحية أخرى أن النحاة كأنما اتفقوا على ممارسة الإعلامية ممارسة تطبيقية فهم وإن لم يصرحوا بالمصطلح كمفهوم واضح نجده موجودا في أذهانهم في كل المسائل اللغوية فهم يعيرون المخاطب عناية كبيرة ويهدفون دوما إلى ضرورة تحصيل هذا الأخير وحصوله على قدر من المعلومات.

كما جعل سيبويه ضرورة لحاق الكاف برويدك من بوادر توخي اللبس في الكلام فيقول: "واعلم أن رويدا تلحقها الكاف وهي في موضع افعل، وذلك قولك:رويدك زيدا، ورويدكم زيدا، وهذه الكاف التي لحقت رويدا إنما لحقت لتبين المخاطَب المخصوص لأن رويد تقع للواحد والجميع والذكر والأنثى فإنما أدخل الكاف حين خاف التباس من يعني بمن لا يعني وإنما حذفها بالأول استغناء بعلم المخاطب أنه لا يعني غيره، فلحاق الكاف كقولك يا فلان للرجل حتى يقبل عليك"[1].

إذن يجعل سيبويه رويدك في موضع افعل، ذلك أنها اسم فعل أمر، والفارق بينهما زيادة الكاف في رويد وإنما زيدت لتبين المخصوص بالحديث؛ ذلك أن رويدا يشوبه العموم فهي تستعمل للواحد والجميع كما تستعمل للذكر والأنثى.

لهذا يتعين على المخاطب استعمال الضمير وإضافته لرويد حتى لا يلتبس الأمر على المخاطب ويفهم المعني بالخطاب. وقد يستغنى عنها إذا كان المخاطب يعلم بأن الخطاب

[1]: الكتاب 1/ 244.

موجه له. ويجعل سيبويه لحاق الكاف برويد كمثل النداء يا فلان للرجل يعني باسمه حتى يقبل. وبالتالي ضرورة لحاق الكاف برويد للفت انتباه المعني بالخطاب وجعله يقبل عليك.

إذن أسفر بنا البحث في غمار أمن اللبس وعلاقته بالإعلامية إلى أن اللبس من الأمور التي تعرقل وقد تحد من حصول الفائدة من الخطاب، لهذا اضطر النحاة في كثير من المواضع إلى مخالفة القياس من أجل أمن اللبس وهنا يتضح أن هناك علاقة متينة بين اللبس والإعلامية، وهي علاقة عكسية؛ فأين كان اللبس انعدمت الإعلامية، لهذا رفض النحاة وعلى رأسهم سيبويه العديد من الأساليب لاجتناب اللبس.

النموذج الأول:

يقول سيبويه: "ولا يبدأ بما يكون فيه اللبس وهو النكرة ألا ترى أنك لو قلت: كان إنسان حليما أو كان رجل منطلقا، كنت تلبس، لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا إنسان هكذا، فكرهوا أن يبدؤوا بما فيه اللبس ويجعلوا المعرفة خبرا لما يكون فيه هذا اللبس"[1]...

فسبب الامتناع عن الابتداء بالنكرة أمن اللبس، فمرد قولك كان رجل منطلقا فيه لبس فالمتلقي لا يحصل على فائدة ذلك أنه لا يعلم أي الرجال هو على حالة الانطلاق.

النموذج الثاني:

يقول سيبويه: "وقد تقول: كان زيد الطويل منطلقا، إذا خفت التباس الزيدين"[2].

[1]: الكتاب، 1/ 48.

[2]:نفسه.

إذن يفسر سيبويه قول المتكلم أو تخصيصه لزيد ونعته بالطول، لأنه يتصور أن يكون المخاطب والمخاطب يعرفان زيدين، فخاف المخبر أن يلتبس على السامع أي الزيدين الذي انطلق فنعته بالطول ليعلم المخاطَب ولا يلتبس عليه الأمر.

النموذج الثالث:

يقول سيبويه : "وإنما تركوا الألف في من ومتى وهل ونحوهن، حيث أمنوا الالتباس، ألا ترى أنك تدخلها على من إذا تمت بصلتها، كقول الله عز وجل: ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[1]

فسبب ترك الألف في استفهامهم في من ومتى وهل مرده أنهم أمنوا الالتباس فمن تأتي بمعنى الشرط كما تأتي بمعنى الظرفية وما يدل على أنها للاستفهام هو السياق. فإذا أمن المتكلم أن المخاطب سيدرك من خلال السياق أو نبرة الصوت في طرح السؤال استخدمها دون ألف.

النموذج الرابع:

ومن القضايا التي عالجها سيبويه ضمن أمن اللبس، ما يقوله في حديثه عن رويدك: "واعلم أن رويدا تلحقها الكاف وهي في موضع افعل، وذلك قولك: رويدك زيدا، ورويدكم زيدا، وهذه الكاف التي لحقت رويدا إنما لحقت لتبين المخاطب المخصوص، فرويد

[1]: سورة فصلت، الآية: 40

تقع للواحد والجميع والذكر والمؤنث، فإنما أدخل الكاف حين خاف التباس من يعني بمن لا يعني إنما حذفها في الأول استغناء بعام المخاطب أنه لا يعني غيره..."[1].

يوجب سيبويه لحاق الكاف برويدا لتبيين المخاطب المخصوص بالكلام، فسيبويه يتخيل مجموعة من الأفراد يتخاطبون فيما بينهم وقد يكون منهم الذكر والأنثى، مما يملي على المخاطب أن يلحق الكاف برويدك حتى لا يلتبس الأمر على المخاطبين، أما استغناؤه عنها فسببه أن المخاطب يعلم أنه هو المعني بالخطاب وذاك في رأينا إذا كانا بمفرديهما.

الإبهام وعلاقته بالإعلامية:

الإبهام لغة:

يأتي الإبهام في اللغة بمعنى الاستعجام واستغلاق المعنى، جاء في المصباح المنير:و(استبهم) الخبر. استغلق واستعجم بمعنى، و(أبهمته) (إبهاما) إذا لم تبينه...[2].

والمبهم كذلك ما يصعب على الحاسة إدراكه إن كان محسوسا، وعلى الفهم إن كان معقولا[3].

بناء على ما تم ذكره سابقا نستنتج أن الإبهام عموما يدل على عدم البيان وصعوبة الفهم والإدراك.

[1]: الكتاب، 244/1.

[2]: المصباح المنير، القيومي، ص64.

[3]: المعجم الوسيط،

الإبهام اصطلاحا:

وبنقل المصطلح من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي نجد أن هذا الأخير يكتسب دلالات جديدة حسب الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه، فالإبهام في البلاغة ليس هو الإبهام في النحو، ذلك أنه يعرف بأنه: احتمال اللفظ لمعنيين متضادين غير متمايزين، وعلى هذا ينظر للإبهام عندهم أنه مقصود من طرف المتكلم[1].

أما عن الإبهام عند النحويين نعني المتقدمين هنا فلن نجد له تعريفا نظريا، إلا أن الكتاب حوى هذا المصطلح بمختلف مشتقاته في الكثير من المواضع معالجا ضمن قضايا لغوية مختلفة.

ويحكم الباحث عبد الله الأشولي على نظرة النحويين القدامى والمتأخرين للإبهام على أنها كانت مختلفة ومتباينة مقتصرة على ذكر المبهمات كأسماء الإشارة والموصولة وما يندرج ضمنها.

في حين اقتصرت نظرة المحدثين والمعاصرين على عدم وضوح الدلالة للشيوع، ويرى الباحث أنه يجب تلافي هذا القصور لأن هناك إبهاما ناتجا عن قصد المتكلم إخفاء الأمر عن السامعين، كما هناك إبهام تركيبي لا يقتصر على الحال والتمييز فقط كما قال

[1]: ينظر، تحرير التحبير، 59ص5.

بذلك صاحب العربية والغموض. بل يرد كذلك في أسلوب المدح والذم والمبدل من الجملة، وفي إسناد الصفة المشبهة[1].

وبعد استقراء الباحث لمفهوم الإبهام في الدرس النحوي، عرفه بالطريقة الآتية:" هو الخفاء وعدم وضوح الدلالة الناشئان من احتمال الكلمة المفردة أو التركيب دلالتين أو أكثر، ولا يتبادر إلى الذهن منهما أو منها شيء بسبب الشيوع ونقصان الدلالة، أو قصد المتكلم إخفاء الأمر عن المتلقي"[2].

إذن لعل من أهم أسباب وقوع الإبهام في النحو العربي، إنما هو قصد المتكلم الإخفاء عن السامع أو المتلقي.

ومن هنا نستنتج أن الإبهام في النحو العربي يعتبر آلية من آليات رفع الكفاءة الإعلامية، فالمتكلم قد يروم إلى إخفاء بعض الأمور عن المتلقي قصد مباغتته وجعله يقبل على الخطاب، مما يجعل المتلقي يقبل على الخطاب بكل جوارحه من أجل فهم المقصود.

فالمتكلم يسعى إلى الإبهام من أجل أن يبعث في نفوس المتلقين احتمالات من دون أن يوقعهم في التشكيك[3].

وسماه النحاة بالإبهام على السامع.

---

[1]:الإبهام في الدرس النحوي، محمد أحمد عبد الله الأشولي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، تخصص النحو والصرف، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 1431هـ، 2010م، ص7-8.

[2]: نفسه، ص20.

[3]: ينظر: شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني، بهاء الدين السبكي، ابن يعقوب المغربي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1/ 384. 385.

ويشير الحاج صالح أن المقصود من الإبهام عند النحاة ليس الغموض، بل عدم التعيين[1].

ويحتاج المخاطب أثناء التخاطب إلى استعمال المبهم معرفا وغير معرف حتى يصير غير مبهم بالاعتماد على ملابسات الحديث[2].

فلولا اعتماد المتلقي على ملابسات الحديث من علم المخاطب وما جرى عليه الذكر والحال المشاهدة لما جرت المخاطبة على ما يرام[3].

ويقع الإبهام في الاسم والفعل والحرف وكما سبق وأقررنا فإن المخاطِب يعمد إلى الإبهام من أجل إخفاء شيء ما عن المتلقي، لكن يعلم في قرارة نفسه أن ذاك الأخير ستتوارد جملة من الاحتمالات في ذهنه قد تكون إحدى هذه الاحتمالات موافقة لما يجول في خاطر المخاطِب.

وحتى تتضح العلاقة فعلا بين الإعلامية والإبهام سنورد جملة من النماذج التي عالجها سيبويه ضمن ما يسمى بالإبهام.

ومن النماذج التي يمكن أن نسوقها هنا للتدليل على دوره- نقصد الإبهام- في رفع إعلامية الخطاب:

[1]: الخطاب والتخاطب ص77.

[2]: ينظر: نفسه، ص93.

[3]: ينظر: نفسه، ص 94.

ما يقول سيبويه:"...واعلم أنه لا يجوز أن تقول: زيدٌ، وأنت تريد أن تقول: لِيُضربْ زيدٌ، أو لِيَضربْ زيدٌ إذا كان فاعلا، ...ولا يجوز: زيدٌ عمرا، إذا كنت لا تُخاطِبُ زيدًا، إذا أردت لِيَضْربْ زيدٌ عمرًا وأنت تخاطبني، فإنما تريد أن أبلغه عنك أنك قد أمرته أن يَضرِبَ عمرًا، وزيدٌ وعمرو غائبان، فلا يكون أن تضمر فعل الغائب. وكذلك لا يجو زيدا، وأنت تريد أن أبلغه أنا عنك أن يضرب زيدا، لأنك إذا أضمرت (فعل) الغائب ظن السامع (الشاهد إذا قلت: زيدا) أنك تأمره هو بزيد، فكرهوا الالتباس هنا ككراهيتهم فيما لم يؤخذ من الفعل نحو قولك: عليك، أن يقولوا عليه زيدا، لئلّا يشبَّه ما لم يؤخذ من أمثلة الفعل بالفعل. وكرهوا هذا في الالتباس وضعف حيث لم يخاطب المأمور، كما كره وضعف أن يشبه " عليك" و"رويد" بالفعل[1].

الاتساع:

هو من القضايا التي تظهر في الخطاب والتي نجدها في الكتاب ظاهرة الاتساع أو سعة الكلام، والمعنى البديهي الذي يتسرب إلى أذهاننا نحو مفهوم هذا الأخير أنه التكثير في الكلام.

[1]: الكتاب، 1/254-255.

وبالبحث على مادة وسع في معاجم اللغة نجدها تدل على التوسع الذي هي ضد الضيق والعسر قال ابن فارس الواو والسين والعين كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر...[1].

التوسع اصطلاحا:

لم يضع النحاة الأوائل وعلى رأسهم سيبويه مفهوما نظريا لمصطلح التوسعن ولم يوضحوه ببسط نظري، إلا أننا نجد له إشارات متناثرة في بطن الكتاب بأجزائه اللغوية أحيانا فيقول سيبويه هذا الكلام توسعًا أو يحكم على الكلام بأنه جاء على السعة؛ ذلك أن قد أفرد بابا بعنوان: " باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاقتصار"، فيقول فيه: فمن ذلك أن تقول على قول السائل: كَمْ صِيدَ عليه؟ وكم غيرُ ظَرْفٍ لما ذكرت لك من الاتّساع والإيجاز، فتقول: صِيدَ عليه يومانِ. وإنما المعنى صِيدَ عليه الوحشُ في يومين، ولكنه اتّسع واختصر..."[2].

وفي الأشباه والنظائر باب سماه صاحب الكتاب بالاتساع[3]

وقد عرفه العلوي بأنه: تعميم معنى الكلمة وذلك بنقله من معنى خاص إلى معنى أوسع، وأشمل ويحدث هذا بإسقاط بعض الملامح الدلالية للكلمة[4].

---

[1]: مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، ص 6.

[2]: الكتاب، 211/1.

[3]: الأشباه والنظائر، 29/1.

[4]: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي يحيى بن حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982، ج1، ص63، 64.

والأجدر بنا أن نقدم تعريفا نحويا وهذا ما يمكن أن نستشفه من حديث ابن جني الذي يقول متحدثا عن الاتساع : أما الاتساع فلأنه زاد في أسماء الفرس التي هي فرس وطرف وجواد ونحوها البحر ، حتى إنه إن احتيج إليه في شعر أو سجع أو اتساع استعمل استعمال بقية تلك الأسماء...[1].

ولعلنا نفهم من هذا القول أن المقصود من الاتساع هو كثرة الكلمات التي تدل على المعنى الواحد أو ما يسمى حديثا بالترادف.

ويعرف الاتساع في الدرس اللغوي الحديث بأنه الإتيان بالعبارة التي تحتمل أكثر من معنى، وهذه المعاني مطلوبة بهدف الاقتصاد في الجهد والإفراط في المعنى[2]

ويأتي التوسع على أوجه عديدة منها الترادف والاشتراك اللفظي، الحذف والإضمار والاختصار... والكتاب فيه القدر الكير من رصد لهذا الأخير في التخاطب، والذي يظهر لنا أن الاتساع أو سعة الكلام من الآليات التي يستعين بها المخاطِب من أجل لفت انتباه المخاطب وجعله مهتما مقبلا على الخطاب، كما أنه من الآليات التي تعبر عن استقلالية المخاطب وقدرته على التبليغ وإعلام المخاطب.

[1]: الخصائص، ابن جني، 2/ 444.

[2]: ينظر: الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائي، دار ابن حزم، لبنان، ط1، بيروت، 2000، ص163.

والاتساع عند سيبويه هو التصرف في العبارة بتغيير المعنى النحوي لبعض الكلمات بحذف أو دون حذف بغية الإيجاز والاختصار اعتمادا على أن المعنى الأصلي للعبارة مفهوم عند المخاطب، ولا يحدث هذا التغيير النحوي إشكالا لديه[1].

فالذي نجنيه من هذا التعريف أمران، أولهما أن الاتساع متعلق بتغيير نحوي أما الأمر الثاني هو مدى مركزية المخاطَب في ظاهرة الاتساع إذ لا يتم اللجوء إليه ما لم يتبين المتكلم أن المخاطب سيتحصل على الفائدة من الخطاب.

إذن وإن كان الاتساع آلية من آليات رفع الإعلامية في الدرس الحديث فإنه عند النحاة العرب لا يجوز إلا إذا تيقن المخاطب من حصول الفائدة لدى الخطاب. والاتساع بما أنه تغيير للأصل فلا يظهر إلا في الاستعمال[2]

وفيما يأتي سنذكر نماذج تدل على إعلامية الاتساع عد سيبويه:

النموذج الأول:

يقول سيبويه في حديثه عن قول العرب: "الليلة الهلال: كما تقول في سعة الكلام: الليلة الهلال، وإنما الهلال بعض الليلة، وإنما أراد الليلة ليلة الهلال، لكنه اتسع وأوجز"[3].

[1]: مفهوم الاتساع وضوابطه في علم النحو، بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن، الألوكة، مكة المكرمة، 1415، ص21.

[2]: الخطاب والتخاطب، ص119.

[3]: الكتاب,1/ 216.

فإنما جاء الكلام هنا على الاتساع والمقصود من عبارة الليلة الهلال، أن المخاطِب أراد أن يعلم المخاطَب أن هذه الليلة ليلة الهلال، وإنما ذكر له ذلك لأنه علم أن المخاطَب يعلم مقصوده فقال ذلك من باب الإيجاز أو الاختصار. وهو توسع في المعنى اقتصاد في اللفظ.

النموذج الثاني:

وهو ما جاء على لسان سيبويه عند حديثه عن المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل: "واعلم أن هذه الأفعال إذا انتهت إلى ما ذكرت لك من المفعولين فلم يكن بعد ذلك متعدى، تعدت إلى جميع ما يتعدى إليه الفعل الذي لا يتعدى الفاعل، وذلك قولك: أعطى عبد الله زيدا المال إعطاء جميلا، وسرقت عبد الله الثوب الليلة، لا تجعله ظرفا، ولكن كما تقول: يا سارق الليلة زيدا الثوب، لم تجعلها ظرفا.

وتقول: أعلمت هذا زيدا قائما العلم اليقين إعلاما، وأدخل الله عمرا المدخل الكريم إدخالا؛ لأنها لما انتهت صارت بمنزلة مالا يتعدى"[1].

ويرى الرماني أن الجائز في إعمال اسم الفاعل على وجه الاتساع، نصبه على الظرفية كما في قولك: يا سارق الليلة أهل الدار.

[1]: الكتاب، 41/1

كما يجوز قولك: يا سارقًا الليلةَ أهلَ الدارِ، على أنه مفعول بهن وكلاهما اتساع فمرد الوجه الأول أنه أضيف إلى مسروق، على أن الحقيقة تنفي أن تكون الليلة مسروقة، ومرد الوجه الثاني إعمالك إياه فيه...[1].

ومما اندرج عند سيبويه ضمن الاتساع كذلك ما يسمى في علم البيان بالكناية والمجاز العقلي والمرسل والتشبيه. ومن ذلك قوله– سيبويه–: " ومثله في الاتساع ، قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ الّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(البقرة: 180)، فلم يشبهوا بما ينعق ، وإنما شبهوا بالمنعوق به ؛ وإنما المعنى مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى[2].

وإننا لن نجسر على تتبع كل مواطن الاتساع وإنما حسبنا من هذه النصوص إبانة على دور هذا الأخير باعتباره آلية يستخدمها المخاطِب من أجل عدم الإفصاح التام عن مقصوده لغاية ما وهو بالتالي رفع لاحتمالية التوقعات لدى المتلقي ففي آخر نموذج ذكرناه جرى الذكر بضرب من ضروب الاتساع اعتماداً على علم المخاطب ولولا وجود قرينة تهيئ للمخاطَب فهم الخطاب لما اعتمد المتكلم عليه أمنا من اللبس.

[1]: ينظر: شرح كتاب سيبويه للرماني، 431/2.

[2]: الكتاب،212/1.

آليات خفض الإعلامية عند سيبويه:

بعد استقرائنا لكتاب سيبويه يمكن أن نحصر آليات خفض الإعلامية، القرائن المساعدة على فهم الخطاب عنده وهي: ما ذكرها كذلك الحاج صالح على أنها[1]:

1-ما يرى المخاطب من الحال أو الحال المشاهدة.

2_ ما جرى من الذكر.

3-علم المخاطب السابق.

فالحال المشاهدة في نظرنا هي كل ما يرصده المخاطَب والمخاطِب أثناء التخاطب وتشمل فعل الرؤية والسماع والشم واللمس...، وقد ركز كثيرا سيبويه عليها في استيعاب الخطاب من قبل المخاطَب وتحصيله للفائدة بموجبها، ويدل على هذا مثلا ما قاله سيبويه أثناء حديثه عن أدوات النداء وهي الحروف التي يتم تنبيه المخاطب بها من قبل المتكلم فإذا كان هذا الأخير بعيدا ورأى المتكلم منه إعراضا وبعدا مدّ صوته في المناداة فاستخدم الحروف التي فيها إطالة وهي أيا وهيا وأي ويا، في حين تستخدم الهمزة للقريب، وإذا كانت تلك الأربعة السابقة تستخدم كذلك للقريب فإن الهمزة لا تستخدم إلا للقريب[2].

[1]: الخطاب والتخاطب، ص55

[2]: ينظر: الكتاب، 229,230/3.

ويجوز سيبويه النصب في قولهم: "زيدا وعمرا ورأسه" اعتمادا على الحال المشاهدة، فيقول: وذلك أنك رأيت رجلا يضرب أو يشتم أو يقتل فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت: زيدا أي، أوقع عملك بزيد... [1].

فقولك: زيدا، قد أفاد؛ أي هذه اللفظة فيها فائدة وإن لم تشمل الجملة على غير هذه اللفظة، إلا أنّ الحال المشاهدة أغنت عن الإخبار عنها. حيث أن المخاطَب قد شاركك ما حدث، ذلك أن ما رأيته أنت قد رآه هو كذلك.

2-أما ما جرى من الذكر أو ما سيجري فهي تلك العبارات أو الألفاظ التي ستفسر ما شابه الغموض أو الإبهام في الخطاب ، وهو كذلك كل كلام متقدم أو متأخر يقوم على تحقيق الفهم عند المخاطب[2].

وأما عن توظيف سيبويه لما جرى من الذكر فيحدث كثيرا في مقام جواب الشرط والقسم، فإنما يأتي الجواب على افتراض وجود شرط تم ذكره سابقا، وما يدل أكثر على استعانة سيبويه بما جرى من الذكر فتعليله لإضمار الفعل في التحذير والأمر حيث يقول: "وإنما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثنوا لكثرتها في كلامهم واستغناء بما يرون من الحال، وبما جرى من الذكر وصار المفعول الأول بدلا من اللفظ بالفعل"[3].

[1]: الكتاب 1/ 253.

[2]: ينظر الخطاب والتخاطب، ص56.

[3]: الكتاب، 275/1.

فمن الأمثلة التي وجهها سيبويه اعتمادا على ما ذكر سابقا قوله: "وكذلك مررت برجلين، رجل صالح ورجل طالح، إن شئت صيرته تفسيرا لنعت، وصار إعادتك الرجل توكيدا. وإن شئت جعلته بدلا ، كأنه جواب لمن قال: بأي رجل مررت؟..."[1]

وأما عن دور ما سيجري من الذكر لتفسير ما قبله فما ساقه سيبويه في حديثه عن قولهم: "أنت الرجل كل الرجل"، إذ يقول: "لأنك إنما أردت بهذا الكلام هذا الرجل المبالغ في الكلام، ولم ترد أن تجعل(كل الرجل) شيئا تعرف به ما قبله وتبينه للمخاطب كقولك (هذا زيد) فإذا خفت أن يكون لم يعرف قلت(الطويل) ولكنك بنيت هذا الكلام على شيء قد أثبت معرفته، ثم أخبرت أنه مستكمل الخصال[2].

وكذلك في حديثه عن سقيا التي يذكر بعدها لك لتبيين المخصوص بالدعاء ، يقول: "وربما تركوه استغناء إذا عرف الداعي أنه قد علم من يعني، وربما جاء به على العلم توكيدا"[3].

وفي نفس سياق حديثه عن لك وحقها من الذكر أو الحذف في قولهم لا يدين بها لك، ولا يدين اليوم لك يقول: وإن أظهرت فحسن، ثم تقول لك، لتبين المنفي عنه...[4].

---

[1]: الكتاب، 431/1

[2]: الكتاب، 12/2

[3]: الكتاب، 312/1.

[4]: الكتاب، 280/2-279.

فمحل الشاهد في النص الأول قولك: "هذا زيد"، فإذا خفت عدم معرفة أي زيد تقصد، قلت: الطويل، فكأن سيبويه يشك في أن المتلقي لما ابتدره المخاطِب: زيد، التبس عليه أي زيد يريد، فقال: الطويل، فهنا تعين لديه المقصود.

ومحل الشاهد في النص الثاني، قوله: ثم تقول لك لتبين المنفي عنه. فلفظة لك بينت أن المخاطب قد نفى اليدين عنك.

وكلا المثالين يبرزان دور ما سيأتي من الذكر في تبيين معنى ما سبقه وبالتالي تحقيق إعلام وفهم لدى المخاطب.

3-علم المخاطب السابق، وينبغي أن نميز بينه وبن علم المخاطب الذي يحصل وقت الخطاب أو من عهد قريب جدا وعلم المخاطب الذي يدخل ضمن التجارب السابقة للمخاطب، ويعرف بأنه كل ما يعلمه المخاطب ويعرفه وبمقتضى تلك المعرفة يتمكن المخاطب من فهم الخطاب وتلك المعرفة لا تشمل فقط الجانب الوضعي للغة بل تشمل كذلك مجمل المعلومات الناتجة عن الاستعمال أو الإعلام بمعناه الواسع[1].

وبالعودة إلى الكتاب نجد أن هذا التركيب الإضافي قد تردد ذكره في الكتاب بشكل كبير وبصورة تكاد تكون مطردة في تفسير العديد من القضايا وبخاصة ظاهرة الاتساع، فمن القضايا التي عالجها سيبويه ضمن علم المخاطب تفسيره للحذف بل واشترط النحاة أن لا يتم الحذف بدون قرائن توحي بالمحذوف، ومن أهم هذه القرائن علم المخاطب، يقول

[1]: ينظر: الخطاب والتخاطب، ص57.

سيبويه : "ومما يقوي ترك نحو هذا لعلم المخاطب ، قوله عز وجلّ: ﴿وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾ (الأحزاب/35) فلم يعمل الآخر فيما عمل فيه الأول استغناء عنه"[1].

نكتفي بهذا التمثيل التوضيحي لتوظيف سيبويه لعام المخاطب في خفض الكفاءة الإعلامية، لأننا سنتعرض له في موضع آخر إن شاء الله.

هذه النصوص التي أوردناها تدل وبوضوح على معرفة النحاة العرب بما فيهم سيبويه باعتبارهم قد أخذوا علمهم ابتداء من سيبويه من خلال الكتاب، لآليات خفض الإعلامية وإن كانت نظرتهم إليها أكثر نفعية ذلك أنهم قد استعملوها في تفسير ما يعرض في الكلام وهذا هو أساس التحليل في نظرنا.

نحو نظرية تداولية في التراث العربي:

سنحاول خلال هذه المحطة أن نبرز البعد التداولي في الدرس النحوي، فقد تعالت أصوات عدة باحثين تنتصر للتراث وتبرز سبقه في النظر التداولي، ولا غرو أن نقول أن التراث العربي عموما يشمل شذرات يمكن إدراجها في التداوليات، لكن لنا أن ننبه هنا على نقطة مهمة تتمثل في اختلاف النظرة التي انفرد بها النحاة الأوائل فيما يخص التداولية.

[1]: الكتاب 74/1.

وأهم ما نرصده من حيث الاختلافات هو إجرائية التداول العربي، بمعنى أن النحاة الأوائل في معالجتهم للظواهر اللغوية انطلقوا من الواقع أو من الاستعمال في حين الغرب تدرجوا من البنوية إلى الوظيفية فالتحويلية فالتداولية.

هذا من جهة ومن جهة أخرى لكل لغة أدواتها الخاصة ولكل عالم مفاهيمه ومصطلحاته ومنهجه الخاص.

فالنحاة العرب لم يكن تعاملهم مع القضايا اللغوية بمنأى عن التصور التداولي للغة، وأصوله وتجلياته في تطبيقاتهم النحوية المختلفة، سواء أكانت نصوصا أو تراكيب في بناء الخطابات وإظهار معانيها الوظيفية ومقاصدها وأغراضها، وذلك برصد ما طرأ عليها من تغيرات من مقام لآخر، وقد برزت هذه النظرة كثيرا من خلال موضوعي الخبر والإنشاء[1].

وفيما يلي سنحاول أن نذكر بعضا من المسائل التي أدرجها العلم الحديث في مجال التداولية.

التداولية تهتم باللغة في الاستعمال، لهذا تهتم بالمتكلم والمتلقي والخطاب والظروف المحيطة به، ومن أهم المبادئ التي تقوم عليها:

1_ مبدأ الإفادة:

2-القصدية عند المتكلم.

3_ أنواع المعنى.

[1]: ينظر: مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، صابر الحباش، ص24، 25

4-الاهتمام بكل ما يتصل بالعمل التخاطبي.

5-المؤثرات المعرفية[1].

1-مبدأ الإفادة:

مبدأ الإفادة يقوم على ضرورة أن يعني المخاطب إفادة المتلقي معلومات كان لا يعلمها، وهذا المفهوم قريب إن لم يكن مطابقا تماما لمفهوم الإعلامية.

وقد أبدينا سابقا أن النحاة العرب قد اهتموا بجانب الإفادة في الخطاب حتى اعتبروا الكلام الذي لا فائدة منه لغوا. فابن الدهان يؤكد أن الكلام إنما القصد منه إفادة المخاطب مضمون الجملة[2].

إذا لا يعقل أن لا يستقي المتلقي معلومات تفيده من الخطاب مهما كان مقدارها، كما أنهم عرفوا الكلام على أنه اللفظ المفيد، فحكمهم على ما يتم قوله بأنه كلام أو غير ذلك مبني أساسا على كونه مفيدا أو غير مفيد.

وحديث النحاة عن الفائدة جاء صريحا في أكثر من مسألة، فمن بين هذه المسائل أنهم منعوا الإخبار بالنكرة لأنه لا فائدة منه[3]

[1]: ينظر: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط1، تموز 2005م، ،ص185.

[2]: ينظر:الاستراباذي رضي الدين، شرح الكافية في النحو، تحق: رحاب عكاوي، بيروت، لبنان، دار الفكر العربي، 2000، 203/1.

[3]:الكتاب، 48/1.

فالغرض من الإخبار إنما هو في الأصل إفادة المخاطب ما ليس عنده حتى تستوي معرفتك بمعرفته[1].

إذن تناول العرب للإفادة وحديثهم عنها يؤكد وبصورة واضحة جلية أن النحاة العرب قد انطلقوا في تعاملهم مع قضايا اللغة من الاستعمال.

2-القصدية:

تعتبر القصدية كما ذكرنا فيما سبق من معايير النصية ونقطة انطلاق بين لسانيات النص والتداولية شأنها في ذلك شأن الإعلامية، ويقصد بها أن المتكلم قبل أن يتلفظ ينوي أن يبلغ شيئا ما للمخاطب قد يكون خبرا وقد يكون خاطرة وقد يكون طلبا، وإذا أطلقنا بصرنا في بطون أمهات الكتب النحوية وجدنا أنهم غالبا ما يبنون قواعدهم ويفسرون ما يطرأ على الخطاب في إطار نية ومقصود المتكلم، فها هو سيبويه يستوحي قصد المتكلم من خلال ظاهر خطابه وإن كانت رؤيته تنم عن اختراقه لذهن المخاطب والكشف عن مرماه، فيقول: "ومن الصفة: أنت الرجل، كل الرجل، ومررت بالرجل كل الرجل، فإن قلت هذا عبد الله.

كل الرجل، أو أخوك كل الرجل، فليس في الحسن كالألف واللام، لأنك إنما أردت بهذا الكلام هذا الرجل المبالغ في الكمال"[2].

[1]: ينظر: نفسه، 143/2.

[2]: الكتاب، 12/2.

ويلحق في ذات السياق في موضع آخر: "ومثل ذلك قولك: هذا العالم حق العالم، وهذا العالم كل العالم، إنما أراد أنه مستحق للمبالغة في العلم، فإذا قال هذا جد العالم، فإنما يريد معنى: هذا عالم جدا، أي هذا قد بلغ الغاية في العلم"[1].

إذن يحدد سيبويه من خلال هذا القول مراد القائل، فقول القائل هذا عبد الله كل الرجل، المراد منه المبالغة كمال ذلك الرجل.

كما أن مراده من قوله هذا جد العالم إنما يرى أنه عالم جدا وذلك ما يقصده.

وقد ظهرت العديد من الدراسات العربية حديثا والتي جعلت من التداولية عنوانا لها، أهمها نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر: الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل.

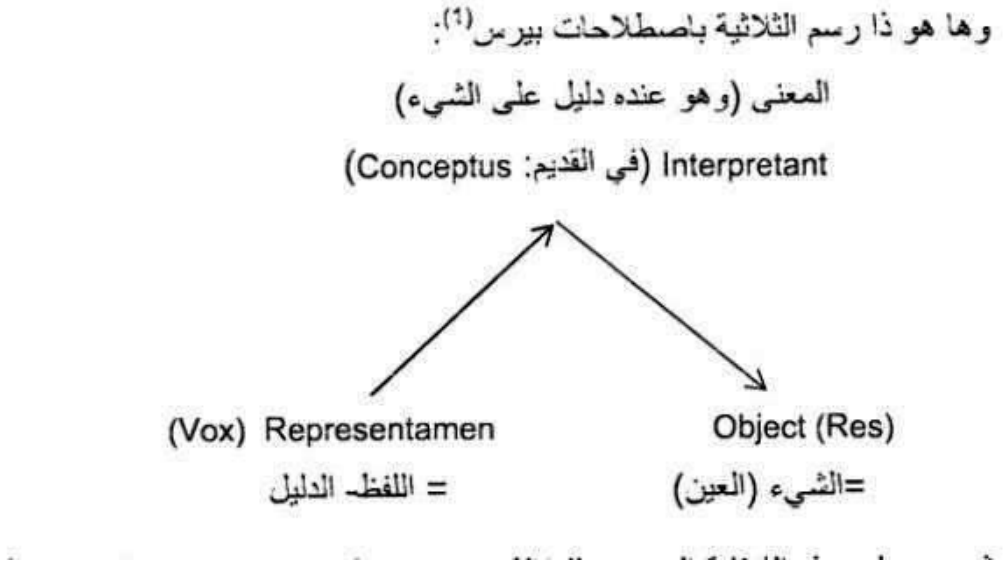
إن نظرة النحاة العرب للاستعمال اللغوي وتبريرهم للقضايا التي تتجلى في الخطاب باعتبار المخاطَب والمخاطِب يعتبر بالفعل في النظر الحديث من أهم ما ينبني عليه التحليل اللغوي للخطاب.

وقد انطلق البحث التداولي عند الغرب مع فلاسفة اللغة تحديدا مع بيرس، وقد انطلق من الثلاثية الدلالية الأرسطية وفق ما يبينه المخطط الآتي[2]:

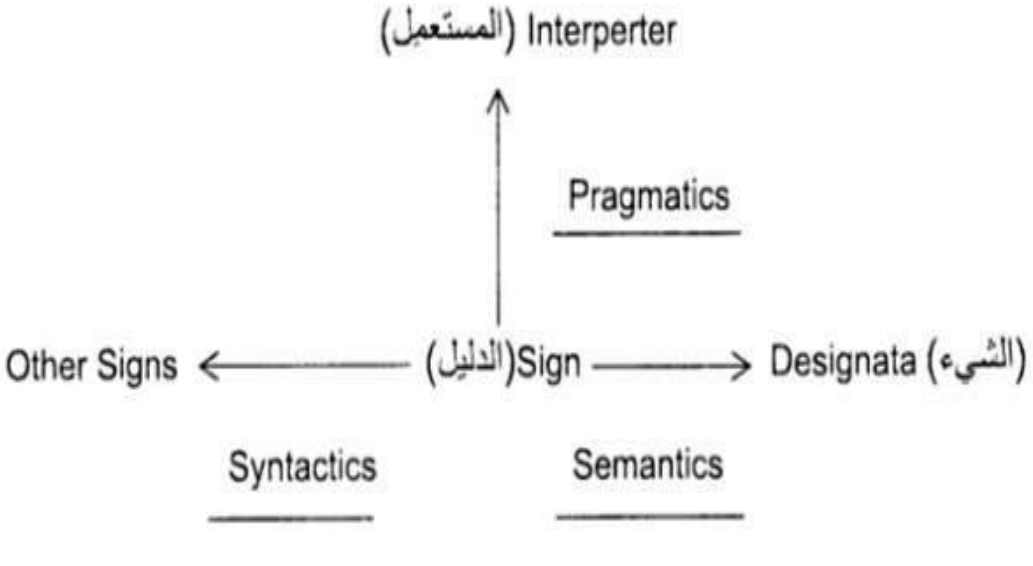
[1]: نفسه، 12/2، 13.

[2]: ينظر: الخطاب والتخاطب، ص211.

وها هو ذا رسم الثلاثية باصطلاحات بيرس[1]:

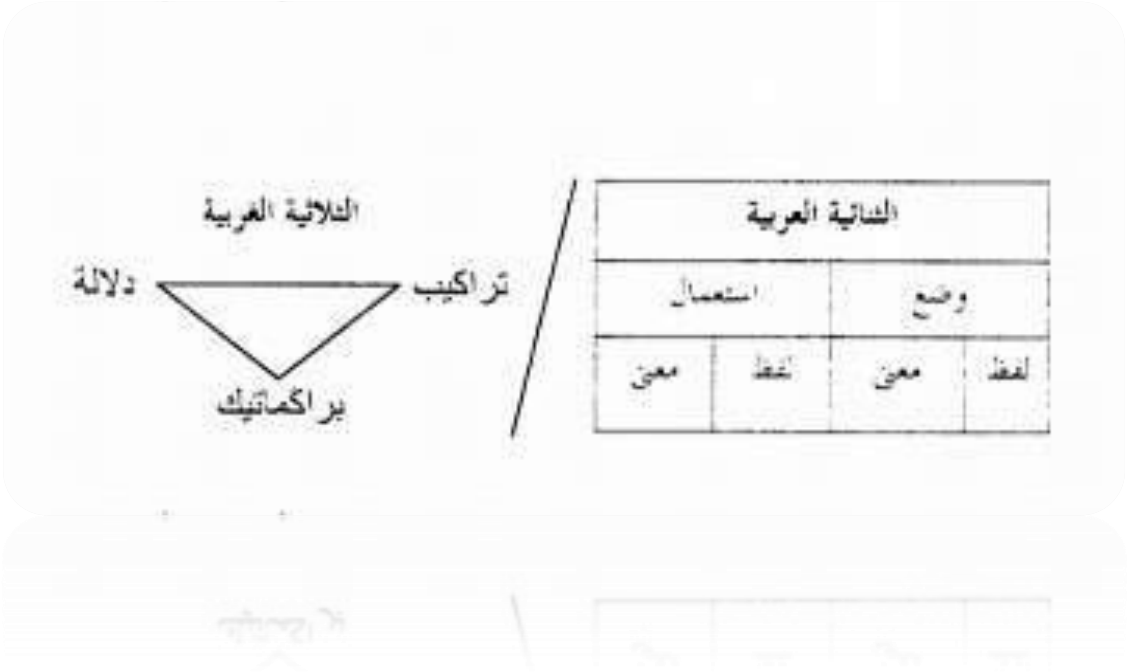


هذا وقد أدرك موريس عدم التناسب بين ما جاء به بيرس وما ورثوه من الثلاثية السيميائية، أي بين الشيء الخارجي والاستعمال مما جعله يحدث عليه عض التغييرات، ليرسمه بالشكل الآتي[1]:



[1]: ينظر: نفسه، 213.

وقد استطاع الحاج صالح أن يبرز وجه الاختلاف بين البراكمتيك كمصطلح ومفهوم غربي وبين الرؤية العربية للخطاب، والتي تتمثل في كون الثلاثية الغربية: تركيب/دلالة/ استعمال يقابلها عد النحاة العرب الأوائل ثنائية اللفظ والمعنى في الوضع والاستعمال، حيث لا يمكن الفصل بين اللفظ والمعنى لا في الوضع ولا في الاستعمال، وهذا الفرق يوضحه المخطط الآتي[1]:



[1]: الخطاب والتخاطب، ص216.

يمكن أن نوضح ونؤكد في نهاية المطاف أن النحاة العرب قد تعاملوا مع اللغة العربية تعاملا فرضته طبيعة اللغة ذاتها مما جعل عملهم–خاصة سيبويه– يتسم بالمصداقية عمل وقف العلماء إجلالا له قديما وحديثا، بمختلف مشاربهم وأصولهم وجنسياتهم، ليس لأنهم سبقوا العلم الحديث، أو لأنه عمل سابق لأوانه فقط بل لأنه عمل غاية في الدقة والموضوعية.

خـاتمة

الخاتمة:

إن اعتماد النظرية الإعلامية وقراءة التراث النحوي بموجبها يفتح نافذة جديدة أمامنا على التراث النحوي ويعرفنا أكثر بخصائصه ومزاياه، فنحاتنا ولو لم تكن دراستهم منظرا لها إلا أنه ومن خلال رصدنا لخطواتهم في هذا المجال وجدنا أنهم كانوا يعرفون الإعلامية وقد تعاملوا معها تطبيقيا فيما يستوجب وجودها.

كما وقد أسفرت هذه الدراسة عن جملة من النتائج والتي نجملها في:

1- التراث النحوي بما يحمله من مصنفات وأعمال يعتبر تراثا ضخما يعكس ذلك الارتقاء العلمي الذي وصل إليه العلماء النحويون العرب، ويبرز براءته مما تم اتهامه به من طرف الدارسين المحدثين ذلك أنه نتاج فترة زمنية محددة في بيئة بعيدة كل البعد عن النحو الأرسطي الذي لم تظهر بوادر التأثر به إلا مع المتأخرين.

2- كتاب سيبويه كتاب جمع فيه صاحبه كل ما له علاقة بالعربية وهو كتاب ضخم ضم بين دفتيه نتائج جهود كبيرة من طرف العلماء الأوائل.

3- تعتبر اللسانيات النصية علما قائما برأسه جعل من النص موضوعا لدراسته بعدما دعت الضرورة الغربيين خصوصا إلى ذلك نتيجة لما أفرزته لسانيات الجملة من عجز في تناولها للقضايا فوق الجملية.

4- أقر دي بوجراند أن النص حتى يكون نصا يجب أن يتوفر على سبعة معايير هي الاتساق والانسجام المقبولية والمقامية والإعلامية والقصدية والتناص.

5- يقصد بالإعلامية كتعريف مبدئي تلك المعلومات التي يتضمنها الخطاب، وتدل على جانب الجدة الذي يتوزع في عناصر النص والتي يفترض أن لا يكون المتلقي متوقعا لها.

6- موقف المتلقي من المعلومات التي يتضمنها الخطاب هو الذي يحدد درجات الإعلامية فإذا كان هذا الأخير عالما بها كانت الإعلامية منخفضة، أما إن كان في موضع الشك نحوها كانت الإعلامية متوسطة، بينما إن كان جاهلا لها هنا تتجلى أعلى درجات الإعلامية.

7- بالبحث في فصول الكتب التراثية نجد أن العلماء العرب من بلاغيين ونحاة وعلماء أصول قد اعتنوا كثيرا بالمخاطب واستعملوا عبارة علم المخاطب كثيرا مما يمكن أن ندرجه ضمن ما يسمى بالإعلامية اليوم، غير أن الفرق بينهما يكمن في كون الأول أعم وأشمل من الإعلامية، كما يمكن أن يلتقي علم المخاطب كثيرا بالنوع الأول من درجات الإعلامية خاصة حينما يعلل النحاة أو البلاغيون بعضا من المسائل اللغوية ضمن علم المخاطب.

8- بالبحث في كتاب سيبويه باعتباره مدونة البحث وجدناه يعتمد مصطلح العلم وما يرادفه كمرادف لمصطلح الإعلامية بمفهومه الحديث اليوم، فيما أطلق عليه النحاة فيما بعده مصطلح الفائدة أو الإفادة.

9- الإعلام أو العلم عند سيبويه هو كل المعلومات التي يستقيها المخاطَب من الخطاب مهما تباين موقفه اتجاهها في حين حصر مفهوم هذا الأخير فيما بعده وأصبح يصطلح عليه بالفائدة أو الإفادة من هنا انكمش معناه وصار مقتصرا على الإسناد.

10_ إن حصر مفهوم الإعلام أو الإعلامية في علاقة الإسناد جعل الدارسين يخلطون بين الجانب الإفادي والخطابي للكلام.

11_ إن اعتماد سيبويه معرفة وعلم المخاطب سواء الآنية أو المسبقة في تحليله للخطاب جعله ينطلق من تحليل الخطاب إلى تداوليته وبهذا يمكننا أن نقول دون استحياء أن النحو العربي في مراحله الأولى جمع بين كل مستويات اللغة.

12_ الإعلامية عند العرب قابلة للتكميم فقد تكون مساوية للصفر إذا كان المتلقي على علم بما يتضمنه الخطاب وهذا ما تم الاصطلاح عليه حديثا بدرجات الإعلامية.

13_ إن درجات الإعلامية في التراث النحوي تُحدد بالاعتماد على المتلقي، فموقفه من الخطاب والذي يتمثل في جهل أو توقع أو معرفة تامة لما يتضمنه الخطاب أو النص من معلومات يضبط درجات الإعلامية ويحددها.

14_ لقد تجلت الإعلامية بدرجاتها الثلاث في الكتاب، فصاحبه وفي معالجته لبعض القضايا اللغوية كان دائما ما يستعين بمعرفة طرفي الخطاب لما يلابسه من أحوال وظروف ويفسر ما يعتري الخطاب من حذف أو تقديم أو تأخير في مظانها.

15_ كما وقد تجلت في الكتاب آليات رفع الكفاءة الإعلامية وإن كان سيبويه لم يعالجها على أساس أنها أساليب لرفع الإعلامية بل عالجها أين تتوقف الإعلامية الحديثة. أي أن الإعلامية تبحث عن الطرق التي ترفع بها إعلامية الخطاب في حين إعلامية العرب تسعى لتذليل الصعوبات التي تعترض فهم المخاطب وتحاول تذليلها وهذا هو الأصح والأنفع لأن الغاية من الخطاب هي التواصل وتبادل المعلومات واكتساب المعرفة.

16_ كما تجلت آليات رفع الإعلامية كذلك نسجل في التراث النحوي حضورا لآليات وطرق لخفض الكفاءة الإعلامية.

17_ إن نظرية الوضع والاستعمال العربية التي وضع خطوطها العريضة الحاج صالح اعتمادا على ما خلفه الأسلاف وعلى رأسهم سيبويه تعد نظرية مكتملة الأسس واضحة المعالم فاقت النظرية التداولية الحديثة.

إن الإعلامية الحديثة قد عُرت في استعمال النحاة العرب الأوائل وإن لم تكن بذات الخصائص فإنها تتواءم مع لغتنا العربية وطبيعتها فالمفترض بنا أن نعيد إحياء هذه النظرية ونرسم حدودا لها ونعتمدها في مجالات أخرى تطبيقية كتعليمية اللغة العربية فتلك الأخيرة ستجعل التعليم مكتمل الحدود.

أما فيما يخص هذا التراث العربي الضخم ففي اعتقادنا يتعين علينا أن نأخذ بكتابات الحاج صالح بوصلة تقودنا فيه إلى تعبئة تلك الموضوعات المهمة التي أشار إليها ولم يستكملها وقبل هذا يتعين علينا فهم ما أراد الرجل قوله والوصول إليه وحمل المشعل من أجل إكمال ما كان يصبو إليه.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص امتناني وجزيل شكري للأستاذ المشرف د/ محمد بن حجر على كل ما بذله وقدمه من نصائح وتوجيهات منذ كان الموضوع فكرة إلى أن صار مخطوطا فحفظه الله وجعله فخرا وذخرا، وجزاه الله عنا خير الجزاء، وآخر قولنا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن ثراء التراث العربي اللغوي خاصة النحو العربي من خلال البحث عن معيار **الإعلامية وتجلياته في التراث النحوي من خلال كتاب سيبويه**، فقد تعامل الرجل في كتابه باحترافية كبيرة جعلت يعتمد على فكرة الإعلام أين جعل الرجل دائما موقف المخاطب من جهل أو علم أو ترقب لما يحمله الخطاب معيارا في تفسير ورد وقبول العديد من العبارات وتأويل الكثير من المسائل، وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تندرج ضمن الدراسات التراثية التي تساهم في إثراء التراث العربي والكشف عن قيمته ونفاسته، كما أنها استقطاب للباحثين من أجل الإقبال عن التراث العربي باختلاف مشاربه.

الملخص باللغة الإنجليزية:

This study aims to reveal the richness of the Arab linguistic heritage, especially Arabic grammar, by searching for the media standard and its manifestations in the grammatical heritage through Sibawayh's book. Or anticipate what the discourse holds as a criterion in interpreting and accepting many expressions and interpreting many issues, and the importance of this study lies in the fact that it falls within the heritage studies that contribute to enriching the Arab heritage and revealing its value and value, as it attracts researchers for the turnout of Arab heritage with different his ways.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش.

1. أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1385هـ، 1965م.
2. الإبهاج في شرح المنهاج، البيضاوي، تحق: محمد شعبان سلام، مكتبة الكليات الزهرية، القاهرة، مصر، 1981م.
3. اجتهادات لغوية، تمام حسان، عالم الكب، القاهرة، ط1، 2007م.
4. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، الشوكاني، تحق: محمد البدري، مؤسسة الكتب الثقافية، ط4، 1993م.
5. أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت 1998، ط1.
6. أسس لسانيات النص، مارغوتهاينمان، وفولفغنجهاينمان، ترج: موفق محمد جواد المصلح.
7. الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، تحق: محمد بن عبد الله، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986.
8. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، جامعة منوبة، ط1، 2001م.
9. الأصول في النحو، أبو بكر بن محمد السراج، تحق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1427هـ، 1996م.
10. أضواء على الألسنية، هيام كريدية، كلية الآداب، الجامعة اللبنانية، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ، 2008م.

11. الإعلامية في الخطاب القرآني، دراسة في ضوء نظرية التواصل، زهراء البرقعاوي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 1439هـ، 2018م.
12. أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002م .
13. الألسنية –علم اللغة الحديث–المبادئ والأعلام.
14. الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبديع والبيان، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
15. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، 2012م.
16. بدائع الفوائد، أبو بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عب الله بوزيد، دار عالم الفوائد.
17. البلاغة العالية علم المعاني، عبد المتعال الصعيدي، تقديم: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، ط2، 1411هـ، 1991م.
18. البنى النحوية العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2016.
19. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تحق: محمد حفني شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، تموز، 1963م.
20. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطلعة، بيروت، ط1، تموز 2005.
21. التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ط1، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 2005.
22. التراث والحداثة دراسات...ومناقشات، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1991م.

23. تفسير البحر المحيط أبو الحيان الأندلسي، تحق: عادل أحمد عيد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ، 1993م.
24. التواصل، نظريات وتطبيقات، محمد عابد الجابري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.
25. الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائي، دار ابن حزم، لبنان، ط1، بيروت، 2000.
26. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد الأحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د-يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1999م.
27. حاشية الخضري على شرح بن عقيل على ألفية بن مالك، ضبط: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ، 2003م.
28. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن ني، تحق: محمد لي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، ط3، 1988م.
29. الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، د-عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2012م.
30. دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، ترج: يوئيل يوسف عزيز، دار أفاق عربية، بغداد، 1985 .
31. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
32. دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
33. ديوان الحارث بن حلزّة، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1411هـ، 1991م.

34. ديوان عمر بن أبي ربيعة تق: فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1416هـ، 1996م.
35. السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، 2012م.
36. شرح الرضي على الكافية، تعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاز يونس، بنغازي، ط2، 1996م.
37. شرح الكافية في النحو، رضي الدين الاستراباذي ، تحق: رحاب عكاوي، بيروت، لبنان، دار الفكر العربي، 2003.
38. شرح المفصل، موفق الدين ابن يعيش، تحق: حواشي نفيسة، إدارة الطباعة المنيرية، مصر..
39. شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي، تحق: رمضان أحمد دميري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1414هـ، 1993م.
40. شرح كتاب سيبويه، الحسن بن عبد الله بن المرزبان بن سعيد السيرافي، تحق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008،
41. شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، تحق: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990.
42. شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني، بهاء الدين السبكي، ابن يعقوب المغربي، دار الكتب العلمية، بيروت.
43. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي يحيى بن حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت.
44. العربية والغموض، دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 2013.
45. العلة والتعليل بين النحاة والفقهاء، محمد بن حجر، مركز الكتاب الأكاديمي.

46. علم اللغة بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر، ط1، 2000.
47. علم لغة النص ، المفاهيم والإجراءات، سعيد بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، 1997م.
48. الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت.
49. في لسانيات النص وتحليل الخطاب نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم، د–عبد الرحمن بودرع، المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، 1434هـ، 2013م.
50. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ، 2005م.
51. كتاب الرد على النحاة، لابن مضاء القرطبي، تحق: د–شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
52. كتاب الصناعتين، النثر والشعر، ، أبو هلال العسكري، تحق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1371هـ، 1952م.
53. كتاب سيبويه، عمر بن عثمان بن قنبر، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخافجي، القاهرة، ط3، 1408هـ، 1988م.
54. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ، 1998م.
55. لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل بن منظور، تحق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
56. اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005م.

57. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.
58. اللسانيات ونظرية التواصل رومان ياكبسون أنموذجا، د–عبد القادر الغزالي، دار الحوار، سوريا، ط1، 2003م.
59. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1973.
60. اللغة والنحو، دراسة تاريخية مقارنة، حسن عون.
61. اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ترج: مصطفى التوني، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1987.
62. مبادئ في اللسانيات العامة، اندري مارتيني، ترجمة زبير سعدي، دار الافاق، الجزائر، د: ت، د:ط.
63. محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، أبحاث للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، ط1، 2004م.
64. محاضرات في لسانيات النص، د–جميل حمداني.
65. المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003.
66. المدارس النحوية، خديجة الحديثي، مكتبة اللغة العربية، بغداد، دار الأمل، الأردن، 3ط، 1422هـ، 2001م.
67. مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديدة، ليبيا، ط1، 2004م،
68. مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم ناشرون.
69. مدخل إلى علم لغة النص زنسييسلاف وأورزنياك، تر: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1424هـ، 2003م.
70. مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وعلي خليل محمد.

71. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن بدران، تحق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1401هـ، 1981م.
72. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، تحق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، ط2.
73. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2009م.
74. معجم التعريفات، قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، علي بنمحمد السيّد الشريف الجرجاني، تحق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
75. معجم العين، عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي.
76. معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، 1409هـ، 1998م.
77. معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي-إنجليزي-عربي، د-مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995.
78. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1403هـ، 1983م.
79. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.
80. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت، ط1، 1405هـ، 1985م.
81. معجم المؤلفين، عمر كحالة، دار النشر لبنان، ودار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
82. معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1380هـ، 1960م.

83. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن زكريا، تحق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م.
84. مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني، صابر الحباش.
85. مفهوم الاتساع وضوابطه في علم النحو، بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن، الألوكة، مكة المكرمة، 1415.
86. مفهوم التلقي من خلال الأنموذج التواصلي لنظرية زيجفريدشميث، د–نزار التجديدي، مجلة عالم الفكر، ط4، 2000م.
87. مقالات في اللغة والأدب، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2006، ط1، ص 292 .
88. مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2.
89. المقتضب، المبرد العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، تحقيق عبد الخالق عظيمة. عالم الكتب بيروت لبنان 1996م
90. المقدمة ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذي الشأن الأكبر، ابن خلدون، نسخة محققة دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع. ط1.بيروت لبنان 2003، ص565.
91. مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، علي محمد محمد يونس، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2005م.
92. مقدمة كتاب سيبويه، محمد بن حجر، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع17، س9، 1434هـ، 2013م.
93. ملامح التداولية في النحو العربي عند سيبويه وابن جني، قراءة تحليلية في المفاهيم، د–زهير بوخيار.

94. من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط5، 1975م.
95. منطق العرب في علوم اللسان، د–عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر، الجزائر، 2012.
96. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحق: د–علي دحروج، النقل إلى العربية: د–عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د–جورج زيناتي، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، ط1، 1996م.
97. نتائج الفكر في النحو، السهيلي، تحق: محمد إبراهيم البنّا، دار الرياض، ط2، د–ت.
98. نجم المهتدي ورجم المعتدي، فخر الدين محمد بن عثمان بن عمر بن المعلم المصري الشافعي، تحق: بلال محمد حاتم السقا، دار التقوى، دمشق، الشام، ط1، 1441هـ، 2019م.
99. نحو النص، اتجاه جديد في الدرس اللغوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
100. نزهة الألباء في طبقة الأدباء، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418، 1998.
101. نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م.
102. نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة، د–طلال علامة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م.
103. نشأة النحو العربي وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، دار المعارف، القاهرة، ط2.

104. النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ترج: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418هـ، 1998م .
105. النص والسياق، فان ديك، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م.
106. النظريات اللسانية الكبرى، ماري آن بافو وجورج إلياسرفاتي، ترج: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012م.
107. نظرية التلقي، أصول وتطبيقات، بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1999م.
108. النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني.
109. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

المقالات والبحوث والرسائل الجامعية:

1. الإبهام في الدرس النحوي، محمد أحمد عبد الله الأشولي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، تخصص النحو والصرف، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 1431هـ، 2010م.
2. أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، عبد الخالق فرحان شاهين، رسالة ماجستير، مجلس كلية الآداب، الكوفة، 2012م.
3. آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه، بشير إبرير، مجلة كلية اللغات والآداب، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
4. دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات، مصطفى قطب، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة والدراسات السامية والشرقية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1996م.

5. الدرس اللغوي العربي بين اللسانيات الجملة ولسانيات النص" مقاربة نصية" د-حنان محمد فنيخرة، كلية التربية، جامعة مصراتة، مجلة البحوث الأكاديمية، العدد 13، يناير 2019م.
6. العدد الثالث، 2003.
7. علم المخاطب في مناظرات ابن تيمية، منصف دقاشي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2014.
8. في مفهوم النص، نور الدين الفلاح، من الملتقى القومي المنظم بصفاقس، أفريل 1988م، قراءة النص بين النظرية والتطبيق، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1990م.
9. مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، د-كريم حسين ناصح الخالدي، المورد،
10. المرجعية المعرفية لنحو النص في التراث العربي، محمد بن حجر، من أعمال الندوة الوطنية الموسومة بـ: "الدراسات اللسانية النصية ومجالاتها التطبيقية في تعليم النحو العربي وتعلمه، مخبر علم تعليم العربية، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، دار تيدكلت، ديسمبر، 2018م.
11. معايير النصية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجسيتر في علوم اللسان العربي، الربيع بوجلال، 1431هـ، 2010م، الجزائر.
12. المعايير النصية لدروبرت دي بوجراند في ديوان" همسات الصبا"، للشاعر الليبي رجب الماجري، دراسة نقدية تحليلية، ميلود مصطفى عاشور، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه فلسفة في الدراسات العربية، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، يونيو، 2015م.
13. معيار الإعلامية لدى روبرت دي بوجراند وتجلياته في آيات القرآن الكريم، دراسة دلالية، حنان مصطفى، محمد إخوان بن عبد الله، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول، السنة العاشرة، يونيو 2018.

14. نحو أجرومية للنص الشعري، سعد مصلوح، مجلة فصول، العدد الأول والثاني، المجلد العاشر، يوليو، 1991م.
15. نحو الجمل- لا نحو الجملة- وصلته بنحو النص، محمد بن حجر، أعمال ملتقى التراث اللساني العربي ولسانيات النص، مخبر علم تعليم العربية المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 18/17، 2018م.
16. النحو العربي ومنطق أرسطو، د-عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة كلية الآداب، جامعة الجزائر، العدد1، 1964.
17. النحو العلمي والنحو التعليمي ضرورة التمييز بينهما، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عبد الرحمن الحاج صالح، ع127.

a. المراجع الأجنبية:

2. Cohesion in english M-A-K Haliday& R-Hasan LondonLongman1976.
3. Dictionnaire de Linguistique Larousse, Jean Dubois, Mathée Giacomo , Louis Guespin, Christiene Marcellesi , Jean- Pierre Mével, Librairie larousse, Paris, première édition , 1973, p486
4. Esthetique du Roman Traduction Français Bakhtine (Mikhail). Paris:Gallimard.1978.
5. Introduction To Text Linguistics,,Beaugrande, Dressler, Wolfgang Urich, London: Longman, 1981.

قائمة الفهارس

- فهرس الآيات.
- فهرس الأبيات الشعرية
- فهرس الأعلام
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات:

السورة والآية	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة		
﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	30	70
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾	30	70
﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴾	60	70
﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾	165	142
﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	171	174
النساء		
﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	162	122
الأنعام		
﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾	27	142
﴿وللبسنا عليهم مَا يَلْبِسُونَ﴾	09	192
يوسف		
﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾	82	170
هود		
﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾	44	82
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	19	29
القصص		

﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	70	80
الروم		
﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾	36	56
يس		
﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ﴾	39	170
سورة ص		
﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾	03	46
الزمر		
﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾	73	142
الشورى		
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾	32	71
محمد		
﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾	06	179
الفجر		
وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا	19	13
التين		
﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾	01	89
﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾	02	89

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري		رقم الصفحة
للنحـــو ســـبع معـــان قـــد أتـــت لغـــة	جمعتهـــا ضـــمن بيـــت مفـــرد	15
قصـــد، ومثـــل، ومقـــدار، وناحيـــة	نـــوع، وبعـــض، وحـــرف، فـــاحفظ	15
أبـــى دهرنـــا إســـعافنا فـــي نفوســـنا	فأسعفنـــا فـــيمن نحـــب ونكـــرم	80
فقلـــت لـــه نعمـــاك فـــيهم أتمهـــا	ودع أمرنـــا إنّ المهـــم المقـــدم	81
أأرضـــى أن تصـــاحبني بغيضـــا	مجاملـــــة وتحملنـــي ثقـــيلا	81
وحقـــك لا رضـــيت بـــذا لأنـــي	جعلـــت وحقـــك القســـم الجلـــيلا	81
بعيـــدة مهـــوى القـــرط إمـــا لنوفـــل	أبوهـــا وإمـــا عبـــد شـــمس	81
والعـــيش خيـــر فـــي ظـــلا	ل النـــوك ممـــن عـــاش كـــدّا	88
فمـــا نطفـــة مـــن مـــاء نحـــض عذيبـــة	تمنـــع مـــن أيـــدي الرقـــاة	88
بأطيـــب مـــن فيهـــا لـــو أنـــك ذقتـــه	إذا ليلـــة أســـجت وغـــارت	88
ودويـــة قفـــر تمشـــى نعامهـــا	كمشـي النصـارى فـي خفـاف الأرنـدج	142
رمـــاني بـــأمر كنـــت منـــه ووالـــدي	بريئـــا ومـــن أجـــل الطـــوي رمـــاني	143
بنـــي أســـدٍ هـــل تعلمـــونَ بلاءَنـــا	إذا كـــان يَوْمًـــا ذا كَواكـــب	176
إذا كانـــت الحُـــوُّ الطـــوالُ كأَنمـــا	كســاها الســلاحُ الأرجـوانَ المضـلّعا	176

فهرس المحتويات

شكر وتقدير .....

إهداء .....

مقدمة:.....5

تمهيد: 10

نشأة النحو العربي:.....12

القيمة العلمية لكتاب سيبويه:.....32

سيبويه: 32

1-مولده ونشأته: 32

2ــ شيوخه وتلامذته:.....34

كتاب سيبويه: 35

1-قيمة الكتاب العلمية:.....35

أسلوب الكتاب ومنهجه:.....39

الفصل الأول:مدخل نظري لتحديد المصطلحات والمفاهيم وبيان العلاقة بينها

تمهيد: 42

مفهوم لسانيات النص:.....50

نشأة اللسانيات النصية: 52

اللسانيات النصية عند الغرب.....54

اللسانيات النصية عند العرب: 54

بين لسانيات النص ولسانيات الجملة:.....61

دواعي الانتقال من لسانيات النص إلى لسانيات الجملة: 65

بين النص والخطاب:.....66

الإعلامية: 70

الإعلامية لغة:.....70

الإعلامية اصطلاحا:.....72

درجات الإعلامية:.....77

1-إعلامية من الدرجة الأولى(إعلامية منخفضة): 77
2-إعلامية من الدرجة الثانية(إعلامية متوسطة): 78
3-إعلامية من الدرجة الثالثة (إعلامية مرتفعة): 78
4-طرق رفع الإعلامية: 80
آليات خفض الإعلامية: 88
مصادر التوقعات: 91
عناصر الإعلامية: 91
أصول الإعلامية: 95
بين الإعلامية وعلم (المخاطب): 103
بين علم المخاطب والإعلامية: 105
علم المخاطب في الدراسات العربية: 107
علم المخاطب عند الأصوليين: 107
علم المخاطب في الدراسات البلاغية: 108
الإعلامية وعلم المخاطب بين لسانيات النص والتداولية: 117
الفصل الثاني:الإعلامية في كتاب سيبويه
1-التعليق على جدول الإحصاء: 122
2-الإعلامية عند سيبويه: 123
بين الدلالة والإفادة: 124
الإعلامية ببن سيبويه ومن تلاه من النحاة: 127
درجات الإعلامية عند سيبويه: 131
عناصر الإعلامية عند سيبويه: 139
3-آليات رفع الإعلامية عند سيبويه: 168
الحذف والإضمار: 177
التعريف والتنكير: 183
التقديم والتأخير: 190
اللبس والإبهام وعلاقتهما بالإعلامية: 193
الاتساع 205

آليات خفض الإعلامية عند سيبويه: 211
نحو نظرية تداولية في التراث العربي: 215
خاتمة: 224
الملخص 228
الملخص باللغة الإنجليزية 229
قائمة المصادر والمراجع: 231
قائمة الفهارس 243
فهرس الآيات: 244
فهرس الأبيات الشعرية 246
فهرس المحتويات 247